كيف فهم المصلحون عمليتيّ التبرير والتقديس؟

وصف المصلح مارتن لوثر رحلة الإيمان المسيحي، بأنها تبدأ بالتبرير وتستمر بالتقديس. التبرير هو إعلان الله بأنه يقبل ويرحب بالانسان الخاطىء الذي يؤمن بيسوع المسيح ويتخذه ربًا ومخلصًا لحياته. لكن قبول الله للخاطىء، لا يعني بأن الإنسان قد انتهى من الخطيئة بشكل نهائي ولم يعد يخطىء فيما بعد. يحذّر المصلح لوثر، المؤمن من خطورة البر الذاتي والاعتداد بكمال أخلاقه بعد إيمانه بالمسيح. فهو يقول ""يجب ألا يظن من يؤمن بالمسيح بأنه قد صار طاهرًا من كل خطاياه، لأنه سوف يواجه معركة مستمرة مع بقايا الخطيئة"". كما يطلب من المؤمن أن يتذكر بأن التبرير الذي ناله ليس منه، بل حصل عليه من نعمة خارجة عنه هي نعمة المسيح. لهذا يجب ألا يعتد ببره بل ببر المسيح فيه. ويشدد لوثر، أن التبرير لا يحدث مرة واحدة للمؤمن، أي عند قبوله خلاص المسيح، بل إن كل الحياة المسيحية إنما هي عملية تبرير، وتقديس، مستمرين. فإذا ما كان التبرير هو إعلان الله قبول الإنسان الخاطئ، فالتقديس هو ما يجريه الرب داخل الإنسان المبرر ، في حياته المسيحية العملية اليومية. قال لوثر،" فآدم القديم الذي يسكن فينا بسبب فسادنا، لم يُلغَ منا بشكل كامل، وما عملية التقديس إلا محاربة بقايا الخطية فينا".

لم يثق المصلحون الانجيليون، بوجود النقاوة الكاملة في الإنسان مهما كانت أعماله حسنة. يقول المصلح جان كالفن ""أنا أجزم بأن أفضل إنجازات الإنسان يتخللها بعض الفساد بسبب عدم نقاء في مكان ما"". ويضيف ""ليحاول أي خادم مبرر أن يختار من كل حياته ما يعتبره أفضل إنجازاته وأعماله، وليمتحنها من كل النواحي، فإنه بدون شك سوف يكتشف فيها البعض من الكبرياء ومن بقايا تلوث الخطيئة. أنبل أعمال الإنسان لا تستطيع أن تصمد أمام تمحيص الإله القدير لها"". لهذا فقد دعا المصلحون الإنجيليون المؤمنين بالمسيح، أن لا يعتمدوا على أعمالهم وجهودهم البشرية ولا يفتخروا بها ويمجدوها، ولا يربطوا خلاصهم بها، لئلا يصابوا بالبر الذاتي والكبرياء الروحي ، بل عليهم العودة دائماً إلى الله، لنيل التبرير والتقديس منه. فالاعتماد على عمل الله في الحياة، يسمو على كل الإنجازات الإنسانية مهما علا شأنها.

إن تركيز المصلحين على قوة تأثير وتدمير الخطيئة في الحياة الانسانية، جعلهم يجدون الحل الكتابي الشافي من خلال معجزة الغفران الإلهي التي يقدمها الرب يسوع المسيح. يقول المصلح مارتن لوثر "بأن غفران المسيح العجيب يحررنا من اليأس والقلق اللذين تسببهما قوة الخطيئة فينا. غفران المسيح يضع فينا الرجاء الحي. غفران المسيح يجدد قوتنا. إن كل حياتنا المسيحية

ونشاطاتنا وأعمالنا، يجب أن تؤسس على غفران المسيح. فطلب غفران المسيح ضرورة مسيحية مستمرة. لهذا فقوة المسيحي لا تنبع من حالة عدم الخطية والقداسة الكاملة، بل تنبع من غفران المسيح لخطاياه. وهذا ما يميز الإنسان المؤمن من غير المؤمن، عند الوقوع في الخطية. فغير المؤمن يخطئ دون أن يشعر بحاجته للغفران. أما المؤمن فإنه عندما يخطئ ينهض من خطيئته، بواسطة غفران المسيح الذي يؤمن له الاستمرار في حياة الإيمان.

يتحدث المصلح مارتن لوثر عن صراع شديد ومستمر داخل الإنسان المؤمن، وهذا الصراع هو بين الإنسان القديم والإنسان الجديد، اللذين يسكنان فيه. ففي التقديس، يقوم المؤمن دائماً بخلع الإنسان القديم، ولبس الإنسان الجديد. لهذا فالتجديد ليس فقط حدث الإيمان الأول. التجديد عملية مستمرة في الحياة. وهذا الصراع يجب ألا يتوقف أبداً، بل يجب أن يبقى في حركة مستمرة ودائمة، لأنه إذا ما توقف فهو يشير إلى التقهقر في حياة الإيمان والبعد عن الله. لقد قال أنه "فقط في استمرار الصراع والتقدم، يتحقق النمو في حياة الإيمان والقداسة. فينتقل المؤمن من خطية إلى بر، وفي الوقت نفسه من بر إلى بر". وفي هذا التقدم من الخطية إلى البر، يزداد تأثير البر في حياة المؤمن، فنصير كما يقول بولس □□مشابهين صورة ابنه□□ (رومية ٨:٢٩)، □□ونتغير إلى تلك الصورة عينها من مجدٍ إلى مجدٍ□□ (٢كو٣:١٨). هذه الحركة في التقدم ليست دائرية بل باتجاه نقطة النهاية. لكن مهما ازداد هذا التقدم، فالمؤمن لن يصل إلى مرحلة القداسة الكاملة مهما طالت حياته على الأرض. فالقداسة الكاملة ستتحقق عندما نكون مع المسيح في السماء.

رغب المصلحون الإنجيليون بمفهومهم هذا، أن يركّزوا: من جهة، على أهمية المبادرة الإلهية، وعمل النعمة، ومعجزة الغفران الإلهي، وحاجة الإنسان القصوى والمستمرة إلى حضور الله في حياته. ومن جهة أخرى، أرادوا تجنب استغلال المؤمن لهذا الاختبار الروحي والتغيير الكبير، الذ يجريه المسيح في حياته، فينشغل ببره وإنجازاته، ويصاب بخطيئة البر الذاتي والكبرياء الروحي، وهكذا يسقط من النعمة.

القس سهيل سعود

الملائكة هم "اللاهوتيون السماويون"

المصلح مارتن لوثر

لم يكن لوثر مهتما بتقديم عقيدة منتظمة عن الملائكة، كما فعل القديس ديونيسيوس، والقديس توما الأكويني. اعتقد أن تلك الألوهيات، عقّدت طبيعة الملائكة بأفكار حول جوهر وطبيعة الملائكة والتراتبية الملائكية وغيرها. ركّز لوثر اهتمامه على أعمال الملائكة، التي أعلنت عن هدف الله من خلقه اياهم، والذي هو خدمة الآخرين، كما يقول كاتب الرسالة الى العبرانيين، "أليس جميعهم (الملائكة) أرواحا خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص" (عبرانيين ١: ١٤). قال لوثر، "لا يمكن أن يكون المسيح، أعلى من الملائكة، الّا اذا كان الها

حقيقيا، لأن الملائكة هي في مرتبة أسمى من كل الكائنات الأخرى. انها أعظم من القديسين، أمثال أوغسطينوس وجيروم. وأعظم من الرسل بطرس وبولس. آمن لوثر أن الله خلق الملائكة، ليكونوا مساعدين له، بالرغم من أنه يستطيع أن يقوم بكل شيء وحده. آمن أنهم مرسلون معيّنون من الله الى العالم. ومع أنه كلّفهم بالكثير من الأمور، الاّ أنه لا يشكّل أحد منهم ربّا. في عظته في عيد الميلاد عام ١٥٣٣، يذكر لوثر "أن الملائكة هم فم الله، الذين يجلبون كلمة الله وليس كلمتهم الى البشر. كما يذكر "أن الملائكة، ليسوا حاملي رسائل مكتوبة، بل ياتون برسائل شفهية. انهم يجلبون كلمة الله". عندما يتحدّث لوثر عن الملائكة الأشرار، يقول، "اولئك الملائكة، هجروا خدمتهم التي خلقوا من أجلها، واختاروا أن يخدموا الشيطان. لهذا لم يعودوا يعظوا عن مجد الله. لكن مع ذلك فهم، لا يزالون يحافظون على منزلتهم كملائكة، لأن هذا الاسم يصف طبيعتهم الداخلية. وبالتالي، فهم يبقون ملائكة، بالرغم من ارتدادهم عن الله.

لا يدّعي لوثر، أنه يعرف طبيعة الملائكة. يقول، "مع أني لا أعرف ما هم، الاّ اني أعرف ما هي رغبتهم الأساسية، وعملهم الثابت من خلال النظر في قلوبهم. لا يهتم لوثر بمعرفة التفاصيل الدقيقة عنهم، لكن يهمه أن يعرف أنها كائنات منعمة، محبة، ومطيعة. في كتاب "حديث الطاولة"، والذي هو أحاديث لوثر مع تلاميذه، الذين قاموا بجمعها بعد موته، يعرّف لوثر الملاك، على أنه "مخلوق روحي دون جسد، عيّن من أجل خدمة الكنيسة السماوية". يذكر لوثر، أن القديس أوغسطينوس اعتقد أن لديهم أجسادا، الا أنه بحذر يرفض أن يعرّف أي نوع من الأجساد يملكون. وصفهم لوثر على أنهم "مخلوقون وغير مولودين". في تعليقه على قول المرنم ، "الصانع ملائكته رياحا، وخدّامه لهيب نار" (مزمور ١٠٤: ٤) يقول لوثر، لا يستطيع الانسان أن يرى الملائكة في شكلهم الحقيقي، لأن الله يصنعهم لهيبا ونورا، بنفس الطريقة التي يجعل من خبز الافخارستية، جسد المسيح". لكن نحن نراهم متمثّلين بالنور والنار". اعتقد لوثر، أن الملائكة هي كائنات غير مرئية بالطريقة التي يفهم فيها البشر معنى الرؤية. قال، "انهم مرئيون بالطريقة التي فيها السموات مرئية". توقّف لوثر عند مشهد ظهور الملاك للرعاة، لتبشيرهم ووعظهم بخبر ولادة المسيح، كما يذكر البشير (لوقا ٢: ٩-١٣) . يعلّق لوثر قائلا ، "مع أن الكتاب المقدس ، يذكر أن الرعاة رأوا ملاكا، الاّ انهم بالحقيقة، لم يروه، لأن الملائكة لا يرون. لكن ما رآه الرعاة هو النور، وسمعوا الكلمة التي تكلّم بها الملاك لهم". لهذا يحذّر لوثر الفضوليين، أن يبقوا استنتاجاتهم عن الملائكة، استنادا الى تعليم الكتاب المقدس، الذي يعلّمنا، أن قلوب الملائكة مليئة بالسلام والفرح في يسوع المسيح. فالمسيحي لا يعلم أي نوع من الأجساد أو الثياب يلبس الملائكة، لكنه

يتعلم عن أعماق عظمة القلب الملائكي. لم يكن اهتمام لوثر بالملائكة وجوديا، وانما علائقيا، أي في علاقتهم مع الله والبشر. لم يحاول أن يفهم الكائنات الملائكية وانما القلب الملائكي.

قال لوثر، "وصف الكتاب المقدس الملائكة، بالريح ولهيب النار، لأنه في هكذا شكل ينفّذون مهامهم ويتحركون براحة وبسرعة الريح، ويملكون اشراقا كألسنة النار". اعتقد لوثر أن الملائكة تختبر الله بشكل مباشر. ومع انهم يشتركون معه، الاّ أنهم لا يتشاركون في المعرفة التي يمتلكها الله. يميّز لوثر، بين الطريقة التي يعرف فيها الله الأمور، والطريقة التي يعرف فيها ملاك، ملاكا آخر. يقول، "الملائكة مظلّلون من الله. ويجب ان يعتمدوا على النور المنعكس منه، كيما يعرفوا الملائكة الآخرين.

ان المناسبة الرئيسية التي كان يعظ فيها مارتن لوثر تكرارا عن الملائكة هي مناسبة عيد الميلاد. أسماهم "اللاهوتيون السماويون"، قال، "لقد وعظ ورنّم الملائكة في عيد الميلاد، وأتوا بالأخبار السارة للبشر، وفرحوا عنا. ان ترنيمتهم، "المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة"(لوقا ٢: ١٤)، هي الأكثر مجدا. فهي تلخّص كل الايمان المسيحي، لأن اعطاء المجد لله هو العبادة الأسمى. يريد الملائكة لنا هكذا عبادة، ويجلبونها لنا في المسيح. فانه منذ سقوط آدم في الخطية، لم يعد يعرف العالم الله ولا خليقته. فالعالم بمجمله يعيش خارج مجد الله. لهذا فان الملائكة هنا في قصة الميلاد، يدعون البشرية الساقطة الى الايمان والمحبة، أي الى ايجاد المجد في الله وحده". في عظته حول الميلاد عام ١٥٣٢، يقول لوثر، "من نشيد الملائكة، نفهم أي نوع من الخلائق هي الملائكة. فهم لا يلتقون مع ما يحلم فيه أسياد الفنون أن يكونوا، في تصويرهم للملائكة بطريقة تعكس أحاسيسهم وأفكار قلوبهم الخاصة. قال، "الملائكة هم بالدرجة الأولى يرنمون بفرح مرجعين كل المجد لله. انهم يظهرون كم هم مملؤون من النور والنار. انهم لا يمتدحون ذواتهم، بل يقرّون أن كل الأشياء تنتمي الى الله وحده. انهم بشغف كبير يقدّمون المجد لمن ينتمي المجد اليه وحده. لهذا، اذا ما فكّرت في قلب متواضع، فرح، مطيع، طاهر، يحمد الله: فانه قلب الملائكة. انهم بموقفهم هذا يخدمون الله. يضيف لوثر: "يفضلوننا الملائكة، ليس أقلّ مما يفضّلون أنفسهم. يفرحون في خيرنا، على قدر فرحهم في خيرهم. انهم بترنيمتهم يشجّعوننا كيما نعتبرهم أفضل الأصدقاء. من خلال هذه النظرة، علينا أن ننظر الى الملائكة، ولا نتبنّى نظرة أسياد الفن اليهم".

في عظة حول الزيارات الملائكية، يقول لوثر، "الوعّاظ بالكلمة هم في معنى ما ملائكة، لأنهم ينشغلون في كلمة الله، ويتجنّبون العقائد الانسانية، ويعيشون بطريقة سماوية. الانجيل هو عظة فوق طبيعية، ونور يسمح للانسانية أن تعرف المسيح. يظهر الملاك بشكل واضح، أنه لا يجب أن يوعظ بشيء، الاّ بالانجيل. فهو لا يقول، "أنا أعظكم، لكن يقول، اني آتي اليكم بأخبار سارة. فكلمتي هي الانجيل. والأخبار السارة هي الفرح الكبير بولادة المخلّص الرب يسوع المسيح.

ان مفتاح فهم لوثر للملائكة، هو التذكّر أن التعليم والوعظ سارا جنبا الى جنب بالنسبة له. فمهما كان موضوع العظة، كان الدافع الأساسي بالنسبة له، اظهار محورية الانجيل لمستمعيه، والانعكاسات الخلاصية والاسكوتولوجية لموت وقيامة المسيح من أجل البشر الخطاة. فالملائكة في لاهوت وعظات لوثر يظهرون في هذا السياق. انهم يظهرون كوسيلة لرسم هذه الصورة لمستمعيه لنقل هذه الحقيقة الروحية، كيما يكون الملائكة مثالا للناس في عبادتهم لله المثلّث الأقانيم، وحثّهم على مشاركتهم معهم في هذه العبادة.

دور الشريعة في الحياة المسيحية

المصلح مارتن لوثر

عندما ابتدأ مارتن لوثر بدراسته، فإنه درس اولاً القانون، ثم انتقل لاعداد نفسه للكهنوت. لكن اختيار كلفن هو اختيار معاكس. كلفن ابتدأ دراسته باللاهوت ثم انتقل ودرس القانون وأصبح محامياً.

آمن مارتن لوثر أن دور الشريعة في الحياة المسيحية، هو أن تسحق برّنا الذاتي، وتقود الانسان الخاطىء لطلب رحمة المخلّص. قال، "الشريعة هي المطرقة الكبرى التي يستخدمها الله، ليقود الانسان الى اليأس المطلق، ويظهر حاجته القصوى الى المخلّص". وأضاف، "الشريعة هي مطرقة الموت. انها رعد الجحيم، وبرق غضب الله، التي تضرب المرائين المعاندين، الذين لا احساس لهم بالخطية. هذا هو الاستخدام المناسب للشريعة، أن تضرب فينا وتكسر الى أجزاء ذاك الذي يدعى فينا البرّ الذاتي".

وجد لوثر، أن قول الرسول بولس لكنيسة غلاطية، "إذ نعلم أن الانسان لا يتبرّر بأعمال الناموس، بل بإيمان يسوع المسيح. آمنّا نحن ايضاً بيسوع المسيح، لنتبرّر بإيمان يسوع، لا بأعمال الناموس، لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما"(غلاطية٢: ١٦) هو أساسي جداً في الايمان المسيحي. علّق على هذه الآية بقوله، "الشريعة أو الناموس هو شيء صالح. لكن عندما يكون موضوع النقاش، موضوع التبرير، فإنه يجب علينا أن نتكلّم فقط عن المسيح، وعن الفوائد الروحية التي حققها لنا بموته على الصليب". وأضاف، "ليس المسيح بالنسبة لنا هو الشريف أو البوليس، لكنه حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يوحنا١: ٢٩). صرّح لوثر قائلاً، "يجب أن ندرك أننا لا شيء. يجب أن نفهم أننا لسنا سوى مستلمين لفوائد كنوز المسيح بالايمان. نحن نقترب من المسيح كعروس تقترب من عريسها في الزواج. فيسوع المسيح، هو العريس الذي يأخذ خطايانا والموت والدينونة على نفسه، ونحن نستلم منه، النعمة والحياة والخلاص".

آمن لوثر، "مع أن المؤمنين قد أعلنوا ابراراً في عيني الله، إلّا انهم يبقون خطاة خلال حياتهم على الارض. فالخطية دائماً موجودة. والانسان التقيّ يشعر فيها، لكنها تصير متجاهلة ومخبّأة في عيني الله، لأن المسيح الوسيط يقف في الوسط فمع أن الانسان الذي يتجدّد بالايمان، يصبح خليقة جديدة في المسيح، لكن الانسان القديم فينا، سوف يحاول دائماً أن يرجعنا الى الحالة القديمة تحت الشريعة.

آمن لوثر، أن علاقة المؤمنين مع الله لا تحدّد من قبل الشريعة، لكن بالرغم من ذلك، تبقى الشريعة تستمر في تعريف حقيقة من نحن وتدين خطايانا.

اعتقد لوثر أن للشريعة غايتين رئيسيتين:

- الأولى: اعطيت الشريعة كما يحكم بواسطتها، الحياة المدنية في المجتمعات.
- الثانية: قصد الله من الشريعة أن تظهر عجز البشر عن تطبيقها، وأن تظهر لهم خطورة حالة طبيعتهم الفاسدة البائسة، كيما يلجأوا الى المسيح.

لم ير لوثر ان الانسان المؤمن بحاجة للشريعة، لكي توجّه حياتع وتقيّد تصرفاته. لكنه اعتقد أن الشريعة تظهر للانسان خطاياه، وتدعوه الى التوبة.

اعتقد لوثر أن عمل الله هو عظيم جداً، في اعطائه الوصايا العشر لموسى. قال " ليحاول كل الناس الحكماء ان يقدّموا ما يقدّمه الله في الوصايا العشر، فلن يستطيعوا ذلك".

يرى لاهوتيون، أن صراع لوثر الشخصي الماضي مع الشرائع وقوانين أثناء وجوده في الدير لمدة ٣٠ سنة، والمرافق بالشعور بالذنب بسبب خطاياه، وحاجته القصوى الى تقوى شخصية، حتّم

نظرته السلبية الى الشريعة. ركّز لوثر أن الشريعة هي الديّانة وتشير الى حرمان وفساد الانسانية، لم ير فيها افادة كبيرة اكثر من كونها تذكّرنا بحقيقة من نحن بشر خطاة فاسدون.

دور الناموس (الشريعة) في الحياة المسيحية

المصلح جان كلفن

مع ان المصلحين مارتن لوثر وجان كلفن، آمنا ان التبرير أمام الله هو بالايمان وحده، وليس باعمال الناموس. لكن بالنسبة للوثر، فإن الشريعة لا تستنهض الانسان للقيام بالاعمال الصالحة، إذ رفض أية اشارة تشير الى أن قدرات الانسان تستطيع أن تحقق متطلبات برّ الله من خلال الاستحقاقات الانسانية الذاتية. عرّف كلفن الشريعة بطريقتين مختلفتين:

- الاولى: بالمعنى العام. رأى كلفن أن الشريعة تشير الى كل شكل من أشكال الحياة الدينية التي أعطاها الله لموسى. نظر الى الشريعة على انها مذكّر (أو مجدّد)، وليس بديلا عن عهد النعمة الذي أقامه الله مع ابراهيم. أيضاً، نظر الى الانجيل نفسه على أنه مثبّت للشريعة، ولا يحلّ مكانها. وبالتالي، كان للشريعة مكانة خاصة ومفيدة في فكر وحياة كلفن. وجد في المزمور التاسع عشر الوصف الجميل والمفيد للشريعة.
- الثانية: بالمعنى الأضيق، وجد كلفن أن الشريعة تشير الى برّ الله ومتطلباته من الانسان، بالمقارنة مع انجيل النعمة الذي أتى به المسيح. اقتبس قول بولس في رسالته الى أهل رومية، "لأن ناموس روح الحياة، قد أعتقني من ناموس الخطية والموت"(رومية٨: ٤)، للاشارة الى طبيعة الشريعة بالمعنى الأضيق. قال كلفن، "بالرغم من أن عهد النعمة متضمّن في الشريعة، لكن بولس لا يتحدث عن هذا الجانب في قوله المذكور، بل تحدث عن الشريعة في كونها تقيّد مخالفات المخالفين، وتهدّد بقصاص الموت، "ناموس الخطية والموت"، بينما الانجيل هو ناموس روح الحياة. قال كلفن "وهنا يظهر الفرق بين الشريعة، وانجيل النعمة".

استعار كلفن من لوثر الهدفين اللذين رآهما في الشريعة:

- الأول: أن الشريعة، تعلن للانسان مدى فداحة خطيته، أمام برّ وقداسة الله. آمن كلفن أن الشريعة تقوم بمهمتين: الاولى، دب الرعب والخوف في الانسان الشرير ليلجأ الى الرب. والثانية، جعل المؤمن يدرك مدى حاجته للاعتماد على نعمة الله.
- الثاني: رأى كلفن، أن الشريعة تضبط عدم تقيّد الانسان بالقوانين، التي تحفاظ على المجتمع من جرائم الناس غير المتجدّدين. كتب قائلاً "الهدف الثاني من الشريعة، هو ضبط أولئك الذين لا ينضبطوا، والذين لا اهتمام لهم في موضوع العدالة والاستقامة. لانهم عندما يسمعون بالقصاص الذي يفرض عليهم، يصابون بالذعر. وهكذا، يحجمون عن القيام بالاعمال الشريرة المخالفة.
- أضاف كلفن هدفا ثالثا للشريعة أو الوصايا العشر في الارشاد والتوجيه. اذ أنها توجّه حياة المؤمنين وتعلّمهم كيفية أن يعيشوا ايمانهم. كتب قائلاً، "يجب أن يكون للشريعة مكانة خاصة في قلوب المؤمنين والمؤمنات، الذين يسكن فيهم روح الرب ويسود عليهم مسبقًا. فالشريعة بالنسبة لهم تخدم كسوط كمؤدّب، الى أن يتخلّص الانسان الروحي من حمل جسد الخطية. وهكذا، تكون الشريعة تكون كحافز دائم، لكي لا تسمح لهم أن يتسكّعوا في ايمانهم".

القس سهيل سعود

<u>" دور الناموس (الشريعة) في حياة الايمان</u>

المصلح الانجيلي وليم تيندل

في مقدّمة تفسيره للتوراة، التي تسلّط الضوء كثيرا على الشريعة، دعا المصلح الانكليزي وليم تيندل القرّاء، الى التمييز بين الشريعة والإنجيل، كيما يدركوا أن الشريعة تقود إلى الإنجيل. بالرغم من إعتقاد تيندل، كباقي المصلحين الانجيليين، أن الشريعة لا يمكن أن تخلّص المسيحي، الاّ أنه رأى أهميّة دورها، في ايقاظ الإنسان الخاطىء، ليدرك حاجته الكبرى إلى الخلاص بيسوع المسيح. قال، "الإنجيل هو الخبر السار، بأن طبيعتنا المريضة والفاسدة، سوف تشفى ثانية وتتخلّص في المسيح، من فسادها باستحقاقات بِرّ المسيح". وأضاف، "لنحاول تطبيق الشريعة، لنكتشف كمّ من الأسى تسبّب لقلوبنا. وبعدها، لنختبر الإنجيل، لنكتشف كيف يجعل

قلوبنا: ترنّم، وترقص، وتقفز فرحًا. إنه أمر جوهري لنا، لا أن نعرف فقط، مضمون الشريعة والإنجيل، ولكن أن نفهم أيضًا، أن الشريعة تسبق الإنجيل، لأنها تقود القلب الخاطىء إلى المسيح". أكمل قائلا، " لو لم يكن هناك شريعة، ما كنّا قادرين على فهم ماذا يعني الإنجيل. لو لم تؤدبنا الشريعة وتظهر لنا خطايانا، ما كنا قد حصلنا على فرصة الغفران والنعمة".

في مقارنته بين الدور الذي تلعبه الشريعة، والدور الذي يلعبه الإنجيل في حياة الانسان المؤمن، قال تيندل: "بينما أنتم تقرأون الكتاب المقدس، فتّشوا أولاً عن الشريعة، لأنها تقول لنا ماذا يجب أن نفعل. والشريعة نفسها، توصلكم إلى الإنجيل. فتّشوا عن مواعيد الله التي وعدنا بها في ابنه يسوع المسيح. لاحظوا الفرق بين الإثنين: الشريعة تتطلّب وتطالب، ويسوع في الانجيل يسامح ويغفر. الشريعة، تهدّد بالدينونة، والانجيل يعد بكل شيء صالح، للذين يضعون ثقتهم في المسيح وحده.الشريعة تنطق بالإثم، وتسبّب غضب الله، فتجعل الإنسان غير محب للشريعة، لأنه يجد نفسه عاجزًا عن طاعتها وتطبيق متطلباتها. الشريعة أعطيت، لإظهار الخطية والموت والدينونة واللعنة. الشريعة هي تلك الحيّات السامّة التي لسعت أولاد إسرائيل في بريّة سيناء وسبّبت لهم الموت. فعندما ننظر إلى الإنجيل في ضوء الشريعة، نرى فيه إشعاع نور، يجعل من القلب التائب الذي إختبر غفران خطاياه، يرنّم ويرقص، ويقفز فرحًا. أما المسيح، فهو الحيّة النحاسية، التي عندما ينظر إليه كل ملسوع، يشفى من سمّ الحيّات القاتلة ، فيحيا وينقذ من آلام الجحيم". الشريعة، هي المفتاح الذي يغلق الباب على كلّ الناس، والإنجيل هو المفتاح الذي يفتح الباب ثانية. فالروح القدس يأتي أولاً إلى الإنسان، ليوقظه من نومه، ويصعقه بصاعقة الشريعة المريعة، ويخيفه ويريه حالته البائسة وشرّه المميت. وبالتالي، تجعل الشريعة الانسان يكره نفسه ويطلب المساعدة. ومن ثم ثاني أمطار الإنجيل السعيدة التي تفرحه. فالإنجيل هو الحياة والرحمة، والغفران المجاني. الانجيل، هو البوصلة الثابتة للحياة في المسيح. الإنجيل هو الأخبار السارة عن النعمة، وعن مواعيد الله الصالحة. ليست الشريعة هي الطريق الذي يقود إلى السماء، بجهودنا واستحقاقاتنا الذاتية، بل هي التي تقودنا إلى المسيح، الذي هو الطريق الذي يؤدّي بنا إلى السماء. دعا تيندل الوعّاظ، الى الوعظ بالشريعة والانجيل في الوقت نفسه. قال، "عندما يعظ الواعظ فقط بالشريعة، فهو يأسر الضمائر. وعندما يعظ بالإنجيل، فإنه يفكّ أسرها ويحرّرها".

القس سهيل سعود

الفلسفة الأخلاقية في الشريعة والإنجيل

قبل إعتناقه الايمان الإنجيلي، كان يعتقد ميلنكثون، أن الانسان هو واضع كل الشرائع والقوانين. ولكن بعد انخراطه في حركة الاصلاح، اقتنع أن الشرائع والقوانين مؤسسة بالدرجة الأولى من قبل الله، مع أنه يوجد البعض منها مؤسس من قبل البشر، مثل القوانين المدنية والأخلاقية والسياسية التي بموجبها يحكم الحكّام والأمراء والملوك بلدانهم. اعتقد أن القانون الطبيعي الذي يحفره الله بالفطرة في ضمير الانسان، والفلسفة الأخلاقية التي نجدها في الفلسفة، هما القاعدة الأساسية التي تُبنى عليها المجتمعات، والأسس التي تنطلق منها كل النشاطات الإنسانية الأساسية. ذكر في كتابه، "الأماكن العامة"، بعض القواعد الأساسية التي تبنى عليها المجتمعات، والتي هي: عبادة الله، عدم تسبّب الأذى لبعضنا البعض، واستخدام الأشياء بشكل مشترك.

رأى ميلنكثون، أن العهد القديم من الكتاب المقدس يتضمن ثلاثة انواع من الشرائع: الأول، شريعة أخلاقية، التي هي الوصايا العشر. الثاني، شريعة قضائية، للحكم بين أحوال ومسائل الناس. الثالث، شريعة طقسية، التي هي طقوس العبادة. اعتقد، أن الشريعتين الطقسية والقضائية، هما غير ملزمتين للمسيحيين. قال، "على المسيحيين ألا يلتزموا بالشريعتين: الطقسية والقضائية، لأنهما كُتبتا حصرياً للشعب العبري، وهما تتضمّنان ممارسات وتقاليد تختّص بهم وحدهم". وأضاف، "اذا ما كان لا بد لنا أن نتعامل معهما، علينا أن نتعامل معهما بشكل مجازي". آمن ميلنكثون، أن الشريعة الأخلاقية أو الوصايا العشرة، لا تزال سارية المفعول، لأن الله وضعها لكل الأجيال والعصور. اعتقد أن الوصايا العشر، تضع المسيح نصب أعيننا، لنراه بشكل واضح. قال، "توصي الشريعة بالخير وتمنع الشر، والإنجيل يتضمن مواعيد رحمة ونعمة الله. بعد دراسته أقوال الرسول بولس حول العلاقة بين الشريعة والانجيل، لا سيما في الآيات التالية: "إن كانت خدمة الموت المنقوشة في حجارة" (٢كورنثوس٣: ٧). "أما شوكة الموت فهي الخطية، وقوّة الخطية هي الناموس" (١كورنثوس١٥: ٥٦). "لأني لست أستحي بإنجيل المسيح، لأنه قوّة الله للخلاص لكل من يؤمن به" (رومية١: ١٦)، فقد وجد أن تمييز بولس بينهما، هو المفتاح الرئيسي لفهم كل الكتاب المقدس. قال: "الشريعة تظهر الخطية، والإنجيل يُظهر النعمة. الشريعة تشير إلى المرض،

والإنجيل يشير إلى العلاج. الشريعة تشير الى الموت والدينونة، بينما الانجيل يشير إلى الحياة والخلاص ". رأى ميلنكثون أن مضمون الوصايا الثلاثة الأولى، من الوصايا العشرة هي حول عبادة الله، ومحبّته من كل القلب والفكر والحياة. قال: "في حين أن السكوستيين علّموا أن محبتنا لله، تعني أن نؤمن أنه موجود، الاّ أننا نعلم أن محبة الله بشكل حقيقي، تتطلّب أكثر من الإعتقاد والإيقان بقدرة العقل البشري على المحبة. فلن يدرك إنسان ماذا يعني أن نحبّ الله، إن لم يعلن له الروح القدس ذلك لأنه عندها تلتهب قلوبنا فينا، كما التهب قلبا تلميذي عمواس عندما كسر يسوع الخبز وانفتحت أعينهما، إذ قالا: "ألم يكن قلبًا ملتهبًا فينا، إذ كان يكلّمنا على الطريق" (لوقا٢٤: ٣٢).

الخطيئة الأصلية: مارتن لوثر

أن نركّز على المبدأ الاساسي الذي اطلقه مارتن لوثر أثناء حركة الاصلاح الانجيلي، "التبرير بالايمان وحده"، دون أن نتعرف على مفهومه عن "الخطيئة الأصلية"، يعني أن لا نعرف باقي القصة. عرّف السكولاستيون اللاهوتيون الخطيئة الأصلية، على أنها نقص في "هبة خاصة" منحها الله للانسان عند خلقه، سميّت "البرّ الأصلي". تلك الهبة أهّلت ارادة الانسان كيما تنسجم مع ارادة الله. وذلك البرّ الأصلي سمح للانسان، أن يتوجّه بشكل صحيح نحو الله. لكن، عندما سقط الانسان في الخطيئة بعدم طاعته لوصية الله بعدم الأكل من شجرة معرفة الخير والشر، انتزع الله منه تلك الهبة الخاصة أو البرّ الاصلي. فلم يعد الانسان متوجهًا نحو الله. وهكذا، فقد سيطرته على غرائزه. ولم تعد رغباته موجّهة، من قبل فكر وارادة الانسان. إلاّ ان اللاهوتيين الكاثوليك، اعتبروا أن هذا الأمر، ليس خطية بحد ذاته. فهذه الرغبات غير المتحكّم بها بقيت في الانسان مجرّد ميل نحو الخطيئة. ولا تعتبر خطية ان لم تتجسّد في أعمال فعلية خاطئة. آمن اللاهوتيون السكولاستيون، أن الانسان في قواه الطبيعية يمكن أن يكون لديه محبة غير أنانية. ويمكن أن يكيّف الله مطالبه

البارة، كيما يقبل أفضل الأعمال التي يمكن أن يقدمها الانسان، والله بالمقابل يمنح الانسان النعمة كيما يبذل كل ما في وسعه للقيام بالأعمال الحسنة، وان الله سوف يستجيب منعمًا معه.

كان مصدر هذا الفكر اللاهوتي: القديس أنسيلم، والقديس توما الأكويني، اللذين عرّفا الخطية الأصلية على أنها نقص في شيء وخسارة الهبة الخاصة أو البرّ الاصلي الذي منحه الله للانسان عند خلقه، بخلاف تعريف القديس أوغسطينوس، الذي عرّف "الخطيئة الأصلية" كميل شرير فاعل للتمرّد ضد الله.

عندما انعقد مجمع ترنت، كرد على حركة الاصلاح الانجيلي، في نصف القرن السادس عشر، ذكر المجمع، "ان هذا الميل الذي أسماه الرسول بولس في بعض الأحيان خطيئة، فإن المجمع المقدّس يصرّح ان الكنيسة الكاثوليكية لم تفهمه أنه يدعى خطيئة، بمعنى انه حقيقة خطيئة في أولئك الذين يولدون من جديد، وانما بمعنى أنه ميل الى الخطية". عرّف مجمع ترنت الخطيئة الأصلية على أنها "نقص في العدالة والقداسة". اعتقدت الكنيسة ان الشعور بالذنب والدينونة التي تنتجها الخطية، تُزال بواسطة نعمة الله في المعمودية.

كان لمارتن لوثر ردة فعل قوية ضد هذا المفهوم الأكويني. رأى أن هكذا تعليم، له انعكاس مباشر على مفهوم الخطيئة الاصلية، لأنه يفيد أن الانسان حتى بعد السقوط لا يزال قادرًا أن يطلب الله. آمن لوثر أنه قبل السقوط كان الانسان آدم يميل فقط نحو الصلاح، لأنه كان في حالة البرّ الاصلي. كان آدم وحواء يستطيعان معرفة الله ومحبته والايمان به. الاّ أنه بسبب خطية عدم اطاعة وصية الله، وفقدانهما البرّ الأصلي، فقد فقدا قدرتهما على القيام بأي شيء صالح. آمن لوثر أنه بسبب الخطيئة الأصلية، فقد أصبح الانسان في عبودية أخلاقية، ولم يعد حرًا إلاّ ليختار الشر. وبالتالي، لا يستطيع الانسان أن يفعل شيئًا ان لم يبادر الله نحوه ويخرجه من حالته الخاطئة.

أتت قناعة لوثر بحقيقة، الخطيئة الأصلية، من مصدرين أساسيين: الأول، اختباره الشخصي. والثاني تبنّيه لتعليم القديس أوغسطينوس.

اختبار لوثر الشخصي مع الخطية الأصلية

لم يأخذ لوثر خطاياه بشكل خفيف. لم يرد أن يقوم بتسويات مع الخطية. كان مهووسًا بخطاياه ونقصاته، مدركًا للرعب الذي تسببه له خطاياه. شعر لوثر أنه مدان أمام الله. اتهم لوثر بالمريض النفسي بالهوس والقلق. كان يذهب الى كاهن اعترافه، ستوبتز، ويعترف له لساعات

طويلة، تصل الى حدود ٦ ساعات. كان يعترف بخطايا عرضية وغير مهمة، وجد كاهنه انه لا حاجة للاعتراف بها. كان لوثر يبحث في ذاكرته ويمحّص كل ميل من ميوله ليتأكد انه اعترف بكل خطاياه. لقد ضجر منه كاهن اعترافه، وقال له "اذا أردت أن يغفر لك الله خطاياك، تعال بخطايا يستحق الاعتراف بها، مثل: قتل الأب، تجديف، زنى وغيرها، بدلا من هذه الهفوات البسيطة التي تقترفها". اكتشف لوثر في نفسه، ميل فاعل نحو الخطيئة. اختبر الألم النفسي لأنه ادرك، ان تلك الخطايا المتكررة، ترتبط بطبيعة، من هو كإنسان. فقد أدرك في نهاية المطاف أن طبيعته خاطئة.

بالرغم من أن السكولاستيين، علّموا أن هذا الميل نحو الشر، ليس خطيئة بحد ذاتها، لكن هذا التعليم، طرح تساؤلات كثيرة في ذهن لوثر. سأل، هل ارادته لم تتجدّد؟ هل هو فعلاً في حالة النعمة؟ فهو لم ير دلائل على عمل النعمة الفاعل في اختباره. لم يساعد تعريف لاهوتيي الكنيسة للخطية كنقص على معرفة ما كان يحدث معه. بالرغم من التزامه بكل حياته الرهبانية التقشفية، فهو لم يشعر ان شعوره بالخطية قد خفّ. أراد لوثر لاهوتاً يخاطب اختباره ويمنحه العزاء والخلاص. ان العزاء الذي قدمه كاهنه ستوبيز، "أن الله غفور رحيم، لم يخفّف من قلق لوثر". رأى أن هذا النوع من العزاء، يقلل من برّ الله. رفض لوثر تقديم عدالة الله، بتلك التعابير الانسانية التي لا تفيد الانسان الذي طبيعته خاطئة. كان العزاء الذي قدمه التعليم الكنسي في القرون الوسطى، متجذّرا في نظرة مختلفة الى الخطيئة الأصلية. لم يزوّده ذلك التعليم بالاستراتيجية المطلوبة لتخاطب انسانيته الخاطئة، التي هي النبع الذي ينبع منه أفعاله الخاطئة. وهذا كان سبب رعب لوثر من خطاياه. يذكر المؤرخ، روتلد بانتون، في كتابه "سيرة مارتن لوثر"، "كان هناك بالنسبة للوثر، شيئًا أكثر راديكالية من لائحة الاساءات التي تمكّن من تعدادها والاعتراف بها، والحصول على غفرانها". اكتشف لوثر عبر اختباره، أن طبيعة الانسان هي فاسدة، وأن نظام التوبة السائد في كنيسة القرون الوسطى فشل في معالجة حالته، لأنه كان موجهًا الى هفوات خاصة. لكن، لوثر ادرك ان كل الطبيعة البشرية هي خاطئة وفاسدة وهي بحاجة الى الغفران الالهي.

رفض لوثر، تعليم الكنيسة بأن الانسان في طبيعته يمكنه أن يتّخذ خطوة باتجاه محبة الله، أو أنه يستطيع أن يقوم بأي شيء، كيما يتجاوب مع نعمة الله. وجد لوثر، أنه حتى بعد التوبة، فهو لا يزال يمتلك رغبات خاطئة، حتى في أفعال تظهر أنها صالحة. بدأ يشعر لوثر بالحرية، ليس فقط عندما واجه حقيقة طبيعته الفاسدة، وانما عندما آمن أن ذبيحة المسيح

الفدائية على الصليب، لديها كل القوة الفعالة المطلوبة لفداءه وتحريره، ليس فقط من خطاياه الفعلية، وانما أيضاً من طبيعته الخاطئة. قال، "عندما أدركت ذلك عندها شعرت أني ولدت من جديد، واجتزت ابواباً مفتوحة في الفردوس". هذا الاختبار الروحي حرّر لوثر من صراعه الداخلي المستمر، وأهّله للذهاب الى العالم والكرازة بانجيل النعمة المذهلة.

تعليم القديس أوغسطينوس عن الخطيئة الأصلية

ارتبطت بداية عقيدة لوثر حول الخطيئة الأصلية، باكتشافه تعاليم القديس أوغسطينوس ضد بيلاجيوس، ذلك الراهب في القرن الخامس الذي أنكر أن البشر هم بالطبيعة خطاة، بل آمن أن البشر لديهم طبيعة جيدة، ولديهم القدرة ليختاروا الله ويقوموا بأعمال صالحة دون نعمة الله. قال بيلاجيوس "يجب أن نفهم الخطية على أنها تمرّد ارادي على الله. فإن خطية آدم تطبّق علينا، فقط لأننا بذلك نقلّد آدم". وأضاف، "لا يبدو عادلاً أن يسمح الله ان تولد كل الانسانية في حالة الخطيئة الاصلية، ومن ثم يعاقبهم على تلك الحالة التي خلقوا فيها، فانهم لم يكونوا مسؤولين عنها". جادل ، "أنه ليس من العدالة أن يطلب الله من البشر ان يعيشوا بناء لمتطلبات الشريعة التي لا يمكن أن يطبّقوها". لهذا، اعتقد أن الجنس البشري يملك القدرة أن يعيش بناء لمتطلبات الشريعة. لكن جواب كلفن لهذا الفكر ان دوافع الله ليقوم بهذا العمل هي صالحةن ونحن لسنا في موقع ان نعرف ما هي دوافع الله. تبنّى لوثر عقيدة القديس أوغسطينوس، حول الخطيئة الأصلية. عرّف الخطيئة الأصلية على أنها "تصريح عن حالة الطبيعة البشرية الفاسدة".

في استبيان أقيم في أميركا منذ بعض السنين، لاكتشاف مدى معرفة الانجيليين عن "الخطيئة الأصلية"، تبيّن أن أكثر من نصف الانجيليين، يدينون بعقيدة بيلاجيوس الذي أنكر أن البشر هم خطاة بالطبيعة . ٣٨٪ من الانجيليين الذين اشتركوا في الاستبيان، أجابوا "اوافق بشدة" على هذا الفكر. ٣٥٪ أجابوا "أوافق". ٣٪ أجابوا "غير متأكدين". و٤٤٪ رفضوا هذا الفكر البلاجيوسي. وآمنوا بعقيدة الخطيئة الأصلية.

رفض لوثر الميل السكولاستي، باستبدال النعمة الالهية، مع نور العقل الانساني. قال، "ان استخدام العقل الانساني للتمييز بين الصلاح والطلاح، سيتمّ بناء للفكر البشري وليس لفكر الله". قال "نحن في الطبيعة، نعيش في الخطية والموت، ونتوق للأمور الفاسدة والشريرة". آمن لوثر أن كل عمل يقوم به الانسان، حتى لو بدى خارجيًا عملاً صالحًا، فهو تحت تأثير الخطيئة.

لم يكتب لوثر أفكاره عن "الخطيئة الأصلية" بشكل منتظم في كتاب مخصّص للموضوع. لكنه، دوّن أفكاره عن "الخطيئة الأصلية" في كتاباته المتنوعة، لا سيما في محاضراته حول الرسالة الى أهل روميه، التي اعتبرها المدخل لفهم الايمان الصحيح. عرّف لوثر "الخطيئة الأصلية"

على أنها "ليست نقصًا في نوعية ما في الارادة، أو نقص نور في الفكر، لكن نقص كامل في النفس والجسد. انها ميل كامل فاعل نحو الشر". وجد لوثر، أن تعريف الكنيسة للخطية كنقص، لا يعبّر عن مدى التدمير الذي فعلته خطية آدم الأصلية في الانسان. قال لوثر، "الذي لا يرى فرقًا وتناقضًا في التصريح، بأن القوى الطبيعية هي كاملة، والتصريح بأن طبيعتنا البشرية هي فاسدة بالخطية، ينتهي به المطاف الى القيام بالأمور الجيدة، بطريقة شريرة. فالامور الجيدة التي تجريها قوانا الطبيعية، هي جيدة بطريقة شريرة. ونحن نجريها، ليس خدمة لله، وانما خدمة للمخلوق". تحدث لوثر في محاضراته حول الرسالة الى روميه، عن عدم قدرة الانسان المساهمة في عملية خلاصه. علّم أن الخطيئة الأصلية، هي عدم ايمان بالله وعدم ثقة في وعود المسيح. آمن أن جوهر جذور الخطيئة الأصلية، هو في عدم اطاعة الوصية الأولى من الوصايا العشر، "أنا هو الرب الهك، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي". شدد لوثر على أهمية الوعظ عن الفرق بين آدم الاول وآدم الثاني، أي المسيح. كما أن جزاء آدم الاول قاد الى الدينونة، فإن هبة آدم الثاني هي هبة النعمة. ان عقيدة لوثر حول الخطيئة الأصلية، صاغت كل لاهوته وتعاليمه وعظاته.

آمن لوثر، أن الطبيعة القديمة الخاطئة، لا تزول في حياة المؤمن طالما هو على الارض. لهذا، فهو يبقى تلقائيًا خاطىء وقديس. فالمؤمن لديه بداية البرّ، لكنه يعلم أنه خاطىء. ويؤمن أنه غير قادر أن يفعل اي شيء صالح، ان لم يستمرّ في اتباع ارادة الله في حياته. وصف لوثر حياة الانسان المؤمن على أنها تبرير وتقديس. وأن كل خطوة ايمان واعية يتّخذها الانسان المؤمن، فإنه ينتقل من الخطية الى البرّ.

آمن لوثر، أن الخطيئة الأصلية تسجن وتأثر الانسان، وتقوده الى تدمير ذاته. أدرك أن الطبيعة البشرية سوف تستمر في اصدار الخطايا حتى بعد الايمان.قال، "ان معرفتنا لهذا الفساد الكلي في الطبيعة البشرية، يجعل الانسان المؤمن يئنّ ويتوق لأن يتخلّص من جسد هذا االموت" . اقتبس قول الرسول بولس، "ويحي أنا الانسان الشقي. من ينقذني من جسد هذا الموت؟" (رومية ٧: ٢٤).

ذكر المصلحون الانجيليون، أن العقل والروح قد ابتعدا عن الله. لا يتحدث المفهوم المصلح، عن الخطيئة الأصلية على أنها خسارة القدرة على التحكّم في الرغبات البشرية، وانما ميل خاطىء فاعل في كل رغبة بشرية. آمن المصلحون، أن هذا المفهوم للخطيئة الأصلية، يجعلنا نفهم بشكل أعمق قوة غفران المسيح المذهلة. آمنوا أن دم المسيح يغطي ويغفر ذنب فساد طبيعتنا الخاطئة، كما أنه يغفر خطايانا الفعلية التي تخرجها الطبيعة الخاطئة. فإنه، كما في آدم، سقط الانسان في الخطية، فإنه في المسيح، سوف يختبر نسل أدم صلاحًا. لهذا، لن يحتاجوا بعد اليوم أن يفكروا

بعمق خطيتهم، بل عليهم أن ينظروا خارج أنفسهم الى خلاص يسوع المسيح الذي يحرّرهم بواسطة الايمان.

عرّف لوثر الخطيئة الأصلية في بنود سمالكلد اللوثرية، "على أنها الخطيئة الأولى التي منها تخرج كل الخطايا الصغيرة التي نقترفها. وأضاف، "هذه الخطيئة الاصلية، أفسدت طبيعتنا الى حد أننا لا نستطيع بعقلنا او ارادتنا، أن نفهم الأمور التي لله ونختار الله ونطيعه. هذا الفساد هو كبير جداً فينا الى حد أصبحنا عميانا، لا نراه ولا نفكر أن هناك شيئا خاطئا فينا. وبالتالي، فالخطيئة الأصلية تجعلنا نعتقد أننا في حالة جيدة كما نحن، دون أن نحتاج لأن نتغيّر. وبالتالي، فالخطيئة الأصلية، تعمي أنظارنا عن معرفة حالتنا الحقيقية الفاسدة".

آمن مارتن لوثر، أن الوحي الالهي يأتي من خارجنا، من كلمة الله في الشريعة، التي تكشف لنا حقيقة حالتنا الفاسدة، وتدينا على طبيعتنا الفاسدة. وبالتالي، بدون كلمة الله الخارجة عنا، يمكن أن نكمّل طريقنا سعداء معتقدين أن لا خلل فينا، وليس شيء خاطىء فينا ، أو على الأقلّ فإننا دائمًا سنبحث عن أحد كيما نضع عليه اللوم على أخطائنا. وهذا ما فعله بالتحديد آدم وحواء. اذ وجّهوا اللوم لبعضهم البعض. وبالنهاية، لاموا الله على خطيتهم". إن طبيعتنا الخاطئة الموروثة قد حكم عليها بالموت الأبدي.

قال لوثر، "ان الخبر السار الذي ينقله لنا الانجيل، أن الله الذي نحن الانسان أخطأنا ضده، قد حمل الخطية الأصلية عنا، كيما يخلّصنا منها بموت ابنه على الصليب. وأضاف، " أصبح المسيح انساناً وخاطئًا لأجلنا مع انه لم يعرف خطية ولم يوجد في فمه غش (٢كورنثوس٥: ٢١). وصف لوثر عمل الله العظيم بأخذه خطيتنا، "بالتبادل الفرح". قال، "انها التجارة الأفضل في كل الأزمنة، أن يسوع المسيح أخذ عليه خطيتنا الأصلية وكل خطية فعلية اقترفناها. أتى المسيح الى عالمنا كيما يشاركنا في طبيعتنا الانسانية الخاطئة، ويزيل منها قوّتها ونحن في هذه الحياة. لقد أخذها وأخذ معها كل دينونة علينا يوم الجمعة العظيمة عندما علّق على الصليب، وأعطانا الأحد، بقيامته من القبر برّه والعلاقة الصحيحة مع الآب. اختبر لوثر السلام مع الله، بعد اختباره قوة الغفران واختباره محبة الله الغافرة في يسوع المسيح.

قال لوثر، عندما نفكر في قوة الخطيئة، يجب أن ننظر مباشرة الى المسيح، ليس كمعطي للشريعة التي تشير الى طبيعتنا الخاطئة، وانما كمخلّصنا الذي أتى كيما يزيل عنا حالتنا الفاسدة ويدمّرها بموته على الصليب. إن خطورة انكار طبيعتنا الفاسدة بسبب الخطية الاصلية،

يمكن ان يقودنا الى انكار المسيح كمخلصنا. فالذين لا يؤمنون بالخطية الأصلية، لا يدركون حاجتهم الماسة الى يسوع المسيح المخلص.

المسيحي خاطىء مبرّر

وصف المصلح مارتن لوثر رحلة الإيمان المسيحي، بأنها تبدأ بالتبرير وتستمر بالتقديس. فالتبرير هو إعلان الله بأنه يقبل ويرحب بالانسان الخاطىء الذي يؤمن بيسوع المسيح ويتخذه رباً ومخلصاً لحياته. لكن قبول الله للخاطىء، لا يعني بأن الإنسان قد انتهى من الخطيئة بشكل نهائي ولم يعد يخطىء فيما بعد. يحذّر المصلح لوثر، المؤمن من خطورة البر الذاتي والاعتداد بكمال أخلاقه بعد إيمانه بالمسيح. فهو يقول ""يجب ألا يظن من يؤمن بالمسيح بأنه قد صار طاهراً من كل خطاياه، لأنه سوف يواجه معركة مستمرة مع بقايا الخطيئة"". كما يطلب من المؤمن أن يتذكر بأن التبرير الذي ناله ليس منه، بل حصل عليه من نعمة خارجة عنه هي نعمة المسيح. لهذا يجب ألا يعتد ببره بل ببر المسيح فيه. ويشدد لوثر، أن التبرير لا يحدث مرة واحدة للمؤمن، أي عند قبوله خلاص المسيح، بل إن كل الحياة المسيحية إنما هي عملية تبرير، وتقديس، مستمرين. فإذا ما كان التبرير هو إعلان الله قبول الإنسان الخاطئ، فالتقديس هو ما يجريه الرب داخل الإنسان المبرر ، في حياته المسيحية العملية اليومية. قال لوثر،" فآدم القديم الذي يسكن فينا بسبب فسادنا، لم يُلغَ منا بشكل كامل، وما عملية التقديس إلا محاربة بقايا الخطية فينا".

وبالتالي، لم يثق المصلحون الانجيليون، بوجود النقاوة الكاملة في الإنسان مهما كانت أعماله حسنة. يقول المصلح جان كالفن "أنا أجزم بأن أفضل إنجازات الإنسان يتخللها بعض الفساد بسبب عدم نقاء في مكان ما". ويضيف "ليحاول أي خادم مبرر أن يختار من كل حياته ما يعتبره أفضل إنجازاته وأعماله، وليمتحنها من كل النواحي، فإنه بدون شك سوف يكتشف فيها البعض من الكبرياء ومن بقايا تلوث الخطيئة. أنبل أعمال الإنسان لا تستطيع أن تصمد أمام تمحيص الإله القدير لها". لهذا فقد دعا المصلحون الإنجيليون المؤمنين بالمسيح، أن لا يعتمدوا على أعمالهم وجهودهم البشرية ولا يفتخروا بها ويمجدوها، ولا يربطوا خلاصهم بها، لئلا يصابوا بالبر الذاتي والكبرياء الروحي ، بل عليهم العودة دائماً إلى الله، لنيل التبرير والتقديس منه. فالاعتماد على عمل الله في الحياة، يسمو على كل الإنجازات الإنسانية مهما علا شأنها.

إن تركيز المصلحين على قوة تأثير وتدمير الخطيئة في الحياة الانسانية، جعلهم يجدون الحل الكتابي الشافي من خلال معجزة الغفران الإلهي التي يقدمها الرب يسوع المسيح. يقول المصلح

مارتن لوثر "بأن غفران المسيح العجيب يحررنا من اليأس والقلق اللذين تسببهما قوة الخطيئة فينا. غفران المسيح يضع فينا الرجاء الحي. غفران المسيح يجدد قوتنا. إن كل حياتنا المسيحية ونشاطاتنا وأعمالنا، يجب أن تؤسس على غفران المسيح. فطلب غفران المسيح ضرورة مسيحية مستمرة. لهذا فقوة المسيحي لا تنبع من حالة عدم الخطية والقداسة الكاملة، بل تنبع من غفران المسيح لخطاياه. وهذا ما يميز الإنسان المؤمن من غير المؤمن، عند الوقوع في الخطية. فغير المؤمن يخطئ دون أن يشعر بحاجته للغفران. أما المؤمن فإنه عندما يخطئ ينهض من خطيئته، بواسطة غفران المسيح الذي يؤمن له الاستمرار في حياة الإيمان.

يتحدث المصلح مارتن لوثر عن صراع شديد ومستمر داخل الإنسان المؤمن، وهذا الصراع هو بين الإنسان القديم والإنسان الجديد، اللذين يسكنان فيه. ففي التقديس، يقوم المؤمن دائماً بخلع الإنسان القديم، ولبس الإنسان الجديد. لهذا فالتجديد ليس فقط حدث الإيمان الأول. التجديد عملية مستمرة في الحياة. وهذا الصراع يجب ألا يتوقف أبداً، بل يجب أن يبقى في حركة مستمرة ودائمة، لأنه إذا ما توقف فهو يشير إلى التقهقر في حياة الإيمان والبعد عن الله. لقد قال أنه "فقط في استمرار الصراع والتقدم، يتحقق النمو في حياة الإيمان والقداسة. فينتقل المؤمن من خطية إلى بر، وفي الوقت نفسه من بر إلى بر". وفي هذا التقدم من الخطية إلى البر، يزداد تأثير البر في حياة المؤمن، فنصير كما يقول بولس مشابهين صورة ابنه (رومية ٨:٢٩)، ونتغير إلى تلك الصورة عينها من مجدٍ إلى مجدٍ (٢كو٣:١٨). هذه الحركة في التقدم ليست دائرية بل باتجاه نقطة النهاية. لكن مهما ازداد هذا التقدم، فالمؤمن لن يصل إلى مرحلة القداسة الكاملة مهما طالت حياته على الأرض. فالقداسة الكاملة ستتحقق عندما نكون مع المسيح في السماء.

لهذا ، يشدد المصلحون الإنجيليون، على أن الإنسان المسيحي الذي تبرر بالإيمان يصبح : دائماً قديس(أو خاطىء مبرر)، ودائماً خاطئ. وقد أوضح مارتن لوثر هذا التناقض في التعبير، بتأكيده أن حياة الإيمان تنحصر بين نقطتين. فعندما يتوب الإنسان، ينطلق من نقطة البداية أي مرحلة الخطية بشكل كامل، الى مرحلة القداسة. ولكن بما أنه لن يصل إلى النقطة النهائية، أي مرحلة القداسة الكاملة، التي يصل إليها الإنسان المؤمن في السماء، فإنه يبقى خاطئًا محتاجًا إلى غفران المسيح. في هذا المفهوم، الانسان المسيحي ،هو قديس إذا ما قورن مع نقطة البداية التي كان فيها فقط خاطئًا، لكنه أيضا، يبقى خاطئا محتاجا إلى غفران المسيح، إذا ما قورن مع نقطة النهاية التي هي القداسة الكاملة في السماء.

مما لا شك فيه أن المصلحين الإنجيليين، لم يؤمنوا بأن هناك كمال وقداسة كاملة في مسيرة الإيمان على الأرض، بالرغم من التغيير النوعي الكبير الذي يجريه المسيح في حياة من يختبر خلاصه. هذه النظرة إلى حياة الإيمان هي نظرة واقعية يعرفها كل مسيحي صادق.

لقد رغب المصلحون الإنجيليون بنظرتهم هذه في التركيز: من جهة، على: أهمية المبادرة الإلهية، وعمل النعمة، ومعجزة الغفران الإلهي، وحاجة الإنسان القصوى والمستمرة إلى حضور الله في حياته. ومن جهة أخرى، تجنب استغلال المؤمن لهذا الاختبار الروحي والتغيير الكبير، الذ يجريه المسيح في حياته، فينشغل ببره وإنجازاته، ويصاب بخطيئة البر الذاتي والكبرياء الروحي، وهكذا يسقط من النعمة.

.

الخطيئة الاصلية: جان كلفن

مثل لوثر، آمن كلفن، أن الخطيئة الأصلية هي تعبير يصف حالة طبيعة الانسان الفاسدة. عرّف كلفن، الخطيئة الأصلية على أنها "فساد وراثي في طبيعتنا البشرية، منتشر في كل أجزاء النفس، مما يجعلنا معرّضين للغضب الالهي، وينتج فينا أعمالاً يسميّها الكتاب المقدس "أعمال الجسد". تحدث كلفن عن عبودية الارادة، قائلا، "الارادة مستعبدة لعبودية الخطيئة، الى حد كبير بحيث أنها لم تعد قادرة أن تكرّس نفسها لأي شيء صالح". قال كلفن، "لا يمكن أن نأمل بأن يكون الانسان صالحًا ان لم يختاره الله". آمن كلفن، مع ان صورة الله في الانسان لم تمح بشكل كامل بسبب الخطيئة الأصلية، الاّ أن الانسان يعيش في حالة صعبة لأن ما بقي من صورة الله فيه قد حصل فيها تشوّه مخيف، لهذا يقف كل انسان أمام الله كخاطيء يشعر بالذنب، وهوخاضع للعنة الناموس. وليس لديه أية وسيلة لتحقيق خلاصه، ما عدا الايمان بالمسيح". آمن كلفن أن الخلاص هو عمل الهي مستقل عن أي جهود بشرية.

خلافا للوثر، إن تركيز كلفن على الايمان لم يجعله يقلّل من أهمية الأعمال في مسيرة الايمان. قال "لا يمكننا أن نحلم بإيمان بدون أعمال صالحة، أو نحلم بتبرير غير مرافق بأعمال صالحة". وأضاف، "مع أننا نؤكّد على ضرورة الارتباط بين الايمان والأعمال الصالحة، إلاّ اننا ننسب تبريرنا أمام الله، ليس للاعمال وانما للايمان وحده". كان يقول لوثر "ثقّ بالله، وافعل ما شئت". أما كلفن فكان يقول، "ثقّ بالله واعمل ما عليك أن تقوم به".

قال كلفن، "يقول الأساتذة الكاثوليك، "التفكير في الشرّ لا يعتبر خطية، ان لم تفعل الشر. إذا ما كان لدينا ميل الى ما يدينه الله في شريعته، فإن هذا الميل لا يعتبر أمرًا مهمًا". وأضاف، "بالنسبة لنا، نحن نؤمن اننا غارقون في الخطية والضلال، في كل شيء نقوم به وفي كل وسيلة نختارها، الى أن ينظر الله الينا برحمته وينتشلنا من حالتنا الفاسدة. اذا ما كنّا غير واعين للخطايا الخفية فينا، من الضروري أن يأتي الينا الله ويمتحننا ويمحّص حياتنا. وبعدها سوف نتعلم أن نتواضع أمام الله، وبالتأكيد سوف نضطرب ونتأوّه. فسوف نخجل من أنفسنا، الى أن ينزع الله منا كل كبرياء وتشامخ".

ترتبط عقيدة كلفن حول الخطيئة الأصلية بشكل لا ينفصل عن عقيدته حول السقوط آمن كلفن بتاريخية قصة السقوط،التي يذكرها سفر التكوين في الاصحاح الثالث. آمن أن آدم الأول

كان شريك عهد مع الله، ورأس الجنس البشري الروحي والبيولوجي الذي بإرادته تمرّد على وصية الله. وهذا التمرّد هو أكثر من مجرد كبرياء كما علّم أوغسطينوس. فمشكلة آدم هي نقص في الايمان، بالاضافة الى الكبرياء. وبانتقال الخطيئة الاصلية الى الجنس البشري، فإن كل كائن انساني يولد مع الخطيئة الأصلية. قال كلفن، "حيث أننا فاسدون، في كل أجزاء طبيعتنا، فإننا مستحقون دينونة الله، لأن لا شيء مقبول أمام الله القدوس، ما عدا البرّ والبراءة والطهارة. لم يقم كلفن اعتباراً لمفهوم اوغسطينوس، ان كل الانسانية ورثت الذنب من خطية آدم، لأنه ليس من العدل ان يعاقبنا الله لما فعله آدم. بدلاً من ذلك، اعتقد كلفن أن حالتنا في الفساد الكلي، بسبب الخطية الأصلية هي التي تجعلنا معرّضين لدينونة الله.قال كلفن "نحن لسنا مدانون بسبب خطية السقوط، وانما بسبب الطبيعة الفاسدة التي نتجت عن تعدّي آدم وسقوطه في الخطية".

ميّز كلفن بين، جوهر أجسام البشر ونفوسهم. قال،" مع أن نفوسنا ليست شريرة، لكنها أشبعت بالشر بسبب الخطيئة".

نظر كلفن الى الخطيئة الأصلية على أنها مأساة الانسانية، لأن الانسانية فقدت البرّ (الصلاح) الأصلي الذي خلقت عليه، وصورة الله المجيدة قد تغبّشت بسبب الخطية. اعتقد ان الخطيئة الأصلية جلبت البلية على الانسانية. فالفهم قد أظلم والارادة التي تأتمر بأوامر الفهم ،تسعى دائماً نحو الخطيئة وليس وراء الله. اعتقد كلفن أن صورة الله لم تستأصل منا بشكل كامل، مع أنها تقريباً قد محيت. فالانسان لا يزال يملك مواهب أعطاه الله اياها، مثل العقل، بالرغم من أن تلك المواهب لم تبق كما كانت عليه قبل السقوط

رفض كلفن كل المحاولات الطبيعية، لتفسير عقيدة الخطية الأصلية. مثلاً، رفض القول أن الخطية الأصلية هي مرض موروث، ينتقل الينا من العملية البيولوجية. اعتقد كما أن الله نفسه أعطى الانسانية المواهب الرائعة في آدم، فإنه ايضاً عاد وسحبها منها بسقوط آدم في الخطية. اقتبس كلفن قول االرسول بولس "ولكن ليس كالخطية، هكذا ايضاً الهبة، لأنه ان كان بخطية واحد، مات الكثيرون. فبالأولى كثيراً نعمة الله والعطية بالنعمة التي بالانسان الواحد يسوع المسيح، قد ازدادت للكثيرين"(رومية5: 15). قارن كلفن بين ما جلب آدم الأول، وما جلب آدم الثاني، أي المسيح. مع أن كلفن اعتقد أن الطبيعة الفاسدة هي التي تنتج فينا خطايا فردية، إلاّ انه اعتقد ايضاً، أن الناس ليسوا غير فاعلين في حالتهم الفاسدة، فهم يعملون بنشاط لحمل أثمار سيئة في حياتهم وتصرفاتهم.

آمن كلفن أن آدم هو الوحيد الذين كان لديه ارادة حرة حقيقية. وبعد السقوط، استعبدت ارادة الانسان، ولم يعد يقوى إلاّ على فعل الشر. قال، "لا تستطيع ثمرة سيئة ان تثمر أثماراً صالحة". اعتقد أوغسطينوس ان الخطيئة الاصلية، مجرّد أضعفت الارادة الحرة، لكن كلفن آمن أن الخطية الاصلية قد ألغت الارادة الحرة. الخطيئة الأصلية، جعلت الناس عاجزين عن التجاوب بشكل ايجابي مع الله. لهذا، يجب ان تأتي المبادرة من الله. آمن كلفن أن قداسة الله لا تستطيع أن تحتمل إلاّ النقاء في خليقته. لهذا، فإن الخليقة الملوّثة بالخطية مكروهة من الله.

النعمة تقوى على الخطية المصلح جان كلفن

أن النقطة الأساسية الفاصلة، التي أدّت الى تكوين مفاهيم مختلفة بين الكنائس المسيحية حول الانسان، هو موضوع: الأثر الذي تركه سقوط آدم في الخطية، على صورة الله في الانسان، وما حدث لقدرات الإنسان بعد سقوطه. تعتقد الكنائس الشقيقة أن سقوط آدم في الخطية، لم يفسد كامل الطبيعة البشرية، لكنّها فقط أضعفتها. وعليه، فالإنسان الساقط لا يزال يحتفظ ببعض الصلاح، والإرادة الحرة. ولا يزال قادرًا للإستجابة مع نعمة الله. لأنه لا يزال هناك بعض الصلاح في الإنسان الساقط. أما اللاهوت الانجيلي المصلح، فيؤمن أن خطية السقوط أفسدت الانسان لأن صورة الله الأصلية فيه تشوّهت بشكل كامل. ربط كلفن، بين معرفة الانسان لله وبين معرفته لنفسه. تضمّنت معرفة الانسان لنفسه، معرفة حالته الأصلية التي كانت قبل السقوط، حالة البراءة عند خلق الله له. قال كلفن، "هكذا معرفة، تجعل الانسان يفهم صلاح الله، ويدرك أننا نعتمد عليه بشكل كامل،لأنه لا يوجد شيء بدونه. أضاف،"لا يمكن أن يفهم الانسان نفسه بشكل صحيح، إلاّ من خلال علاقته مع الله. فهذه المعرفة الانتربولوجية، يجب أن تخرج الانسان من المحور وتجعله يدرك أننا لسنا لأنفسنا، بل نتمحور خارج أنفسنا، في شركة مع الله ومع القريب". اعتقد كلفن، أن ادراكنا لحالتنا الاصلية في الكرامة التي كنا فيها هي هامة جدا لاهوتياً، لأنها تدفعنا للعودة الى تلك الحالة الاصلية التي خلقنا فيها. قال، "لم تكن الخطيئة جزءًا من جوهر الانسان. فعندما خلق الله العالم، خلق كل شيء جيداً، وأيضا الانسان. إن أي مفهوم معاكس لهذا المفهوم، لا يقلّل فقط من مجد الله، ولكنه أيضًا يحدّد موضع الخطية الأصلية في الخالق". اعتقد كلفن، أن صلاح الانسان الأصلي، يكمن في قدرته على العيش في شركة كاملة مع الله. هذا بالاضافة الى امتلاكه فضائل فوق طبيعية، مثل: القدرة على التمييز بين الخير والشر، الطهارة، المثابرة، الفطنة، الاستقامة، البرّ، القداسة، الحكمة، والحقيقة. كما أن الانسان امتلك قدرات طبيعية، مثل: العقلنة، والفهم، والارادة". اعتبر كلفن هذه القدرات المفيدة، هبات وعطايا مجّانية من الله، وليس امتيازات فطرية في الانسان. إلاّ أن الذي حدث بسبب خطية السقوط، هو أن الانسان خسر معظم هذه الهبات، ليس لخلل طبيعي ما في بنيته، لكن لأن الله قرّر معاقبة الانسان وتجريده من معظم هذه الهبات بسبب تمرّده عليه، والسقوط في الطية.

ميّز كلفن، بين نعمة الله العامة ونعمة الله الخاصة. ربط نعمة الله العامة بالهبات الطبيعية، ونعمة الله الخاصة بهباته فوق الطبيعية، التي يستلمها الانسان بالايمان من خلال عمل تجديد الروح القدس. قال، "الهبات فوق الطبيعية، غير موروثة في الطبيعة البشرية ولا مرتبطة بالبقايا المتبقّية من صورة الله، بل هي هبات نعمة الله الخاصة . ليست هذه الهبات، نوعاً من ردة الفعل الالهي على حدث الخطية، لكنها جزءاً من ارادة الله الازلية المعيّنة التي تربط كل شيء في المسيح. قال كلفن، " لا يزال يستلم الانسان نعمة الله العامة، ولا يزال قادرا أن يعكس الله بمعنى ما. فنعمة الله العامة تحفظ الانسانية من الفوضى". آمن كلفن، مع أن الفساد الكامل قد تسلّل الى كل أجزاء الانسان التي تضرّرت بالخطية، لكن لا يزال للانسان بعض بقايا صورة الله. ميّز بين هبات الله الطبيعية، وهبات الله فوق الطبيعية للانسان. قال، "ترتبط الهبات الطبيعية في مجال مملكة الأرض، مثل: الذكاء، الفن، الشعور بالذنب، القدرة على تمييز الخير من الشر، خلق روابط اجتماعية، العمل السياسي والاقتصادي، وغيرها". اعتقد أن هذه الهبات لم تدمّر بالخطية، ولم تضعف وتتأذى كثيراً. أما الهبات فوق الطبيعية، فهي ترتبط بملكوت الله السماوي وتكفي الانسان ليعيش حياة سماوية. هذه الهبات، هي: الايمان، المعرفة اليقينية لله، محبة الله، الاحسان للقريب، البرّ، والقداسة، ومثيلها. آمن كلفن أن الهبات فوق الطبيعية، سحبت بشكل كامل من الانسان بعد الدمار الذي سبّبته الخطية بتشويه صورة الله فيه، الأمر الذي جعل الانسان غير قادر ان يخلّص نفسه، لهذا هو في حاجة ماسة الى المسيح. قال، "كل الناس لديهم معرفة في الفطرة عن الله من خلال الأمور التي خلقها وصنعها، والتي هي هبات طبيعية. لكن هذه المعرفة لا تُخلِّص. ولا تقود الإنسان الى المعرفة الأسمى، أن الله هو المخلّص. وذلك لأن الخطيئة أوقعت الإنسان في خراب. بعد السقوط لا يستطيع أحد أن يختبر الله كأب، كمتمّم للخلاص، لكن الله يأتي إلينا في الهبات فوق الطبيعية التي يمنحها لنا في الوسيط بينه وبيننا، ابنه يسوع المسيح، كيما يصالحنا معه. لهذا، نحن بحاجة ماسة ، أن تأتي إلينا معونة أخرى خارجة عنا، تقودنا الى خالق الكون نفسه. وهذا الأمر يتحقق، من خلال نور كلمة الله، التي تقودنا الى الايمان بالمسيح. وهكذا نستعيد صورة الله فينا، باستعادة: المعرفة الحقيقية المخلّصة، والبرّ، والقداسة.

قال كلفن، "بالرغم من أن نتائج الخطية على الانسان، هي شاملة ومنتشرة في كل أجزاء قواه، إلاّ أنها لا يمكنها ان تنتصر على قوة نعمة الله. النعمة تقوى على الخطية والطبيعة البشرية، لأن قوة المسيح آدم الثاني هي أقوى من قوة آدم الأول على التدمير. فانتصار قوة النعمة المذهلة على الخطية، يقدّم شهادة عظيمة عن قدرة الله وخلاصه العجيب. آمن كلفن، أن الله يولدّ

الايمان في قلب الانسان الذي يؤمن، بشكل أحادي من خلال عمل الروح القدس المغيّر. يظهر عمل الروح القدس في التجديد، من خلال: التحويل، التغيير، التصحيح، الاصلاح، في القلب والذهن والارادة، فيتغيّر الذهن والقلب والارادة الانسانية، لتفعل ما يطلبه منها الروح القدس فينا. هنا يسارع كلفن للقول، " لا يعني هذا، أن ارادة الانسان تُجبر قسرًا وعنوة على طاعة الروح القدس. فمع أن الروح، يغيّر الطبيعة البشرية، إلّا أنه لا يدمّر العامل الانساني، بالرغم من أن نعمة الله هي التي تعمل في تغيير الانسان. فالانسان يعمل، فيما تعمل فيه نعمة الله. الروح القدس لا يتخطّى القدرات الانسانية في تجديد الذهن والقلب والارادة". اعتقد كلفن، أن الغاية من عملية التقديس اليومية التي يقوم بها الروح القدس في حياتنا، هو استعادة صورة الله كما يعرضها لنا المسيح. وبالتالي، ما هو التجديد والتغيير الذي يختبره الانسان من خلال ايمانه بالمسيح، إلّا صياغة من جديد لصورة الله فيه، كيما يستعيد صورة الله بالتوبة، والاعتراف المستمر بالخطايا، والامانة المستمرة لشهوات الجسد، لتحيا في حياتنا الهبات فوق الطبيعية التي هي: البرّ، القداسة الحقيقية، الاستقامة، الطهارة، والنمو في معرفة الله، والتي من خلالها يتشكّل المؤمن والمؤمنة على شاكلة صورة المسيح، وينضم الى عائلته السماوية.

الخطيئة الأصلية في اعترافات الايمان الانجيلية التاريخية

يذكر "اعتراف ايمان هايدلبرغ" المصلح، على "ان الانسان غير قادر أن يفعل الصلاح من تلقاء نفسه، لأنه بطبيعته الفاسدة يميل الى كره الله. هذا الابتعاد الفاعل عن الله، هو في قلب طبيعتنا البشرية وكل خطية فعلية نقوم به". أما اعتراف الايمان البلجيكي، فقد ذكر ان الانسان عبد للخطية. مما جاء فيه، "أن الخطيئة الأصلية، أفسدت كامل الطبيعة البشرية، وهي تولّد في الانسان كل أنواع الخطايا. لهذا، هي مكروهة من الله. هذه الخطيئة الأصلية لا تلغى ولا تستأصل حتى بالمعمودية، بل تستمر تنبع الخطايا من الطبيعة البشرية، مثل مياه النبع. فالخطيئة الأصلية تفسد كل الطبيعة البشرية وليس جزءًا منها".

يذكر اعتراف الايمان البلجيكي أن تأثير الخطية هو راديكالي جدًا على الانسان، لا سيما قبل أن يتجدّد الى حد أنه لا يمكن التصوّر كيف يمكن للانسان أن يتّخذ خطوة ايجابية، نحو اقامة علاقة صحيحة مع الله. جاء في اعتراف الايمان، "أن النور الذي فينا تحوّل الى ظلمة. رغبات الانسان هي مخالفة لله. تلوّث قلب الانسان، وطال الفساد الفكر والارادة، وكل جزء من أجزاء الانسان". تم التشديد على قول الرسول بولس، "كما هو مكتوب، أنه ليس بار ولا واحد. ليس من يفهم. ليس من يطلب الله. الجميع زاغوا وفسدوا معا. ليس من يعمل صلاحا. ليس ولا واحد" (روميه٣: ١٠-١١). أيضًا يذكر اعتراف الايمان البجيكي، "عندما رأى الله أن الانسان أغرق نفسه في الموت الروحي والجسدي، وجعل من نفسه انساناً بائساً كلياً، فإن الهنا المنعم في حكمته المذهلة وصلاحه العجيب، بادر نحوه بينما هو كان يهرب منه، وخلّصه بموت ابنه على الصليب".

يذكر اعتراف ايمان أوغسبرغ اللوثري، أن "الخطيئة الأصلية ، هي طبيعة بشرية موروثة خاطئة، يشترك فيها جميع البشر. وهي تتكون من نقص في مخافة الله، ونقص في الثقة في الله، ووجود شيء يسمى ميل الى الشر". عرّف كاتب اعتراف ايمان أوغسبرغ، المصلح فيليب ميلنكتون، هذا الميل، على أنه فساد في الطبيعة التي خلقها الله في الانسان. وبالتالي، كل ما هو انساني قد تلوّث بسبب خطية سقوط آدم وحواء. اعتقد لوثر أن هذا الفساد هو راديكالي جدا، الى حدّ أنه ازال عنا طبيعتنا الأصلية أو برّنا الأصلي الذي خلقنا الله عليه". يذكر كتاب التوافق اللوثري، "نحن كبشر ساقطين، قد خسرنا جميعنا البرّ الأصلي والعلاقة الصحيحة التي كان عليها آدم وحواء مع

الله عندما خلقوا". وبالتالي، بدلاً من أن نولد في العالم، لنعيش في شركة مع الله ونفعل ارادته، فإننا نولد الآن كأعداء لله، ميتين لكل شيء صالح، ومأسورين من قبل الشيطان

صورة الله في الإنسان: الفكر الإنجيلي المصلح

. صورة الله في الإنسان، هي من أهم المفاهيم في اللاهوت المسيحي، لأن الإنسان خُلِق على صورة الله، ومثاله. وبالتالي، فصورة الله فيه، هي الميزة التي تميّزه عن باقي المخلوقات الأخرى (الحيوانات والنباتات)، التي لا تحمل صورة الله. يذكر نص خلق الله للإنسان، في سفر التكوين، ما يلي: "وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا، فيتسلّطون على: سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع دبابات الأرض كأجناسها. فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكرًا وأنثى خلقهم" (تكوين١: ٢٦-٢٧).

إن كيفية فهمنا لصورة الله في الإنسان، لها إنعكاسات عميقة على: ايماننا ونوعية عقيدتنا، وكيفية حياتنا.

فهمت الكنائس المسيحية الشقيقة المتنوعة هذا النص، بشكل مغاير عن بعضها البعض.

فالكنيسة الكاثوليكية، ميّزت بين: صورة الله، وشبه الله في الإنسان. إعتقدت أن الصورة، تتضمّن هبات الله الطبيعية للإنسان، مثل: الشخصية، الفكر، والإرادة. أما الشبه، فهو الهبة الروحية، فوق الطبيعة، التي أضافها الله على الطبيعة البشرية، بعد خلق الإنسان، وقبل سقوط آدم في الخطيئة، وهي تتضمّن المواهب الروحية التي هي: البر، والقداسة، والحق. أما

الكنيسة الأرثوذكسية، فهي كالكنيسة الكاثوليكية، ميّزت بين: صورة الله في الانسان، والشبه ، ولكن دون الاعتقاد، بأن الله أضاف هبة كبيرة على الطبيعة البشرية. أما المصلحون الانجيليون: مارتن لوثر، جون كلفن، أولترخ زوينكلي وغيرهم، الذين شكّلوا الفكر الانجيلي، فإنهم في تفسيرهم لنص الخلق، لم يميّزوا في النص بين تعبيري: "صورة الله، وشبهه"، بل اعتبروا أن التعبيرين، هما أسلوب أدبي يعبّران، عن حقيقة واحدة: ألا وهي، أن الإنسان خلق على صورة الله، وعلى مثال الله الكامل. بالاضافة الى ذلك، فانه حين دراسة المصلحين لصورة الله في الإنسان في الكتاب المقدس، وجدوا أن هناك نصوصًا عديدة تذكر تعبير واحد ، (اما الصورة أو الشبه). وليس التعبيرين معا، (صورة الله، وشبه الله). من هذه النصوص، نصوص تذكر فقط "صورة الله": "فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكرًا وأنثى خلقهم" (تكوين١: ٢٧). "لأن الله على صورته عمل الإنسان" (تكوين٩: ٦). "ولبستم الجديد الذي يتجدّد للمعرفة، حسب صورة خالقه" (كولوسي٣: ١٠). ونصوص تذكر تعبير "الشبه": "يوم خلق الله الإنسان على شبه الله"

(تكوين٩: ٦). يرى بعض الانجيليين أن التفريق بين "صورة الله وشبه الله"، قد أخرج صورة الله ،عن الاطار الذي وضعه لها الكتاب المقدس، والذي هو: المعرفة والبر والقداسة (أفسس٤: ٢٤). فليس هناك أي تلميح الى وجود عناصر أخرى، مثل: الفكر، والإرادة، والمشاعر، تدخل في مكونات صورة الله. قال لوثر: "أنه إذا ما اعتمدنا هذه القوى "الفكر، والإرادة، والمشاعر"، لتمثيل صورة الله، فإن إبليس قد يصبح صورة عظيمة عن الله، لأنه ذكي جداً ولديه إرادة مصممة جداً". اعتقد المصلحون الانجيليون، أن صورة الله في الإنسان، تتكوّن من ثلاثة هبات روحية أساسية، هي: المعرفة الحقيقية، البر، والقداسة، وذلك بالاستناد، الى قول الرسول بولس، "وتلبسوا الإنسان الجديد، المخلوق بحسب الله، في البر وقداسة الحق" (أفسس٤: ٢٤). قال المصلح جون كلفن: "بما أن الله قدوس وبار، والإنسان مخلوق على صورة الله. فإن صورة الله في الإنسان، مؤلّفة من هذه السمات الروحية: المعرفة الحقيقية، والبر، والقداسة. وهي صورة: ديناميكية حيوية، وليس جامدة في طبيعتها". في تعليقه على كتاب "وستمنيستر الصغير للتعليم المسيحي"، يذكر القس توماس فينسينت، قائلاً: "لا تتضمّن صورة الله في الإنسان، أية مظاهر خارجية لجسد الإنسان، وكأن الله له شكل خارجي. بل أن صورة الله في الإنسان، هي : استقامة النفس الكاملة. المعرفة في الفهم. البر في الإرادة. والقداسة في المشاعر".

إلاّ أن النقطة الأساسية الفاصلة، التي أدّت الى تكوين مفاهيم مختلفة بين الكنائس المسيحية حول الانسان، هو موضوع: ما هو الأثر الذي تركه سقوط آدم في الخطية، على صورة الله في الانسان؟ وماذا حدث لقدرات الإنسان بعد سقوطه؟

تجيب الكنيسة الكاثوليكية، على أن سقوط آدم في الخطية، أدّى الى فقدان الانسان، للعطية الكبرة المضافة على الطبيعة البشرية، والتي هي "شبه الله". وبالتالي، لم تفسد كل الطبيعة البشرية في السقوط، لكنّها فقط ضعفت. وعليه، فالإنسان الساقط لا يزال يحتفظ ببعض الصلاح، والإرادة الحرة. ولا يزال قادراً للإستجابة مع نعمة الله.

أما الكنيسة الأرثوذكسية، فقد إعتقدت أنه بالرغم من خطية السقوط فإنه لا يزال هناك بعض الصلاح في الإنسان الساقط في هذا السياق، يذكر الأسقف الأرثوذكسي الإنكليزي، تيموثي واير، "أن الفكر الديني الأرثوذكسي، يركّز كثيراً على صورة الله في الإنسان". ويضيف قائلاً، "مهما كنا خطاة، فنحن لم نخسر صورة الله فينا في السقوط فبمجرد أن الإنسان هو صورة الله، فإن إحدى الأمور التي لا يزال يمتلكها الإنسان، هي: الإرادة الحرة، والقدرة على القيام بأعمال حسنة". أما المصلحون الإنجيليون، فقد شدّدوا على الدمار الكبير الذي سبّبته خطية السقوط في صورة الله في

الانسان. الخطية، محت بشكل كامل، صورة الله فيه. أفسدت كامل قواه : الفكرية، والارادية، والعاطفية. فلم يعد في الإنسان أي شيء صالح. ولهذا أصبح الانسان في حاجة ماسة الى تدخل إلهي، خارج عنه كيما يسترجع صورة الله فيه. قال المصلح مارتن لوثر: "قبل السقوط، امتلك آدم عقلاً مستنيراً، ومعرفة حقيقية عن الله، ورغبة صادقة في محبة الله والقريب. لكن في السقوط، فقدت صورة الله فيه بشكل كامل. وبالتالي، ليس أحد سوى الانجيل، يستطيع إعادة صورة الله إلينا، حين بالإيمان الحقيقي، والتبرير أمام الله، نتشكّل ثانية على صورة الله الخالق". أما المصلح هينريخ بولينغر، فقد قال: "إن هذا الفساد في طبيعتنا، ما هو إلاّ محو، وإزالة لصورة الله فينا التي هي: المعرفة الحقيقية، البر، والقداسة ". ويضيف قائلا، "ما الذي استطاع أن يمحي صورة الله فينا، غير الخطية الأصلية، التي هي كراهيتنا لله، وأنانيتنا، ونجاستنا، وكذبنا، وشرّنا، وجهلنا له، مما أفقدنا السعادة الأبدية مع الله. فهذا الفساد وصل إلينا جميعًا في سقوط آدم". قال اللاهوتي الانجيلي، وليم باركينز: "عندما أخطأ آدم، فإنه حرم نفسه أولاً من صورة الله، ومن ثم نسله. وبسقوطه، مثّل كل الإنسانية الساقطة والفاسدة". وهذا ما يعلنه الكتاب المقدس. فبعد سقوط آدم، فإن نسله لم يعد يولدوا على صورة الله، بل على صورة آدم الساقط، أبوهم. كما ذكر كاتب سفر التكوين: "وعاش آدم مئة وثلاثين سنة. وولد ولداً على شبهه كصورته" (تكوين٥: ٣). كل اعترافات الايمان الانجيلية الكثيرة التي كتبت في زمن الاصلاح الانجيل، اعتمدت فهم المصلحين الانجيليين لصورة الله في الإنسان. يذكر إعتراف الإيمان الاسكوتلندي، في المادة الثالثة منه، ما يلي: "ان تعدّي آدم وعدم طاعته لوصية الله، أوقعه فيما يسمى الخطية الأصلية. لهذا، فإن صورة الله قد محيت بشكل كامل منه. لهذا، فإنه هو ونسله قد أصبحوا أعداء الله. عبيد للشيطان. وخدّام للخطيئة". في تعليقه على المعرفة التي أصبح الانسان يمتلكها بعد السقوط، قال المصلح جون كلفن، "كل الناس لديهم معرفة في الفطرة عن الله من خلال الأمور التي خلقها وصنعها، لا سيّما في الطبيعة. لكن هذه المعرفة لا تُخلِّص. ولا تقود الإنسان الى المعرفة الأسمى، أن الله هو المخلّص. وذلك لأن الخطيئة أوقعت الإنسان في خراب. فبعد السقوط لا يستطيع أحد أن يختبر الله كأب، كمتمّم للخلاص. لكن الله يأتي إلينا في الوسيط بينه وبيننا، ابنه يسوع المسيح، كيما يصالحنا معه. لهذا، نحن بحاجة ماسة ، أن تأتي إلينا معونة أخرى خارجة عنا، تقودنا الى خالق الكون نفسه. وهذا الأمر الذي يتحقق، من خلال نور كلمة الله، التي تقودنا الى الايمان بالمسيح. فنستعيد صورة الله فينا، من خلال استعادة: المعرفة الحقيقية المخلّصة، والبرّ، والقداسة. في القرون التي تلت الإصلاح الإنجيلي، ظهر بين بعض الكنائس الإنجيلية ما يُسمّى: المفهوم الأضيق

والمفهوم الأوسع لصورة الله. المفهوم الأضيق، هو مفهوم المصلحين الإنجيليين الأساسيين، الذين وجدوا أن صورة الله تتضمّن الفضائل الروحية: المعرفة والبر والقداسة، التي فقدت بشكل كامل عند السقوط أما المفهوم الأوسع لصورة الله في الإنسان، فهو الادعاء ان صورة الله تتضمن أيضا، قوى الإنسان: العقلية والارادية والعاطفية. ادعى أصحاب هذا الرأي، ان هذه القوى، لم تتأثّر بسقوط آدم في الخطية، وبالتالي، لم تفسد، بينما الذي سقط وفسد هو الفضائل الروحية، المعرفة والبر والقداسة. هذا الرأي أوصل بعض الانجيليين الى القناعة، أنه لا يزال لدى الإنسان االخاطىء: القدرة العقلية على التفكير الصحيح، كما لا يزال يملك حرية الإرادة لاتخاذ القرار الصحيح، بما فيه العودة الى الله. وبالتالي، فان الانسان لا يمكن أن يكون فاسداً بشكل كلي .

قداسة الله

آمن لوثر بقداسة الله المطلقة، التي لا تقبل ولا تساير الخطية. قال، "تكون نفس طبيعة الله في تناقض، ان لم يكن يكره الله الخطية. لهذا، فإن غضب الله هو محتّم، اذ يرافق طبيعته المقدسة. لكن لوثر، لم يتوقف هنا. بل انتقل الى مفهومه الآخر عن الله على أنه اله محب يعلن عن نفسه دائمًا في ابنه يسوع المسيح. كان لوثر مقتنعًا، أن المحبة هي في جوهر وطبيعة الله. وأن الغضب هو موقفه الغريب عن طبيعته. فالله لا يريد أن يكون الهًا غاضبًا، لكن خطايا الناس وفجورهم وشرّهم يجعلون منه الها غاضبا. ان اختبار لوثر لله كإله شخصي محب، انطلق من صراعه من أجل الحصول على يقينية الخلاص. لم يستطع لوثر أن ينسى نصيحة مرشده الروحي ستوبتز، الذي قال له، "ان التوبة الحقيقية، هي التي تبدأ ليس بالخوف من اله يعاقب، وانما بالايمان بإله محب.

شكل الحياة المسيحية

هل يتحقّق التحوّل الذي ينتج عن الايمان بالمسيح: في لحظة واحدة، أم خلال فترة ممتدّة؟
اختبار المصلح جان كلفن

يوجد بين الانجيليين أنصار للرأيين. وفقًا للرأي المنادي "بالايمان في لحظة بلمح البصر"، فانه ينظر الى الولادة الجديدة على أنها تجديد كامل ومتقدّم يغيّر الخاطىء على الفور، ويحوّله الى مؤمن كامل الأهلية، قادر على التوبة والايمان. الاّ أن هذا الرأي، لا يتماشى بقوة مع تعليم: المصلحين والانجيليين الانكليز واللاهوتيي الاصلاح. يعتقد لاهوتيون، أن التركيز على التحوّل الذي يتحقق في لحظة واحدة بلمح البصر وأن به يتم كل شيء، لا يدع مجالاً لعملية التحوّل اللاحقة. ان وجهة النظر التقليدية المصلحة عن التجديد، تسمى "المعتقد الممتدّ" حول التجديد. ان أنصار المعتقد الممتد"، لا يعتقدون أن التحوّل يحدث بأكمله دفعة واحدة. يعتقد اللاهوتي لويس برخوف، ان "المعتقد الممتدّ"، كان رأي المصلح جان كلفن، الذي تحدّث عن التجديد أو الولادة الجديدة بمعناها الواسع، فالمعتقد الممتدّ، يشير الى عملية التحوّل برمتها التي تشمل الى جانب العمل الالهي الذي يخلق الحياة الجديدة، التحوّل (التوبة والايمان) والتقديس.

فاللاهوتيون الذين يتمسّكون بالمعتقد الممتدّ، يجزّئون الولادة الجديدة الى جزئين رئيسيين: الأول، " نشوء أو بداية تكوين الحياة الجديدة. المرحلة الأولى تعتبر تجديد أولي، يعدّ عادة لحظي، تعطي الاشارة لبدء عملية الولادة. يصف اللاهوتي لويس برخوف الجزء الأول على أنه، "عمل الله السرّي غير المرئي وغير المدرك، الذي من خلاله يعود الخاطىء الميت الى الحياة ويصبح قادرًا على فهم الكلمة والاستعداد للتجاوب معها. وهذا العمل هو بأكمله عمل الله". وعندما تتوفّر تلك المتطلبات الضرورية، تظهر بركات التجديد الكامل التي هي المرحلة الثانية. يسمّي برخوف المرحلة الثانية، "المدة التي تخرج خلالها الحياة الجديدة من أعماقها السريّة". وخلاصة الأمر، أن التجديد الممتدّ، يبدأ بجزء أولّي يتم خلاله زرع الحياة الروحية، مما يؤدي الى انفتاح جديد على الحق، وقابلية للاقناع واستعداد للتجاوب. ثم تبدأ عملية التحوّل المتلاحقة من خلال عملية التقديس التي يجريها الروح القدس يوميا في حياة الانسان المؤمن.

اختبار كلفن

وصف المصلح جان كلفن في مقدمة تفسيره لسفر المزامير، توبته المفاجئة بكلمات قليلة، على أنَّها "إخْضاع الله لقَلْبه المُعانِد". أيضا مما ذكره: "وبعد أن اخْتَبَرت معرفة التَّقوى الحقيقية، فإني التَهَبْتُ رَغْبَةً عارمةً وشَوْقاً كبيراً، كي أَسْتفيد مِن هذه المعرفة، ومع أني لَمْ أحاول أَنْ أتوقَّف عن دراساتي الأخرى ، إلاَّ أنَّني صَرَفْت وقتاً أَقلَّ بِها. ومِن ثمَّ انْذَهَلْتُ إذ أنَّه قَبْل أَنْ تَنْتَهي السَّنة، رأيت الذين قَبِلوا مبادئ الإصلاح الإنجيلي، مُلتفِّين حولي ليَتعلَّموا مني، مع أنني كنتُ لا أزال مبتدئاً".

وبالرغم من أن كلفن تحدّث عن توبة مفاجئة، وانما دون ذكر تاريخ محدّد لتوبته، قام بعض اللاهوتيين والمؤرخين بدراسة هذه التوبة على ضوء كتاباته. وخرجوا بالاعتقاد أن توبته كانت تدريجية وليست لحظية. اعتقد اللاهوتي الكاثوليكي، الكسندر غانوسي، أن توبة كلفن لا يمكن اعتبارها مفاجئة، أي بمعنى انسحاب كامل ومفاجيء من الكنيسة الكاثوليكية، بل ادراك تدريجي لدعوة الله له لخدمته، عندما كان لا يزال بعد في الكنيسة الكاثوليكي، الأمر الذي لا يعتبر حدثا تاريخيا محددا. تحدّث المؤرخ بوساما عن تغيّر في موقف كلفن وفي اهتماماته، إذ اصبح قابلاً للتعلّم حين أخضع الله قلبه. يتحدث مؤرخون عن تأثير تدريجي في حياة كلفن، بتأثير من أوليفتان منذ عام ١٥٣٨، لكن كلفن لم يتكلّم عن توبته الى أن اختمر واكتمل الاختبار الروحي. حاول بعض المؤرخين تقدير زمن توبة كلفن، فاعتقدوا أنها كانت بين الأعوام ١٥٣٨-١٥٣٩.

في مقدمته لتفسير كتاب المزامير عام ١٥٥٧، تحدث كلفن عن، "ارشاد العناية الالهية الخفية الذي أعطى توجّهًا مختلفًا لمسيرتي". مما ذكره كلفن، " كنت منزعجا بشدة من جرّاء البؤس الذي وضعت فيه، والذي سبّب لي تهديدًا كبيرًا لإدراكي للموت الأبدي. ثم وجدت أنه من واجبي أن أجعل عملي الأول، أن آخذ نفسي في سبيلك، وأن أدين حياتي الماضية، ليس دون دموع وتأوهات". أضاف كلفن، "والآن يا رب، ماذا يبقى لإنسان بائس مثلي؟ لكن، بدلاً من أن أدافع عن نفسي، فإني بكل شغف توسّلت اليك ألاّ تحاكمني"

ساوى كلفن بين التجديد والتوبة، قائلا، "أرى أنه يمكن تعريف "التوبة" على أنها التوجّه الحقيقي لحياتنا نحو الله، والذي ينشأ من تقوى وشغف في مخافة الله. اعتقد أن التوبة، تظهر في اماتة جسدنا وآدم القديم الذي فينا، وفي احياء الروح. آمن أن تأثير التوبة يقود الى تغيير في

النفس بحد ذاتها، وتغيير في التصرفات الخارجية، يتأتّى معها رغبة في عيش حياة تقية ومقدسة". اعتقد كلفن أن هدف التوبة، هو استعادة صورة الله فينا. قال، "إني بكلمة أفسّر معنى التوبة، على انها تجديد يهدف الى استعادة صورة الله التي تشوّهت فينا، بسبب تعدّي آدم. وهكذا، فإننا بالتجديد نستعيد برّ الله ،الذي سقطنا منه بخطية آدم. أمن كلفن أن التجديد هو الخطوة الأولى في ترتيب الخلاص. التجديد هو بداية الحياة الروحية. والتقديس هو عملية تتحقّق تدريجيًا في مسيرة الحياة المسيحية". قال كلفن، " يبدأ الله عمله الصالح فينا، مع الخليقة الجديدة التي ننالها في المسيح، في بداية التجديد. وهذا يتحقّق في بروز المحبة والرغبة والحماس للبرّ في قلوبنا، أو بالشكل الأصحّ، بإخضاع وتشكيل وتوجيه قلوبنا نحو البرّ". آمن كلفن أن هذا التغيير والتجديد، هو ممكن فقط بواسطة عمل الله القدوس، إذ يمنحنا الله قلبًا جديدًا وروحًا جديدًا.

القس سهيل سعود

المصلح جان كلفن

في العام ١٥٤٠، بدأ كلفن يمهر مراسلاته الشخصية بشمع حقيقي، تضمّن أول حرف من اسمه واسم عائلته J. C. وصورة ليد ممتدّة تحمل قلباً، وكأن كلفن يقدّم قلبه الى الرب بالعبادة والخدمة. من خلال هذا الشعار عبّر كلفن عن مفهومه الشخصي للتقوى. نجد في كتابات كلفن وتفاسيره الكتابية، اهتماماً خاصاً بقلب المؤمن، وبعلاقة المسيحي المحبة مع الله من خلال يسوع المسيح. قال كلفن، "الأمانة والثمار المسيحية، تتشكل في قلب المؤمن". آمن كلفن أن الحياة المسيحية تتشكّل على شاكلة: موت وقيامة وصعود المسيح. اقتنع كلفن أن هذه الحالة الروحية الجديدة، تصبح ممكنة باتحاد المؤمن مع المسيح بالايمان. اعتقد أن التقوى العملية، والعبادة، والخدمة، تتدفّق من هذا الاتحاد الروحي مع المسيح. في كتابه "أسس الايمان المسيحي"، ذكر كلفن "ان معرفة الله الحقيقية تتألّف من الدين والتقوى: الدين، هو الايمان الممتزج مع مخافة منشغفة بالله. والتقوى، هي الوقار ومحبة الله التي تأتي بمعرفة واختبار الفوائد الروحية التي يقدمها لنا المسيح. من خلال الدين والتقوى، يقدّم المؤمنين قلوبهم للرب: بالمحبة والخدمة والامتنان والوقار.

في تعليقه على قول الرسول بولس، "ولكن التقوى نافعة لكل شيء، إذ لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة" (١تيموثاوس٤: ٨). عرّف كلفن، التقوى على أنها: "الحركة النشطة التي تنبع من الروح القدس، عندما يلمس القلب وينار الفهم. أوضح مفهومه عن التقوى قائلاً، "ليست التقوى روحانية شخصانية منفصلة عن العقيدة المسيحية. ولا هي مجموعة من الحقائق المفترضة منفصلة عن الشغف الروحي والمحبة لله". قال، "التقوى هي: بداية، ووسط، ونهاية العيش المسيحي". أدرك كلفن، أن محبة المؤمن والمؤمنة لله ،هو الجزء الأساسي من التقوى. أعلن قائلاً، "أن تعرف الله، يعني أن تحب الله. وأن تحب الله ، يعني أن تعرف الله. وأضاف، "لأنه ليس هناك طريقة أفضل نخدم بها الله أكثر من محبته، بالوسائل التي يطلبها منا الله. ليس هناك أمر أهم نعبّر فيه عن محبتنا لله، أكثر من أن يمتلك الله كل عاطفة قلوبنا. وليس هناك من ذبيحة يقدّرها الله، أعظم من أن نقدّم أنفسنا أولاً لله ،من خلال محبتنا الصادقة والعفوية له".

آمن كلفن أن الحياة المسيحية يجب أن تشمل الجانبان: الرأس والقلب. الفكر والعاطفة. معرفة الله ومحبة الله. ذكر في كاتخيسمه الأول، الذي كتبه عام ١٥٣٨، "ليس الايمان المسيحي مجرّد معلومات عن الله، أو فهماً ذهنياً للكتاب المقدس. وإنما ثقة ثابتة وأكيدة للقلب بالله، والتي من

خلالها تستكين وتستريح نفوسنا بأمان في مراحم الله، التي وعدنا بها في الانجيل". يصرّ جان كلفن، أن الحياة المسيحية، تتضمن أكثر من الفهم والاعتراف بالانجيل. فهي تتطلّب أيضًا احتضان رسالة الانجيل، والتغيّر بها. كتب كلفن، "لا نستلم العقيدة المسيحية، فقط من خلال الفهم والذاكرة وحدهما، لكننا نحتضنها، فقط عندما تمتلك كل النفس، وتجد مقعدا ومكان راحة لها، في أعماق عاطفة قلوبنا. فالجانبان: الرأس والقلب، الفكر والعاطفة. يشكلان ويصيغان كل بعد من أبعاد الحياة المسيحية. ان اهتمام كلفن بتجاوب المؤمن والمؤمنة: الفكري والعاطفي والارادي مع الله يتخلّل كل كتاباته. آمن كلفن، أن الروح القدس هو الوحيد القادر أن يجلس حقيقة الله، في القلوب البشرية. آمن كلفن، أن هذا النوع من المعرفة الاختبارية لإنجيل الله، هو الذي يثمر فينا حياة مسيحية متغيّرة. قال، "على العقيدة الصحيحة أن تدخل قلوبنا وتتفاعل مع حياتنا اليومية وتغيّرنا".

الاتحاد مع المسيح هو مصدر الحياة المسيحية

المصلح جان كلفن

آمن المصلح جان كلفن أن الاتحاد مع المسيح، والنعمة التي يمنحها هذا الاتحاد، هو المصدر والقوة المستمرّة، لإختبار الايمان المسيحي. قال، "أعطي المسيح لنا بفضل كرم الله، كيما نحبه ونحتضنه بالايمان من خلال المشاركة فيه". آمن كلفن، أن الايمان هو الاداة التي من خلالها يستلم الخطاة فوائد المسيح. والروح القدوس هو العامل الالهي، الذي يوحّد المؤمنين والمؤمنات مع المسيح. قال، "حتى يشارك المسيح معنا ما استلمه من الآب، كان عليه أن يصبح لنا، ويسكن في داخلنا. ونحن بدورنا علينا أن نتطعّم في المسيح ونلبس المسيح، كما يقول الرسول "لأن كلكم الذين اعتمدتم في المسيح، قد لبستم المسيح" (غلاطية٣: ٢٧). أعلن قائلا: "يجب أن ندرك أنه اذا ما بقي المسيح خارجًا عنا، ونحن بقينا منفصلين عنه، فإن كل ما قام به المسيح، وتألمه من أجل خلاص الجنس البشري، يصبح بالنسبة لنا، بلا فائدة ولا قيمة له".

ليس مفهوم كلفن عن الاتحاد بالمسيح، نوعًا من الصعود السرّي الذي يختبر فيه المؤمنون، الاتحاد بالارادة أو الطبيعة الالهية، من خلال التأمل وانكار الذات. قال المؤرخ مايكل هورتون،

"بالنسبة لكلفن، ليس الاتحاد بالمسيح هو الهدف.... ولكنه مصدر الحياة المسيحية". وأضاف هورثون، "آمن كلفن أن هذا الاتحاد الروحي هو عمل الله فينا من خلال الروح القدس وليس عملنا نحن، إذ ان الروح القدس هو الذي يطبّق الفوائد الروحية في حياة المؤمنين".

آمن كلفن، أن الهبة الأسمى التي ينالها المؤمنون بالمسيح هو يسوع المسيح نفسه، والشركة الروحية الحلوة والحميمة بين: يسوع المخلص، والخاطىء المبرّر الذي غفرت خطاياه. اعتقد، أننا بالايمان نستلم نعمة مزدوجة: الأولى، مصالحتنا مع الله عبر يسوع المسيح، فيصير الله لنا أبا سماويا منعما، بدلاً من قاض ديان. والثانية، تقديسنا بروح المسيح، كيما نعيش نقاء في الحياة، بلا لوم. قال كلفن ، "يستلم المؤمنون نعمة مزدوجة من التبرير والتقديس. تتضمن هبة التبرير، غفران الخطايا ونقل برّ المسيح الى المؤمنين. وتتضمن هبة التقديس، عملية التغيير الداخلي التي يجريها الروح القدس خلال مسيرة حياة الايمان". قال كلفن "مع ان هبتي التبرير والتقديس يتمايزان عن بعضهما البعض، إلاّ انهما عطيتان لا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض، نستلمهما من خلال المشاركة مع المسيح".

أوضح كلفن، أن الاتحاد مع المسيح ليس مجرّد السعي الانساني لتقليده. في تعليقه على قول المسيح، "أنا الكرمة وأنتم الاغصان، الذي يثبت فيّ وأنا فيه هذا يأتي بثمر كثير، لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئًا" (يوحنا١٥: ٥)، قال كلفن، "ليس الهدف من هذا التطعيم في المسيح، فقط أن تنسجم حياتنا مع مثال حياته. فانه من خلال هذا التطعيم الذي يؤهّلنا للاتحاد مع المسيح، فاننا ننضم اليه، كيما باحيائنا بروحه، ينقل الينا فضائله". وأضاف، "يصرّ المسيح بشكل أساسي على هذا التطعيم والاتحاد، لأن هذه العصارة الحيوية يجب أن تتدفّق من المسيح وحده الكرمة الحقيقية. وهذا الأمر يتحقّق بنعمة خاصة من الله ".

القس سهيل سعود

يتحدث كلفن في الجزء الثالث من كتابه، "أسس الايمان المسيحي"، عن سمات الانسان المسيحي الذي
تغيّر بروح الله. وقد اقتطعت تلك الفصول التي تتحدث عن الحياة المسيحية، وتمت ترجمتها لاحقا في
القرن السادس عشر الى اللغة الانكليزية والفرنسية، ووضعت تحت عنوان، "الكتيب الذهبي للحياة
المسيحية الحقيقية". في هذا الكتيب، يعالج كلفن بالترتيب، مواضيع "الايمان، التوبة، الحياة المسيحية،
التبرير بالايمان". مما جاء في هذا الكتيّب، "بفضل هذا الاتحاد الحميم مع المسيح، فإن المؤمنين قد
تصالحوا مع أبيهم السماوي، وغسلوا بدم المسيح وطعّموا في جسده، وجعلوا أعضاء في الجسد الذي
رأسه المسيح. وهكذا، كرّسوا لله كهياكل مقدسة مخصّصة للمجد السماوي. وبفضل هذه الهوية الجديدة،
فقد تقوى المسيحيين ليعيشوا حياة برّ وقداسة".

اعتقد كلفن، أن المبدأ الاساسي لهذه الحياة المسيحية، هو تقديس الانسان المؤمن كيما يشبه يسوع
المسيح. قال، "لقد تبنّيا كأبناء (وبنات) من قبل الرب، على أساس أن حياتنا في الايمان، تعبّر عن رباط
بنوتنا للمسيح. وهكذا، فإننا عندما نتذكر اتحادنا مع المسيح، يجب علينا ألا ننسى أن القداسة هي
رباطها". دعا كلفن المؤمنين والمؤمنات أن يجاهدوا لكي يختبروا نمواً يومياً، في القداسة الشخصية".

شجّع كلفن المؤمنين والمؤمنات الذي يختبرون بطئا في نموهم، للاستمرار في حياة الايمان. قال لهم: "دعونا نتقدم. دعونا لا نيأس من بطىء نجاحنا، لأنه بالرغم من أننا لا ننمو كما يجب وكما نرغب، لكن جهدنا لا يضيع. فالحياة المسيحية هي حياة تقدّم في القداسة، نختبرها بواسطة عمل الروح القدس".

فسّر كلفن مصدر وشكل الحياة المسيحية، بذكره خمسة مبادىء أساسية تميّز الحياة المسيحية:

-الأول: الحياة المسيحية تتطلّب انكار الذات

يدرك كلفن جيدا، أن محبة الذات والسعي وراء المجد الفاني، هو شهوة قلوب جميع الناس. قال "هناك عالم من الرذائل مخبّأً في نفس الانسان، لكن بما أن جماعة الايمان يخضعون لخدمة الروح، فإن الله يمنحهم القوة كيما ينكروا شهواتهم وأباطيلهم وأهدافهم الشخصية من أجل مجد الله وخير القريب. وهذا يحصل عندما يبدأون بالخضوع لسيادة الله على حياتهم. ويتعلّموا أن يعيشوا كسائحين في هذا العالم، شاخصة عيونهم على الميراث السماوي الذي لا يفنى ولا يضمحل". اعتقد كلفن أن انكار الذات هو مجمل الحياة المسيحية. وهذا يتأتى كنتيجة ضرورية لاتحاد المؤمن مع المسيح. كتب قائلاً، "نحن لسنا لأنفسنا، لهذا لا ندع عقولنا وارادتنا تحرف خططنا وأعمالنا عن المسيح. نحن لسنا لأنفسنا، لهذا لا نتبع متطلبات الجسد. نحن لسنا لأنفسنا، لنحاول بقدر الامكان نسيان نفوسنا وكل ما لنا". وأضاف، "حيث أننا لله، دعونا نعيش لأجله. حيث أننا لله، لندع حكمته وارادته تحكم وتسود على جميع أعمالنا. حيث أننا لله، لتسعى كل جوانب حياتنا باتجاهه، ليكون هو هدفنا المشروع".

-الثاني: الحياة المسيحية تتضمّن الألم

رفض كلفن أية اشارة لمفهوم "انجيل الرخاء"، الذي يشير الى أن النجاح الأرضي والغنى، هما علامات اختيار الله لنا. على العكس، اعتقد أنه كلما تعرّضنا أكثر للألم والاضطرابات، كلما كانت شركتنا مع الله مؤكّدة أكثر. قال، "يستخدم الله عصا الألم ليؤدّب أولاده، كيما يغربلهم ويضع كبرياءهم، ويقودهم الى حياة أعمق من الثقة والأمانة والمحبة له". سأل كلفن، "كيف يجب أن يستجيب الانسان المسيحي عاطفياً، مع الآلام التي تواجهه؟ هل يجب عليه أن يتحمّل الألم بعدم مبالاة رواقية؟ أم هل عليه أن يضحك على آلامه وينظر الى اضطراباته وآلامه بخفّة؟". أجاب كلفن قائلاً، "كما أن المسيح بكى على موت صديقه لعازر، هكذا أيضاً، سوف يبكي أتباع المسيح في بعض الاحيان على أحبائهم. لأن العاطفة والمشاعر، هي جزء جوهري من انسانيتنا". وأضاف، "ليس المؤمنون جذوع شجر، فصلوا أنفسهم عن المشاعر الانسانية، أو أنهم لا يتأثرون بالألم أو لا يخافون ويتأذون من الاخطار، أو لا يلمسون بالألم الذي لا يحتمل. إلاّ أنّ الايمان يخفف من وطأة الالم

عليهم". آمن كلفن أنه بالرغم من صعوبة الألم، الاّ أنه لا يجب أن يحول دون فرح المؤمنين. فالألم في المفهوم المسيحي، يترك مكاناً للفرح". عندما سئل، "كيف يمكن للانسان المؤمن، أن يختبر الفرح وسط الألم"؟ أجاب، "إنه فرح ينبع من اتحاد المؤمنين والمؤمنات بالمسيح. فالذين يشاركون في آلام وعار وموت المسيح، سيختبرون ثقة كاملة فيه، وسيشتركون في قيامته ومجده". أكمل كلفن قائلا، "نحن نشترك في آلام المسيح، حتى كما هو انتقل من هذا العالم المليء بالشرور الى المجد السماوي، هكذا نحن ايضاً ننتقل من اضطرابات الحياة العديدة، الى نفس المجد السماوي الذي انتقل اليه المسيح. وحيث أن قلوب واذهان المسيحيين تتشكّل على شاكلة رئيسهم الروحي الرب يسوع المسيح، فانهم أيضا يختبرون عطية الفرح التي يمنحها الله لنا وسط الضيقات والآلام والأحزان".

-الثالث: الحياة المسيحية تتطلّب التأمل في السماء

آمن كلفن، أن المؤمنين والمؤمنات لا يشتركون فقط في آلام وقيامة المسيح، لكنهم أيضاً يتمتّعون معه في مجد صعوده الى السماء. دعا كلفن جماعة الايمان، لأن ينكروا: غناهم ونفوذهم في العالم وسعيهم لمجدهم، ويتأملوا في حضورهم المستقبلي مع المسيح في السماء". لم ينظر كلفن الى العالم المادي كما هو، نظرة سلبية، لكنه اعتقد أنه من السهولة بمكان أن يحرف هذا العالم، المؤمنين والمؤمنات عن الهدف السماوي. قال كلفن، "غالباً ما تسحرنا وتجذبنا أباطيل هذا العالم، لتعطينا معنى زائفا للخلود وتعمي عيوننا عن حقائق الحياة العتيدة. لهذا، على المسيحيين ان ينظروا الى العالم المادي نظرة احتقار، بينما هم يركّزون على بيتهم السماوي". في مقطع شهير من كتابه "أسس الايمان المسيحي"، ذكر كلفن، "اذا ما كانت السماء هي بيتنا، فما هي اذن الأرض؟ انها مجرد بيت غربتنا. اذا ما كان الانطلاق من هذا العالم هو الدخول في الحياة، فما هو هذا العالم الاّ قبر؟ فما يعني أن نبقى في هذه الحياة، الاّ أن يحزننا الموت. إذا ما كان التحرّر من هذا الجسد، هو أن نختبر حرية كاملة، فما هو اذًا الجسد سوى سجن؟ إذا ما كان التمتّع بحضور الله هو السعادة الأسمى، أليس من الأفضل لنا، ألاّ نعيش حياة بائسة؟". آمن كلفن، أن الحياة المسيحية هي تركيز القلب والذهن، على الملكوت السماوي. قال، "على المسيحيين ألاّ يتمسّكوا بهذا العالم، بل يعيشوا بفرح وتوق: لمجيء المسيح الثاني، والقيامة الاخيرة، وحقيقة المجد المستقبلي بحضور الله. فهذه الأشواق السماوية تتأجّج، عندما يتذوّق المسيحيون كرم الله في هذه الحياة، وتتوجّه رغباتهم الى تحقّق البركات السماوية في الحياة العتيدة". اعتقد كلفن، أن التأمل في السماء، لا

يعطنا مبرّرا كيما نحتقر جسدنا الأرضي، أو يجعلنا نهمل واجباتنا الأرضية. آمن كلفن أن الله هو الذي يحدّد ساعة موتنا، لهذا دعا جماعة الايمان الى الاستمرار في مزاولة أعمالهم الى أن يدعوهم الله الى بيتهم السماوي. قال، "الى أن تحين تلك الساعة، فإن رجاء الشركة المجيدة الكاملة مع المسيح، هو الذي يمنح المسيحيين العزاء، ويشجعهم ويقويهم عندما يتواجهون بالضيقات والصعوبات. أعلن قائلا: "اذا ما كنا نعيش ونموت لأجل الرب، فلنترك قرار ساعة موتنا وحياتنا للمسيح، وانما بطريقة نتوق فيها للموت ونكون ثابتين بالتأمل في السماء".

-الرابع: الحياة المسيحية هي تمتّع باعتدال ببركات الله الأرضية

مع أن كلفن آمن أن احتقار هذا العالم، هو شرط مسبق للتأمّل بالحياة السماوية، إلّا أن هذه النظرة لم تجعله ينظر الى العالم نظرة سلبية. صحيح أنه رفض التمسّك بالأمور الأرضية، لكن لم تكن هذه القصة كلها. تحدث كلفن بايجابية عن التمتّع باعتدال ببركات الله الأرضية. في تعليقه على قول الرسول بولس، "لأن كل خليقة الله جيدة ولا يرفض شيء اذا ما أخذ مع الشكر، لأنه يقدّس بكلمة الله والصلاة" (١تيموثاوس٤: ٥٤)، قال كلفن: "حيث أن الله طعّمنا في يسوع المسيح، فإنه شكّلنا من جديد لنكون لوردات هذا العالم. لهذا، فإننا نستطيع أن نستخدم بشكل مشروع، البركات الأرضية التي منحنا اياها الله". وأضاف، "حيث أن المؤمنين والمؤمنات هم ورثة ومشاركين مع المسيح، فانهم يمتلكون الحرية ليستمتعوا بفوائد هذا العالم، طالما أنهم يقومون بذلك باعتدال، وبروح الشكر والايمان". عدّد كلفن بعض عطايا الله التي منحنا اياها قائلا: "ان جمال عمل يد الله في الطبيعة، ورائحة الزهور العطرة، وأطباق الورود الغنية بالألوان الساحرة، وجمال المعدن الثمين، وطعم المأكولات والشراب الجيد واللذيذ، كل هذه الامور هي من عطايا الله التي، قصدها للاستخدام الانساني". هتف كلفن قائلاً "ليس هناك أي طبق من زهر، أو لون في هذا العالم، لم يرد الله ان نتمتّع به". وسّع كلفن في مقطع آخر، لائحة عطايا الله المادية لتتضمن، "منتجات العبقرية الانسانية، الحضارة، النحت، الرسم، الكتاب الجيد، صيغ الرياضيات المعقّدة، الصداقة الانسانية العميقة، والموسيقى الجميلة. تغنى كلفن بالموسيقى قائلاً، "من ضمن الأمور التي تمتّع الانسان وترفّه عن نفسه هي، الموسيقى. يجب أن نقدّر الموسيقى لأنها عطية من الله". الاّ أنه في الوقت نفسه، وضع كلفن العديد من الارشادات والخطوط العريضة، لحماية المسيحيين من التجارب المادية والصنمية. قال "يجب على المسيحيين، ألّا ينسون أنهم سوف

يقدّمون يوما ما، حساباً عن وكالتهم في هذا العالم .لهذا يجب أن يعملوا لخدمة الله في دعوتهم الأرضية".

تحدث كلفن، عن الاستخدام المسؤول لما نملكه ونؤتمن عليه في هذه الارض. قال "دعانا الله الى مجموعة من الواجبات والمسؤوليات المقدسة. فمهما كانت دعوتنا ومهنتنا للعمل في هذا العالم: ان كان حداد، أو طبّاخ، أو لحّام، أو حاكم، فهذه الدعوات للخدمة، لها معنى وهدف روحي. وهي محفّز لنا لنخدم ونبذل الجهد في عملنا. لأنه من خلالها، يمجّد الانسان المسيحي الله، ويخدم القريب". علّق قائلا، "علينا أن ندرك ونتعزى، أنه ليس هناك أية وظيفة أو دعوة بلا فائدة، اذا ما كنّا نطيع دعوة الله لنا من خلال هذه المهنة". وبالتالي، إن موقف كلفن المميّز هذا، هو تأكيد صلب على جمال العالم المخلوق، وفوائد الحضارة الانسانية، وقيمة العمل الانساني.

-الخامس: الحياة المسيحية تتضمّن اختبار السبي الروحي

ثلاث كلمات تلخّص نظرة كلفن الى الحياة المسيحية، هي: السياحة، اللجوء، السبي. تظهر لغة الاقتلاع من الوطن، وعدم الاستقرار، مرّات عديدة في صفحات كتابه "أسس الايمان المسيح"، وتفاسيره، وعظاته، ومراسلاته الشخصية. استخدم كلفن تلك الصور لايصال فكرة أن جماعة الايمان، هم غرباء في هذا العالم، مقتلعون من مسقط رأسهم، يشعرون أن الارض ليس مكانهم المناسب، يعيشون حياة عدم استقرار، لأن العالم عدائي للمسيح وبرّه. قال كلفن، "اذا ما كانت السماء هي موطننا وبيتنا الأبدي، ماذا ستكون الأرض غير أنها مكان سبي وغربة؟". دعا كلفن المؤمنين والمؤمنات، لتركّيز أنظارهم على السماء لكي لا يفنى ولا يضمحل ميراثهم السماوي. دعا المتألمين والمعرّضين للموت من جرّاء الاضطهادات، أن يجدوا عزاءهم في حقيقة أنه من خلال الموت، فان الله يدعوهم من أرض السبي والغربة، ليسكنوا مع المسيح في البيت الأبدي.

استعار كلفن صورة "المؤمن السائح واللاجىء"، من اختباره الشخصي كلاجىء، أجبر على ترك وطنه ومسقط رأسه فرنسا ويعيش معظم حياته في جنيف. ومن كتاب القديس أوغسطينوس "مدينة الله". تعلم كلفن من حياة ابراهيم في الغربة، دروساً كبيرة عن حياة اللجوء الروحي. أقرّ في احدى اللحظات، أنه من الصعب جداً أن نعيش بعيداً عن مسقط رأسنا. وصرّح قائلا: "هكذا هي أيضاً طبيعة الحياة المسيحية". قال كلفن، "ليس لدينا أي ملجأ سوى عناية الله بنا. فحضور الله معنا، ومرافقته وحمايته لنا، هو الرجاء الأكيد للمسيحي". اعتقد المؤرخ أوبرمان، أن اختبار كلفن كلاجىء، هو الذي جعل "عقيدة عناية الله"، بهذه الاهمية له. أدرك كلفن، أن إتّباع المسيح، سوف

يجعل من أتباعه يختبرون، بأن هناك من سيسيء فهمهم ويرفضهم، لا سيما عندما يعيشون حياة القداسة، في عالم لا تقوى فيه. شجّع جماعة الايمان قائلا لهم، "عليكم دائمًا أن تبقوا شاخصين ومتشوّقين الى بيتكم الأبدي".

تعريف المصلح مارتن بوتسر عن الكنيسة الحقيقية

من المواضيع التي عالجها مصلح مدينة ستراسبورغ مارتن بوتسر، ادعاء الكنيسة أنها "معصومة عن الخطأ". قال بوتسر، "هذا الادعاء هو غامض جداً. لهذا يجب تحديد ما المقصود بذلك". وأضاف قائلا، "يمكن أن يقول هذا الادعاء صحيحا، إذا ما كنا نتحدّث عن الكنيسة المنتصرة، المؤلفة من أعضاء جسد المسيح، جماعة الايمان الحقيقيين، الذي يعيشون في وحدة معه، في الجسد الذي هو رأسه. لكن لن يكون الادعاء، بعصمة الكنيسة صحيحا، اذا ما كان المقصود بالكنيسة، "جماعة المعمّدين الذين يخضعون لسلطة كنيسة روما وقيادتها، ويحفظون تعاليمها، بغض النظر عن نوعية الحياة التي يعيشوها". قدم بوتسر، دلائل تدحض الاعتقاد بعصمة الكنيسة، بالعودة إلى التاريخ. قال" في زمن الأباطرة المسيحيين، مثل قسطنطين وغيره، وقع الكثير من الأساقفة في فخ البدعة الأريوسية. فإنه، لولا مراحم الله، الذي عمل بروحه في الأساقفة المؤمنين الحقيقيين، لما أنقذت الكنيسة من التعاليم المضلّة". وتابع قائلا، " كلا، الكنيسة على الأرض، ليست معصومة عن الخطأ، لكن فقط قوة المسيح داخل المؤمنين، هي التي تحثّهم على عدم الإستمرار في الخطأ".

تحدث مارتن بوتسر عن خمس سمات، تميّز الكنيسة الحقيقية عن غيرها، هي ما يلي:

أ-تكون الكنيسة حقيقية، عندما تسمع صوت راعيها، وترفض السماع لصوت الرعاة الأجراء والغرباء.

ب-تكون الكنيسة حقيقية، عندما تمارس خدمة التعليم، من خلال رعاتها ومعلميها.

ج-تكون الكنيسة حقيقية، عندما تقدّم خدمة صحيحة للكلمة. هذه السمة تصدر من السمة الثانية، لأنه عند انتفاء هذه السمة، لا تعود تنتمي الكنيسة الى الله.

د- تكون الكنيسة حقيقية، عندما تجري سرّيها بشكل صحيح.

ه- تكون الكنيسة حقيقية، عندما تمارس التأديب، بحق الأعضاء المخالفين، لأنه عندما ينهار التأديب تفسد خدمة الكنيسة.

و – تكون الكنيسة حقيقية، عندما تعيش حياة القداسة، وتدعو الى القداسة في الحياة والسلوك

أعلن قائلا: "عندما تقوم الكنيسة بكل ما ذكرناه ويمجّد الله، تكون فعلا الكنيسة حقيقية، وبدون تلك الأمور لن توجد الكنيسة.

اعتقد بوتسر، أن مسؤولية الكنيسة، هي وضع رسالة الانجيل أمام الناس، ومساعدتهم حتى يضعون ثقتهم بالمسيح. لكن عمل الله، هو أن يجذب الناس للإيمان، من خلال الروح القدس، عند قراءة كلمة الله، والكرازة بها". اعطى بوتسر مثال القديس أوغسطينوس، الذي استنار وآمن بالمسيح من خلال قراءة الكتاب المقدس. واستنتج أن الايمان بالسيح، ليس عمل الكنيسة، وانما عطية الله بروحه القدوس. آمن بوتسر، أن الله اختار، أن يوصل خلاصه الى البشر، من خلال خدام الكنيسة. تحدث عن صنفين من الخدام: الخدام المؤقتين والخدّام الدائمين. كما تحدّث عن ثلاث أنواع خدمات: الخدمة الرعوية، خدمة الإهتمام بالفقراء، وخدمة التعليم.

الخدام المؤقتون، هم: الرسل، والأنبياء، والمتكلمين بالألسنة، ومخرجي الشياطين، الذين يشفون الناس بكلمة الله. اعتقد أن الله لا يزوّد الكنيسة بهذا النوع من الخدام، طوال الوقت، وفي كل الأزمنة والعصور، وانما بشكل مؤقت وفي أوقات محدّدة.

الخدّام الدائمون، الذين هم القسوس والشيوخ والشمامسة. قال بوتسر، " يعيّن الله هذا الصنف من الخدّام، في كل كنيسة وفي كل الأوقات. مهمتهم: الاهتمام بتنمية حياة القداسة في الكنيسة، ومتابعة نموها روحيا وعدديا، من خلال الوعظ والتعليم والادارة". دعا بوتسر، الناس الى التوقّف على الاعتماد على سلطة الكهنة التاريخية، وعدم الخضوع لسلطتهم، وإنما فقط لسلطة كلمة الله، المعلنة في الكتاب المقدس. اعتبر بوتسر، أن الوعظ هي المهمة الأساسية للقسيس. فالمقياس الأساسي لتقييم عمل القسيس، هو كرازته بالمسيح باستقامة ونقاء.

القس سهيل سعود

بونهوفر: نحو لاهوت بيئي علماني

دعا اللاهوتي الانجيلي الألماني الذي عاش في القرن العشرين، ديتريش بونهوفر (١٩٠٦-١٩٤٥) الى تفسير لاهوتي للطبيعة، كنوع من لاهوت أسراري، يركّز على انخراط الله في الطبيعة، ويحثّ الناس الى تحمّل المسؤولية الأخلاقية للعناية بالبيئة خليقة الله. لا يحاول بونهوفر، تقديم لاهوت تقليدي كما يفعل الكثير من اللاهوتيين اليوم، بأن نكون مجرّد مؤتمنين على خليقة الله الطبيعة وأن نعتني بها، وانما ينظر الى الطبيعة كونها جزءا لا يتجزأ من نظام بيئي أوسع، كون أنها تتشارك معنا في هذا الحقل المشترك، بين الله والانسانية والطبيعة. كعادته، شدّد بونهوفر على البعد الكريستولوجي في لاهوته البيئي. قال "نحن نعرف ببركة الله على كل الحياة الطبيعية، بسبب حضور الطبيعة البشرية في شخص يسوع المسيح. فهذه المعرفة تكشف عن التاريخ الطبيعي لعمل الكلمة الالهية اللوغوس، في الخليقة نفسها"، كما قال الرسول بولس، "فانه فيه خلق الكلّ: ما في السموات، وما على الأرض . ما يرى وما لا يرى، سواء كان عروشا أم سيادات أم رياسات أم سلاطين. الكلّ به وله قد خلق" (كولوسي ١: ١٦). آمن بونهوفر، أن يسوع المسيح حاضر كمحور الطبيعة، قال، "الطبيعة في المسيح، تنخرط مع الانسانية، وتصبح عطية الله الخالق".

في كتاباته حول الطبيعة، قدّم بونهوفر منهجًا لاهوتيًا للطبيعة غير الانسانية، واقترح تفسيرا مسيحيا للاهوت علماني جديد، يحثّ كل الناس مهما كانت خلفياتهم الدينية والعرقية والثقافية، للعناية بالبيئة. دعا الكنيسة الى المساهمة في تفسير علماني للمفاهيم الانجيلية الكتابية حول الطبيعة، كيما يعيد اطلاق العلاقة الصحيحة بين الناس، وحياة الطبيعة. دعا الى عدم الفصل بين الانسانية والطبيعة، بل وضع الانسانية في الطبيعة، مؤكّدا أن الاثنين: الانسانية والطبيعة، قد تشكّلا بحضور الله في الخليقة. ان دعوة بونهوفر هذه، هي مساهمة هامة في لاهوت حديث ناقد، يجذب الكنيسة الى وسط العالم.

تحدّث بونهوفر عن بركة الله، ليصف كل العطايا الأرضية التي ننعم بها. قال، "في البركة، نقرّ ونؤكّد، أن كل الحياة الأرضية، تأتي من الله. تنتمي هذه البركة الى الحياة نفسها". شدّد بونهوفر على الاستقلالية في حرية، تلك الحياة الطبيعية. أثناء تفسيره، في كتابه "الخليقة والسقوط" ، لما ورد في سفر التكوين، "وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا،

فيتسلّطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الارض وعلى جميع الدابات التي تدب على الأرض. فخلق الله الانسان على صورته. على صورة الله خلقه، ذكرًا وأنثى خلقهم" (تكوين١: ٢٦و٢٧). تحدّث بونهوفر عن انتظام طبيعي اجتماعي، من خلال هذا الحقل المشترك بين الله والانسانية والطبيعة، وقال، "أن الله اختار هذه الطريقة ليكون فيها مع خليقته". مما ذكره بونهوفر، "أن الله أسّس السمة الاجتماعية للحياة الانسانية، على أنها مظهر من مظاهر بركات الله". وأضاف، "لا يمكن أن نقارن هكذا بركة مع النعمة الالهية المخلّصة للانسان، اذ ليست الطبيعة نقيض للنعمة. ويجب ألاّ يعتّم على الطبيعة بانتصار النعمة".

آمن ديتريش بونهوفر، بمبدأ "حرّية الوجود من أجل الآخر". رأى تشابها عمليا في هذا المبدأ، بين الله والانسان. تحدّث، عن حرية الله لأجل الانسان، في المسيح يسوع. قال، "ليس هناك أي جزء أو مظهر من الانسانية يمكن أن يشبه الله، أكثر من مبدأ ،"حرّية الوجود من أجل الآخر ". فهذه الكينونة من أجل الانسان في المسيح، هو شكل حضور الله الذي ينسجم مع صورته في الانسانية، كيما يكون المخلوق على صورة الخالقن ويوجد من أجل الآخر".

القس سهيل سعود

ما بين البرّ الأصلي والخطيئة الأصلية

المصلحين: مارتن لوثر وجان كلفن

اعتقد القديس أوغسطينوس، أن الخطيئة الأصلية، هي خلل وراثي في الانسان، يتمظّهر في ميله الفطري الى الشرّ، والغيرة على فعله. رأى أن هذا الميل الفطري للشرّ، الذي هو نقص للنعمة، وهو بالوقت نفسه: السبّب والنتيجة، لخطايا الانسان. آمن أوغسطينوس، أن البرّ الاصلي الذي كان للانسان قبل السقوط، هو نعمة مضافة على الطبيعة الجسدية. وآمن أن الطبيعة الجسدية، لا يمكنها أن تعمل بشكل مناسب، دون هكذا نعمة مضافة، التي تعيق السمة الشهوانية للميل الفطري الى الشرّ.

خلافًا لأوغسطينوس، اعتقد القديس أنسيلم، أن البرّ الاصلي ليس نعمة اضافية مضافة على الطبيعة البشرية، وانما جزءا منها. آمن أن الخطيئة الأصلية، هي ببساطة غياب للبرّ الأصلي وغياب للخير، وهي ليست متضمّنة وراثيًا في جسدنا البشري. حدّد القديس أنسيلم موقع الخطيئة في طبيعة الانسان العقلية. اعتقد أن الخطيئة الأصلية لا تنتقل بالوراثة من خلال عملية الانجاب بل من خلال الارادة. راى الارادة الانسانية، هي الوسيلة التي تنتقل من خلالها الخطيئة الأصلية، وليس الفعل الجسدي بالتزواج والتكاثر. ميّز أنسيلم بين: الخطيئة الأصلية، والخطيئة الشخصية، لكي يظهر أن كلا منّا، كونه ابن آدم، هو انسان بفضل الخليقة. وكلّ منا هو آدم، بفضل التزاوج والتكاثر. آمن أنسيلم، أن البشر يولدون مع الخطيئة الأصلية، التي هي الميل الفطري للشر. ومع أن هذا الذنب يغفر في المعمودية، لكنه، يبقى كقوة في حياة المعمّد. لهذا السبب يستمر الانسان المعمّد في معركته وصراعه مع الجسد بسبب ميله الفطري الى الشر. وهذا ما يفسد البرّ الأصلي، ويقود الجسد في صراعه مع الروح.

أما المصلح مارتن لوثر، فقد فهم البرّ الأصلي، على أنه الايمان ومخافة الله، والذي كان في الأصل جزءا من كوننا انسان، لكن الانسان خسر البرّ الأصلي بالخطيئة الأولى. وهكذا أفسدت الخطيئة الأولى، الانسانية وأنكرت الأمل غير الكريستولوجي في صلاح الطبيعة البشرية. فسّر لوثر، الميل الفطري في الانسان الى الشرّ، على أنه عدم ايمان. والنعمة على انها عمل الله. قال، "مع أن الخطيئة الأصلية تغفر في المعمودية، الاّ أن بقاء الميل الفطري للشرّ فينا، يفرض الحاجة الى الروح القدس لأماتة الجسد". يعرّف "اعتراف ايمان أوغسبرغ اللوثري"، الخطيئة الأصلية، أن يكون الانسان: دون خوف من الله، دون ثقة في الله، ولديه ميل فطري نحو الشر. وأن هذا المرض (أو الرذيلة)هو بالحقيقة خطية وراثية، وهي تدينا وتجلب الهلاك الأبدي على الذين لم يولدوا ثانية بالمعمودية والروح القدس.

في تفسيره لسفر التكوين وملاحظاته حول طبيعة البرّ الأصلي، قال لوثر،" عندما تقرّ أن البرّ الأصلي لم يكن جزءًا من جوهر الانسان، ألا يتبع ذلك ان الخطية التي اتخذت مكانها، ليست أيضا جزءًا من جوهر الانسان ايضًا. وبالتالي، لم يكن هناك فائدة من ارسال المسيح المخلص الى العالم ليخلّصنا.

ان مساهمة لوثر في موضوع أصل الخطيئة ، أنه أخذ من مفهوم أنسيلم حول البرّ الأصلي في الطبيعة البشرية، ومن القديس أوغسطينوس مفهوم الميل الفطري الى الشر، ليخرج بعقيدة أن الانسان المؤمن، هو في الوقت نفسه، "خاطىء مبرّر" أو "قديس خاطىء".

أما المصلح جان كلفن، فانه لم يرغب بالتأمل كثيرًا في الطبيعة الانسانية ما قبل السقوط، والتي هي موضوع البرّ الاصلي. عند تعريفه للخطيئة الأصلية، فقد قال: "ليس هدفي أن أحقّق في التعاريف المتنوعة حول الخطيئة الأصلية. وانما ببساطة تسليط الضوء على التعريف الذي أجده الأكثر انسجامًا مع الحقيقة. تبدو الخطيئة الأصلية على أنها فساد وانحراف وراثي في طبيعتنا البشرية، ينتشر في كل أجزاء النفس ، يجعلنا معرّضين، أولاً لغضب الله، ويبرز فينا ما يسميه الرسول بولس "أعمال الجسد" (غلاطية٥: ١٩-٢١). "وأعمال الجسد ظاهرة التي هي: زنى، عهارة، نجاسة، دعارة، عبادة أوثان، سحر، عداوة، خصام، غيرة، سخط، تحزّب، شقاق، بدعة، حسد، قتل، سكر. وأمثال هذه التي أسبق فأقول لكم عنها، كما سبقت فقلت أن الذين يفعلون مثل هذه،ين لا يرثون ملكوت الله". تحدث كلفن عن انعكاسات الخطية في حياة الانسان المؤمن. علّق كلفن على كلمات بولس، بقوله، "هذه الكلمات تزوّدنا بنقطة الانطلاق التي لمعالجة موضوع الخطيئة".

القس سهيل سعود

أوجه الخطيئة الثلاثة: الكبرياء، والكسل، والزيف

اللاهوتي الانجيلي كارل بارت

يستخدم اللاهوتي كارل بارت، منطقًا كريستولوجيًا في معالجته لموضوع الخطيئة. آمن، أن ولادة الرب يسوع المسيح، غير ملوّثة بالخطيئة الأصلية، لأنها حدثت بارادة الله وليس بارادة آدم. لهذا، اختبر يسوع البرّ الاصلي، بينما نحن نختبر الخطيئة الأصلية. اعتقد بارت أنه من الممكن أن يتكوّن لدينا معرفة حول الخطيئة، فقط في ضوء اعلان الله والانسانية، في الاله الانسان يسوع المسيح. آمن كارل بارت، أن عقيدة المصالحة، هي المكان المناسب لمعرفة الخطيئة، لأن المسيح وحده لم يعرف خطيئة ولم يوجد في فمه غش. لهذا، يجب علينا أن نواجه ذاك الذي صار خطيئة لأجلنا، لندرك أننا خطاة ونتوب الى الله.

تؤكّد اعترافات الايمان اللوثرية، أن معرفة الخطيئة ضرورية لإدراك عظمة نعمة المسيح، لأنه ان لم نتعرّف على أمراضنا لا يمكننا تقدير مدى عظمة نعمة المسيح. لم يؤمن لوثر، بوجود حالة انسانية منسجمة، خارج النعمة الالهية. آمن كارل بارت، أنه عندما نتعرّف على المسيح الذي

هو الاعلان عن نعمة الله، سوف نفهم خطوة فخطوة أمرين أساسيين. الأول، حقيقة أن الانسان هو متعدّ. والثاني، أن طبيعة التعدّي مخالفة لنعمة الله".

تحدّث بارت عن ثلاثة أوجه للخطيئة: الأول، الكبرياء. الثاني، الكسل. الثالث الزيف. قال، "ان معرفة يسوع المسيح في أوجهها الثلاثة، تتضمّن معرفة خطيئة الانسان، في كبرياءه، وكسله، وزيفه. اعتقد أن عقيدة الكريستولوجيا، تظهر أن الخطيئة تعارض ما قد فعله الله لأجلنا في يسوع المسيح". فخطيئة الكبرياء تناقض تواضع الله في المسيح. وخطيئة الكسل تناقض تعظيم الانسانية في يسوع المسيح. وخطيئة الزيف وعدم الحقيقة، تناقض شهادة فدائنا التي تأكّدت في يسوع المسيح.

اعتقد بارت أن خطيئة الكبرياء هي المستوى الأعلى بين الخطايا الثلاث. قال، "تدعى خطيئة الكبرياء بهذا الاسم، لأنها نقيض البرّ، ومضمونها نقيض الايمان. عندما فسّر الخطيئة ككبرياء، تحدّث عن انسان الخطيئة، وكبرياء وسقوط الانسانية، في ضوء طاعة ابن الله. كشف عن تأثير الخطية ، في جزمه أن الخطية تنتج فساداً راديكالياً في الانسان يبرز من هذه الحقيقة أمران: الأول، شدة غضب الله. الثاني، شمولية النعمة الالهية. قال، "الخطية في وحدتها وشمولها هي دائماً كبرياء، ونعمة الله المصالحة في وحدتها وشمولها، هي دائماً مبرّرة للانسان".

تظهر سمة الكسل في الخطيئة، في تفسير بارت "عار الانسانية"، اذ كشف معنى العار الانساني، في ضوء ربوبية يسوع ابن الانسان. قال، "ان تمجيد ابن الانسان، يعلن أن البشرية خاطئة في كسلها. وأضاف "ان وجود يسوع، ونزول الروح القدس الذي أرسله، يظهر عار جميع الناس". في كتابه "كسل الانسان"، يعرّف بارت "الكسل"، على أنه عدم نشاط شرير، يظهر بالرفض المدمّر، الأمر الذي يفسد علاقتنا مع الله والناس والحياة. راى أن هذا الكسل، يتمظهر في الغباء وعدم الانسانية. اعتقد أن خطيئة الكسل، تؤثّر على علاقتنا مع التجلّيات الأخرى للخطيئة نفسها. في كتابه "بؤس الانسان"، يبيّن بارت، تأثير خطية الكسل على الانسان، اذ تسبّب له البؤس، وتظهر حالتنا الانسانية البائسة على أنها انحراف، يسبّب خطايا فعلية، وتؤكّد ليس فقط على شناعة ما نقوم به، ولكنها تظهر حقيقة من نحن كبشر، اذ تحكمنا ارادة مخّزية، تتناقض مع حقيقة يسوع المسيح، الذي يحرّر ويجدّد الانسان، ويقدّم نفسه لنا.

القس سهيل سعود

كتاب "مملكة المسيح" خطة اصلاح للدولة

المصلح مارتن بوتسر

عندما كان المصلح الستراسبورغي مارتن بوتسر، يخدم في انكلترا في السنتين الأخيرتين من حياته بين الأعوام ١٥٤٩-١٥٥١، كتب كتابا بعنوان "مملكة المسيح"، كان بمثابة مشروعه الاصلاحي للمملكة، تناول اصلاحه كل جوانب الحياة: الكنسية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والوطنية، انطلاقا من فهمه للانجيل. ضمّن في كتابه، وضع سياسات عمل تشمل: الإشراف على التربية والتعليم، والعمل، التجارة، والصناعة، والتشريع، والمحاكم، ونظام التأديب والعقاب، والخدمة المدنية، وغيرها. وضع خططا مالية، لدعم امتداد الإصلاح في كل مناطق المملكة. واقترح تأسيس مجلس خاص، مهمّته مراقبة تنفيذ الخطة المقترحة. ربط بوتسر بين: الأخلاق المسيحية، والحياة المدنية.

إعتقد بوتسر أن الإصلاح الجيد، يجب أن يؤثر على كامل جوانب حياة المملكة، ويغيّرها. آمن أن حلول الروح القدس في حياة جماعة الايمان، تدخل قيم الانجيل إلى الأذهان والقلوب، وتخلق فيهم الفضائل، المتمثّلة بالرغبة والشوق لمساعدة بعضهم بعضا باجتهاد، كأعضاء متنوعين في جسد المسيح الواحد. وعندما تنمو وتتعمق المحبة الأخوية والتقوى بينهم، فلا يعودون يعملون من أجل مصالحهم الشخصية ومجدهم الذاتي، وانما من أجل مصلحة الآخرين وفائدتهم، ومجد المسيح. وهكذا، يتشاركون بحرية، من فيض بركات الله عليهم، مع الذين لا يملكون.

هدف بوتسر من وراء كتابه، الى وضع رؤية انجيلية اصلاحية، من خلال: الكرازة بالإنجيل، والإصلاح: الأكاديمي، والتربوي، والاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي. شملت رؤيته، اصلاح مؤسستي الكنيسة والدولة. قال، "بما أن الكنيسة والدولة، مؤسستان إلهيتان، فان الله يستخدمهما من أجل تحقيق الاصلاح". حدّد طبيعة العلاقة بين الكنيسة والدولة، بقوله: "تكون الكنيسة خاضعة للدولة، طالما أن الدولة تقوم بواجبها في الإشراف على الحياة العامة. وتكون الدولة خاضعة للكنيسة ، طالما أن القادة السياسيين، يوجّهون من قبل خدّام الكنيسة نحو الهدف النهائي للحياة، ألا وهو تأسيس ملكوت المسيح". رأى بوتسر ضرورة كبرى، للتقارب والتعاون والتنسيق بين المؤسستين لتحقيق الهدف النهائي. اعتقد، أنه على القادة الدينيين والسياسيين،

المشاركة معًا في جعل مملكة انكلترا، "مملكة المسيح". كان مدركا تماما، أنه سيكون هناك نوع من المزج في المسؤوليات بين قيادات المؤسستين، لكنه رأى في هذا الأمر، فرصة مشتركة للتنسيق والتقارب بينهما. رأى أنه على الكنيسة ان تشارك في تأسيس مملكة المسيح، من خلال خدّامها، الذين يخرجون من داخل الكتاب المقدس، المبادىء العملية، حول مسائل الحياة، مثل : العمل، الزواج، الطلاق، توجيه حياة العائلة، وغيرها من الأمور. والقادة السياسيون، يعملون للاصلاح من خلال التربية والتعليم، والاهتمام بالشأن العام. قال، "تستخدم الدولة: القوة والسيف والقانون، وتستخدم الكنيسة قوة كلمة الله والإقناع. تحكم الدولة، من خلال القوانين والتشريع، وتحكم الكنيسة، من خلال الوعظ والتعليم بكلمة الله".

لاحظ مارتن بوتسر، عدم وجود توازن بين الصادرات والواردات، في البلاد. قال، "يجب الاعتماد على التصدير، اكثر من الاستيراد"، وقدّم عدة اقتراحات، لتحسين الصناعة، للاقلال من الاستيراد، منها: تعليم النساء مهنة الخياطة، للاعتماد على صناعة الثياب المحلّية. انتقد بوتسر الدولة، لتركيزها على زيادة مدخول خزينتها، من خلال زيادة الضرائب على الكنيسة. إنتقد جشع التجّار والملاّكين، الذين عملوا على إفقار الناس، وطالب بضرورة مساعدة الفقراء، وايجاد عمل لمن لا عمل لهم، لكسب لقمة عيشهم.

فيا ليت قادتنا في لبنان، يتعلّموا القليل من مصلحينا الكبار، ليعرفوا كيف يصلحوا بلدنا الحبيب الذي هو على شفير الانهيار. يا رب احفظنا شعبنا اللبناني المقهور، وطننا الجريح لبنان.

القس سهيل سعود

<u>"المدارس أدوات الله المختارة لإعداد مواطنين صالحين للكنيسة والمجتمع"</u>

المصلح الانجيلي فيليب ميلنكثون

المصلح فيليب ميلنكثون هو شريك المصلح مارتن لوثر في حركة الاصلاح الانجيلي. لشدّة اهتمامه بالتربية، والمناهج في المدارس والجامعات، لقّب بلقب "معلّم المانيا الأول" . تحدث ميلنكتون عن دور التربية في اعداد مواطنين صالحين للكنيسة والمجتمع. قال "يجب ان تكون المهمة الاولى، للمدارس في البلد الحضاري، وذلك من خلال تعليم الشباب على الادارة الأساسية الجيدة للفضائل. فلن يكون هناك انساناً صالحًا دون فضائل". دعا الأهل، لكي يخلقوا في نفوس أولادهم الفضائل والمبادىء. دعا ميلنكثون التلامذة ليتعلّموا فضائل أساتذتهم ويروا في تعلّمهم سياقا أوسع من الحقل الزمني. وجد ترابطا بين، المثل الأخلاقية، والتقوى الدينية، والمسؤولية المدنية. كانت

الذهنية المنتشرة، بأن على الشباب أن يسعوا وراء تعلّم المهن والمهارات التي تؤمن لهم فرصًا للعمل كالتجارة وغيرها، لكن ميلنكتون شجّع الاهل ليخلقوا في أولادهم رؤية أبعد من ذلك، أن يكونوا بالدرجة الاولى، مواطنين صالحين لأن المواطنة الصالحة هي الأساس للمجتمعات الجيدة. شدّد على ضرورة تعليم الشباب، المواضيع التي تحسّن الحياة الاجتماعية. قال ميلنكتون، "كيف يمكن لأي شخص أن يكون قائدًا جيدًا، إن لم يقرأ أبدًا الكتابات التي تتضمّن الفكر حول ادارة المدن، ليقدم المساهمة الافضل للدولة". عند تأسيس مدرسة في نورمبرغ عام ١٥٥٨ ، قال ميلنكتون: "الناس الأنقياء والأوفياء والأذكياء هم حاجة قصوى، للخدمة في الوعظ في الكنيسة، وفي المراكز الادارية في الحكومة". نظر الى المدارس على أنها أدوات الله المختارة الصحيحة لإعداد هكذا أناس. اعتقد ميلنكثون ان احدى مهام المدارس، قياس قدرات التلاميذ الفكرية والتعليمية، وتحسينها. واعتقد لوثر، أن المدارس تحسّن قدرات الانسان، ومعرفته لاختبارات الحياة اليومية، وتسمح للناس بخدمة الآخرين، وهكذا تساهم بتحسين المجتمع ككل.

أراد ميلنكثون أن تشمل التربية والتعليم، كل جوانب الانسان، فهو لم يميّز بين ما هو زمني وما هو روحي. أراد توحيد التزامات الانسان الدينية، بواجباته المدنية. اعتقد أن التربية تساهم في تشكيل كل الانسان. قال "بدون التربية والتعليم، لن نعرف حالة الارض ولا مفاهيم صحيحة عن الدين". وأضاف: "عندما يتعلّق الأمر في مملكة هذا العالم، ليس على المسيحيين أن يضعوا عقولهم جانبًا، لكنّهم يستطيعون إستخدام ذكائهم: في التربية، والتعليم، والسياسة والتاريخ، وعلم النفس، وما إلى ذلك". وأكمل قائلا، "هناك من يعتقد أن المعرفة الإنسانية هي بحدّ ذاتها خطية، لكن هذا الإعتقاد ليس فقط خطأ، لكنه خطية كبيرة، لأن الذين يعتقدون ذلك، يجعلون من أنفسهم قضاة وديانيين لهذا العالم. فليس هناك أي شيء خطأ في المعرفة الإنسانية، عندما تخدم البشر. فالمسيحيون يستطيعون دائمًا تقدير الحكمة والمعرفة".

اعتقد ميلنكثون ولوثر أن للمدارس القدرة على خلق مواطنين صالحين. إلّا انه اعتقد أيضًا، أن لا سلطة لها في المسائل الروحية. قال، "للحكومة الزمنية قوانينها التي لا تتجاوز أكثر من الأملاك والمسائل الخارجية على الارض، لكن الله لا يسمح لغيره بالسيادة على نفوس الناس". وأضاف، "اذا ما إدّعت السلطات الزمنية بأن لها قوانين على نفوس البشر، فإن هذا الادعاء هو تعدٍ على حكم الله". فمع أنه طالب بتعليم الكتاب المقدس والايمان المسيحي الى جانب المواد الدراسية الأخرى. إلّا أنه أصرّ على عدم فرض العقيدة المسيحية على أحد.

من الأمور الهامة التي قام بها ميلنكتون انه وضع بالتعاون مع لوثر، ورقة عمل لاصلاح الكنائس والمدارس في منطقة سكسوني، عرفت باسم: "تعليمات لزائري قسوس الأبرشيات". طالب فيها بتوحيد العمل الاصلاحي بين الكنيسة والمدرسة. تضمّنت ورقة العمل، تعليمات تنفيذية مؤلّفة من جزئين: احتوى الجزء الأول، على موجز عن عقيدة الايمان الانجيلي المصلح، كما يجب أن يعلّم في الكنائس. بالاضافة الى موجز عن القوانين التي يجب أن تتّبعها المدارس المصلحة. تضمّن الجزء الثاني، تعليمات مفصّلة عن المناهج الدراسية التربوية التي يجب اعتمادها في المدارس. هدفها مساعدة التلامذة وتأهيلهم ليتعلّموا التعليم الصحيح.

القس سهيل سعود

"هل يكفي أن نضع الكتاب المقدس في أيدي الناس"؟

المصلح جان كلفن

منذ بداية انتسابه الى حركة الاصلاح الانجيلي، فكّر كلفن أنه قبل أي شيء آخر، يجب أن يعيد القراءة المفيدة للكتاب المقدس، لكل انسان مسيحي مهما كان مستواه العلمي والثقافي. في المقدمة التي كتبها للترجمة الفرنسية للكتاب المقدس، التي قام بها أوليفتان، توجّه كلفن الى المعارضين لوضع الكتاب المقدس في أيدي الناس، قائلاً "هناك أصوات غير تقوية تعترض مدّعية أنه من العار طباعة هذه الأسرار السماوية ووضعها بين أيدي العامة". ثم يتساءل كلفن، "كيف يستطيع أولئك البسطاء غير المتعلّمين، أن يفهموا هكذا أمور"؟ ثم يجيب، قائلاً "كل المسيحيين متعلّمون من الله، لأن الله يعلّم أولاده المؤمنين في مدرسته من خلال نصوص الكتاب المقدس". لجأ كلفن الى كتابات آباء الكنيسة، ليدافع عن ضرورة قراءة المسيحيين للكتاب المقدس، وان كان تحت مخاطرة الوقوع في الهرطقة. اقتبس من أقوال القديس يوحنا فم الذهب، قوله "أن قراءة الكتاب المقدس من قبل العامة، هو أهم من قراءته من قبل الرهبان. وأن على كل مسؤول في منصبه، ان يعمل على استعادة قراءة الكتاب المقدس لكل المسيحيين، ابتداءً من الحكّام، الى الأساقفة والكهنة والرعاة.وأن يتأكّدوا انه ليس ممنوعًا على أي مسيحيّ، أن يقرأ ويسمع الكتاب المقدس بحرية في لغته، الأم لأن هذه هي ارادة الله".

كتب كلفن، قائلاً "اذا ما كانت رغبتنا عدم حرمان المسيحيين العامة من كلمة الهم، فإنه يجب ألاّ نمنع عنهم المصادر المفيدة لنموّهم في فهمهم الصحيح لها". وأضاف "من الواضح انه يجب مساعدتهم من خلال عمل المفسرّين المتقدمين علينا في المعرفة، كيما يتمكّنوا هم أيضا من قيادة الآخرين ". أدرك المصلح كلفن أن وضع الكتاب المقدس في ايدي العامة لا يكفي. وأن هناك حاجة ماسة الى مفسّرين للكتاب المقدس، ليساعدوا الناس في قيادة المسيحيين في تفسير وتوضيح نصوص الكتاب المقدس لهم. قال ، "نحن بحاجة لمفسّرين تقويين لنرسلهم الى الكنائس، ليقودوا الناس ويقدّموا لهم التوجيهات الضرورية في قراءة كلمة الله، وذلك لكي لا يتيهوا عن سعيهم وراء معرفة الله الحقيقية". أعلن قائلا، "كل ما أريده هو تسهيل قراءة الكتاب المقدس للبسطاء وغير المتعلّمين".

نرى جهود كلفن في هذا المضمار، في تقديمه الارشاد والتعليمات لأعضاء الكنيسة في السنين الستة الأولى من انتسابه لحركة الاصلاح الانجيلي أراد من كتابه "أسس الايمان المسيحي"، الذي أصدر نسخته الأولى عام ١٥٣٦، أن يكون كاتخيسم أو كتاب تعليم للمسيحيين، لتعليمهم عن أساسيات العقيدة المسيحية الصحيحة. ذكر في مقدمة الكتاب، "هدفي الوحيد أن انقل بعض الأساسيات المسيحية، حتى ان الذين لمسوا بأي غيرة على الايمان، أن يصاغوا في حياة الصلاح الحقيقية. وبالتالي، كان كتاب كلفن، "أسس الايمان المسيحي"، بمثابة البديل عن الكاتخيسم المسيحي. بعدها، رأى كلفن نقصًا كبيرًا، في الرعاة المدرّبين جيدًا لرعاية الكنائس لاعدادهم جيّدا للخدمة. لهذا، فإنه قدّم في طبعته الثانية لكتابه "أسس الايمان المسيحي" عام ١٥٣٧، ملخّصًا للايمان المسيحي في كل أجزاءه ونظّمه بطريقة عملية، حتى اذا ما إطّلع أحد عليه، فإنه لن يستصعب، معرفة ما يريد أن يفتش عنه، وترابط المواضيع ببعضها البعض. ثمّ، وجّه كلفن، المرشّحين للقسوسية للاستفادة من تفاسيره الكتابية، بدءًا من تفسيره لرسالة بولس الى اهل رومية، التي اطلق عليها اسم "المدخل الصحيح لكل الكتاب المقدس". أيضا، طوّر كلفن برنامج دراسة للمسيحيين من العامة. وترجم عظات للقديس يوحنا فم الذهب الى اللغة الفرنسية، لتشكّل لهم نوعًا من الدعم الكتابي والروحي أثناء قرائتهم للكتاب المقدس.

"لن يكون أحد معلّمًا جيدًا، ان لم يثبت أن لديه قابلية للتعلّم"

المصلح جان كلفن

كان المصلح جان كلفن، من المصلحين النادرين الذين دعيوا باللقبين: لقب القسيس، ولقب المعلّم. مثلاً، خلافا لكلفن، اختارالمصلح فيليب ميلنكتون أن يكون فقط معلّما. بحلول العام ١٥٤٣، اقتنع كلفن، أن الله يريد قيادة الناس في الطريق الصحيح لقراءة الكتاب المقدس، من خلال مركزين تعليميّين لتثبيت الايمان، هما: مركز المعلّم، ومركز القسيس. ميّز بين هذين المركزين التعليميين. رأى مهمة القسوس، في تقديم التعليم والوعظ لرعايا كنائسهم، وتطبيق المعنى الصحيح الأصيل للكتاب المقدس، بينما رأى مهمة المعلّم، تعليم عقائد التقوى للكنيسة الجامعة، والدفاع عن تلك العقائد من الهرطقات، وتصحيح أي ضرر أو تعليم خاطىء يقوم به القسوس. أيضا

رأى، أنه من مهمة المعلمين الأساسية تعليم القسوس. قال،"يمكن للمعلّمين أن يكونوا مسؤولين عن تعليم القسوس من خلال تقديم المحاضرات، لهم حول الكتاب المقدس. لكن تختلف مهمة القسوس عن المعلّمين، أن القسوس لا يعلّمون قسوساً آخرين". اصدر طبعة عام ١٥٣٩ من كتابه، "أسس الايمان المسيحي"، بصفته كمعلّم للكنيسة الجامعة. علّم العقائد الصحيحة ودافع عنها ضد أخطاء المعلمين الزائفين.

عمل كلفن، على خلق كنيسة يكون فيها المسيحيون قارئين للكتاب المقدس ومتعلّمين بأنفسهم. وبنفس الوقت، مستعدين أن يتلقّوا الارشادات من الآخرين لقيادتهم في توضيح وتفسير الكتاب المقدس. قال، "لكل مسيحي الحق والقدرة، أن يحكم ويقيّم صوابية العقيدة، من خلال قراءته وبحثه في الكتاب المقدس. فالمسيحي الذي يقرأ الكتاب المقدس، يحفظ من الخطأ ويثبت في الحقيقة لأن ما يقرأه يزوّده بالمهارة المطلوبة لتعليم الآخرين، ويصبح مخوّلا لتقرير صوابية او عدم صوابية ما يسمعه من القسيس أو من أي معلّم آخر. اعتقد كلفن أنه يجب على المعلّمين أن يكونوا مستعدين لأن يصغوا لتعليمات الآخرين. أوضح سبب ذلك بقوله، "لأن الله لم يعلن ملء حكمته لأي فرد واحد من البشر. لهذا، ينبغي علينا أن نبقى في تواصل متواضع مع الآخرين، ليس فقط كأساتذتهم، وانما أيضاً كتلامذتهم الحقيقيين". أعلن قائلا، "لن يكون أحد معلّماً جيداً، ان لم يثبت أن لديه قابلية للتعلّم، يكون دائماً على استعداد للمزيد من التعلّم". كانت رؤية كلفن، وجود كنيسة يكون فيها كل مسيحي من الأكثر الى الأقلّ تعلّماً، في الوقت نفسه تلميذاً ومعلّماً". خاطب كلفن المعتدّين بأنفسهم في الكنيسة، المعتقدين أنهم ليسوا بحاجة لمن يعلّمهم، قائلاً لهم: "تخلّصوا من هذه العجرفة الجنونية، بأن تعتبروا أنفسكم اذكياء كفاية ولستم بحاجة الى المزيد". وأضاف، "بالرغم من أن المسيح يسوع، قد عيّن البعض ليكونوا معلّمين ويقودوا الآخرين في الطريق، لكن لا يعني هذا انهم أصبحوا أذكياء مكتفين بما لديهم، وغير مريدين أن يكونوا تلاميذ متعلّمين كالباقين. فالذي يعلّم، يجب عليه أن يكون مستعداً لأن يتعلّم. ولن يكون اي شخص مناسباً ليعلن ارادة الله للآخرين، ان لم يتعلّم بنفسه يومياً. هكذا هي مدرسة المسيح".

أعطى كلفن، مثل الرسول أبلّوس المذكور في سفر أعمال الرسل الاصحاح الثامن عشر. قال، "بالرغم من أن أبلّوس، كان رجلاً فصيحاً امقتدر، خبيراً في طريق الرب" (أعمال الرسل، ١٨: ٢٤-٢٥)، قال كلفن، "من ناحية لم يشعر، أكيلا وبريسكلا بالغيرة، من وجود انسان مقتدر مثل أبلّوس. ومن ناحية أخرى، أبدى أبلّوس تواضعاً كبيراً عندما سمح لنفسه، بأن يتعلّم من قبل عاميين،

يعملان في مهنة صنع الخيام. وبالتحديد من قبل المرأة بريسكلا، بالرغم من انه كان متقدماً عليهما في العلم والمعرفة". وأضاف، "الذين بدوا بصعوبة خداماً مناسبين، قدّموا لأبلوس التعليم المناسب، لما يفعله خادم كفوء في عالم ملكوت الله، لأنه ينبغي على كل مسيحي، بقدر ما هو معلّما أن يكون تلميذًا ايضاً".

القس سهيل سعود

هنريخ بولينغر لاهوتي العهد

المعلم هينريخ بولينغر بكونه لاهوتي العهد بامتياز. كان سباقًا في استخدام لاهوت العهد، كمعيار ومبدأ تنظيمي لصنع اللاهوت. تطرّق الى موضوع العهد في العديد من كتاباته. كتب عام ١٥٣٤ ، مقالة بعنوان "حول عهد الله الواحد والأبدي". مما ذكره في مقالته، أن مدى هذا العهد هو أبدي لا نهاية له، لأن الله كان وسيكون دائمًا اله شعبه، وسيطلب منهم دومًا الطاعة الامينة". كما ذكر أن، "ما قيل عن برّ المسيح، وتقديسه، وفدائه للمؤمن، والذبيحة، والكهنوت، والحياة الأبدية، ودعوته لجميع الشعوب، والبركات الروحية، والغاء الشريعة، ومجد الكنيسة المكونة من الأمم واليهود، قد قيلت مسبقًا في وعد العهد الواحد، عندما قال لابراهيم: "ستتبارك بك كل قبائل الأرض. وأنت ستكون أباً لأمم كثيرة. بعد ذلك غيّر الله اسم ابرام، قائلا: "فلا يدعى بعد اسمك أبرام، بل يكون اسمك ابراهيم، لأني أجعلك أبا لجمهور من الأمم" (تكوين ١٧: ٥). علّق المؤرخ روبرت رايموند على مقالة بولينغر، قائلا، "انها المقالة الأولى في تاريخ الكنيسة، حول لاهوت العهد". كان مفهوم بولينغر عن العهد، كريستولوجي منذ بدء العهد مع آدم وحواء. أيضا نرى ملخصًا عن لاهوت بولينغر العهدي، في "اعتراف الايمان الهلفيتي الثاني" الذي كتبه عام ١٥٦٦. وفي كتابه "عرض مختصر"، ذكر بولينغر "أنه في العهد، ضمّ الله نفسه الينا برباط لا ينفصل من خلال معجزة المحبة، التي تفوق كل عقل". توقف عند توصيف ابراهيم، على أنه، "خليل أو صديق الله"، للاشارة الى أن العهد هو رباط صداقة وشراكة مع الله في يسوع المسيح. وفي كتابه "العقود"، يرصد بولينغر العهد منذ آدم وحواء، عندما قال الله للحيّة، "وأضع عداوة بينك وبين المرأة، بين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك، وأنت تسحقين عقبه" (تكوين ٣: ١٥). قال بولينغر، "لقد أعلن لنا الله عن فكره وفضله وارادته الصالحة، بأن يجعلنا شركاء في نفسه وصلاحه، بسكب نفسه علينا لأجل خيرنا. وهكذا كان من دواعي سروره، أن يقيم عهداً معنا لا لأي استحقاق فينا". وأضاف، " لم يبدأ الله عهداً جديداً مع ابراهيم، لكنه جدّد العهد الذي كان قد

صنعه مع آدم، ووعد انه سيصالح العالم بواسطة ابنه الوحيد نسل المرأة. وأنه من خلاله سوف يسكب نفسه علينا، ويجعلنا مشاركين في خلاصه وبركاته السماوية، ويضمّنا اليه بالايمان والطاعة. وهكذا جدّد الله العهد الأول مع نوح، ومن ثم مع ابراهيم، ومن ثم موسى. إلّا ان الذي أظهر بأكثر وضوح مضمون هذا العهد هو ربنا يسوع المسيح". علّق كلفن قائلا : "ماذا أقول عن المسيح الرب الذي في تجسّده المذهل، فسّر العهد بطريقة حيّة وثبّته بطريقة عجائبية مع الجنس البشري، لأنه عندما لبس الله الانسانية، أظهر طبيعة هذا العهد، ليس بالكلمات وإنما بنفس حدث التجسّد، وموت ابنه يسوع المسيح على الصليب، الذي هو الشهادة الحيّة عن السرّ الأعظم في العالم أجمع. توقّف عند تسمية، "عمانوئيل" التي أعطيت للمسيح في سفر اشعياء (اشعياء ٧: ١٤)، وعند تفسير البشير البشير متى، لاسم عمانوئيل اذ يعني" الله معنا" (متى١: ٢٣). آمن بولينغر، أن ابراهيم كان قد وعد بالرب يسوع المسيح، الذي انسكب فيه كل: الملء، والقداسة، والبرّ، والفداء، والخلاص. فقد سرّ الآب أن يحلّ كل الملء فيه". وصف بولينغر فرادة العهد، قائلا "أي عمل أعظم من ذاك الذي يضمّ نفسه الى البشر البؤساء الزائلين الذين أفسدتهم الخطيئة. هذا العهد، هو بلا منازع أصل ايماننا وخلاصنا الذي يستند على صلاح ورحمة الله...لم يعظ القديسيون أي شيء عبر العصور، سوى ما يتضمّنه هذا العهد". يذكر اللاهوتي داوني، "لقد أظهر الرب يسوع المسيح العهد، ليس فقط في تعاليمه وانما أيضاً في تجسّده المذهل، إذ اتخذ الاله الحقيقي انسانيتنا صائراً في شبه الناس".

رأى بولينغر العهد محوريا على كل صفحات الكتاب المقدس، بعهديه القديم والجديد. لم يعتقد، أن سياق الكتاب المقدس هو سياق الشريعة والانجيل، كما اعتقد لوثر، وانما سياق العهد الالهي الذي محوره يسوع المسيح. اعتقد أنه في سياق العهد جاءت كل من: الوصايا العشر، والصلاة الربانية. رأى في العهد، اعلان عن الوحدة، القوة، الجلال، والصلاح، ومجد الله، كونه هو الهنا وقد قال لنا، "سيروا أمامي، وكونوا كاملين، وأنا أكون لكم الهاً". عرّف "العهد" على أنه "ميثاق" أو "اتفاق" بين الله والانسان. تحدث، عن شروط مطلوبة أو أمور متوقّعة يطلبها منا الله بالمقابل، للحفاظ على العهد معه. قصد بالشروط: الواجبات والمسؤوليات التي يجب أن يحافظ عليها الذين يدخلون العهد مع الله بالايمان. اعتقد بولينغر أن العهد يتألف من قسمين: الأول، الاعلان عن وعود الله وما سيقوم به للمتعاهدين معه. والثاني، التذكير بواجبات الانسان في عهده أمام الله سيّده المطلق السيادة. في القسم الأول، يعد الله أنه، سيكون لشعبه وأولادهم، الهاً وسيكون كفايتهم

وملؤهم. وفي القسم الثاني، سوف يخبرهم عن ماذا يتوقع منهم كيما يسيروا أمامه ويكونوا كاملين.

اعتقد بولينغر، أن اسرائيل كانت شعب الله الروحي. استشهد ببعض نصوص العهد القديم، التي تشير الى ذلك، منها قول الله في سفر إرميا: "بهذا الأمر أوصيتكم قائلاً: اسمعوا صوتي فأكون لكم إلهًا، وأنتم تكونون لي شعبًا. وسيروا في كل الطريق الذي أوصيكم بها، ليحسن اليكم" (ارميا٧: ٢٣). اعتقد بولينغر أن حياة جماعة العهد، في ظل ملوك يهوذا الأتقياء، كانت نموذجية. آمن، أنّ حكام شعب الله في العهد القديم، أمثال: موسى، ويشوع، وداود، كانوا مسيحيين حقيقيين. قال "ان الأمثلة التي نستقيها منهم، تطبّق على الحكّام المسيحيين". كان بولينغر يستخدم كلمة "قديسين مسيحيين"، لوصف الآباء والأنبياء في العهد القديم. قال عن آدم وحواء أنهما أهلنا المسيحيين الأوائل. اعتقد، أنهما عرفا المسيح وكان لديهما الايمان نفسه الذي كان لباقي الآباء والأنبياء. ان مفهوم بولينغر الكريستولوجي للعهد القديم، هو مثال حيّ عن التفسير الانجيلي المصلح باعتماد المبدأ التفسيري الانجيلي، الذي يعتمد على تفسير نصوص من الكتاب المقدس بنصوص أخرى، "قارنين الروحيات بالروحيات" كما يقول بولس (١ كورنثوس ٢: ١٣).

أجاب بولينغر في لاهوته العهدي عن سؤال، من هم أولاد ابراهيم؟ قائلا، "أن الزرع الحقيقي لإبراهيم ليس هو الزرع الجسدي، وإنما الزرع الروحي". يظهر الطبيعة الروحية لهذا العهد، في قول النبي إرميا، "إختتنوا للرب. وانزعوا غرل قلوبكم، يا رجال يهوذا وسكان اورشليم" (ارميا٤: ٤٦). اقتبس قول القديس اوغسطينوس، "بأن اولئك الذين ماتوا في الصحراء لم ينتموا الى العهد". اعتقد بولينغر، أنه كان لإبراهيم رجاء بميراث أبدي. لهذا السبب كان ينظر الى هذه الأرض نظرة احتقار، اذ كان ينتظر أرضا أبدية وميراث أبدي. قال بولينغر، "إن الحقيقة، هي أن يسوع المسيح هو الميراث نفسه، في هذا العهد الواحد والأبدي". آمن بولينغر أن المسيح هو المنظار الذي من خلاله نرى اختيارنا وتعييننا المسبق. قال، "سوف يكون لنا ضمانة أكثر تأكيدا أننا مكتوبون في سفر الحياة، اذا ما تواصلنا مع المسيح، فيكون هو لنا ونحن له من خلال ايمان حقيقي. هذا الايمان سيكون عزاء كبيرا لنا وسط التجارب التي تحيط بنا.

ذكر بولينغر أن كامل العهد، تضمّن في ممارسة الختان التي اعتبرها سرّ العهد القديم، إذ من خلالها، ضمّ الله المؤمنين اليه موصيًا اياهم أن يخاطبوه بايمان وبراءة. آمن أن أولاد الأهل المؤمنين، ليسوا مستثنين من العهد الذي أقامه الله مع ابراهيم. قال، "إن المؤمنين في أيام العهد القديم

والعهد الجديد، هم في العهد كزرع ابراهيم". وأضاف، يتضمّن العهد أيضًا أولاد المؤمنين". أشار في أحد أقواله الى يهوه على أنه "إله الأطفال الصغار". اقتبس كلمات المسيح في دعوة الاطفال اليه عندما قال لتلاميذه "دعوا الاطفال يأتون إليّ، لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات" (لوقا١٨: ١٦). قال بولينغر، "يخلص الاولاد، بواسطة نعمة ورحمة الله. ولا يجب الحكم عليهم من خلال طقوس الكنيسة. بخصوص معمودية أولاد الأهل المؤمنين، أورد "اعتراف الايمان الهلفيتي الثاني"، ما يلي: "نحن ندين الأنابتست الذين ينكرون أن الأولاد المولودون من أهل مؤمنين، يمكنهم أن يتعمّدوا. لماذا لا تعطى علامة العهد لهم؟ انهم مكتوبون في عهد الله. لماذا لا يكرّسوا بالمعمودية المقدسة، إذ هم من شعب الله في كنيسة الله ". استشهد بولينغر بقول الرسول بطرس، "لأن الموعد هو لكم، ولأولادكم" (أعمال الرسل ٢: ٣٩).

ليلة النفس السوداء

المصلح جان كلفن

من التعابير التي استخدمت لوصف فترات الصراع الداخلي والشكوك والضعف، تعبير "ليلة النفس السوداء". اختبر لوثر مشاعر ليلة النفس السوداء، عندما انتابه شعور شديد بالذنب أثناء مسيرة اصلاحه للكنيسة. أدرك ان مصدر هذا الشعور الشديد بالذنب هو الخطية الساكنة فيه، التي تجعله غير مستحق أن يواجه الله ويتبررّ أمامه. فذكّر نفسه قائلاً، "أنا تراب، أنا رماد، أنا مليء بالخطية". هذا الإحساس المرهف بالخطية قاده إلى حالة شديدة من اليأس الذي امتلكه. فكان يصرف ساعات طويلة في الاعتراف بخطاياه. وعندما كان يعود إلى غرفته، كان يتذكر أخطاء أخرى لم يذكرها في اعترافه. كان السؤال الأساس الذي طرحه على نفسه هو: كيف أتغلَّب على اليأس والشعور بالذنب؟ طبعا وجد الجواب في كلمة اللّه، في الكتاب المقدس. فكلمة اللّه قادته إلى التعرف على اللّه، وفي الوقت نفسه قادته إلى التعرّف الى نفسه بشكل عميق. وجد "لوثر" أنَّ العلاج لمشكلة الشعور بالذنب، ليس هو تبرير الخطأ، ولا الهروب منه، ولا تجاهله، لأنَّ هذا يؤدي إلى قساوة القلب، وموت الضمير. فالعلاج لمشكلة الشعور بالذنب هو بالغفران الالهي الذي اعتبره المعجزة الالهية في الحياة.

أما المصلح جان كلفن، فقد أسمى "ليلة النفس السوداء"، على أنها ليلة الشكوك وعدم الايمان. اعتقد كلفن، ان منطق ابليس يظهر في محاولته قيادتنا الى اليأس، عندما نختبر كل

انواع الضيقات والآلام والمصائب. قال، "لا أحد منا لا يختبر الجانبين: اليقين والشك في حياته. ليس ايماننا كامل أبدًا. نرى أنفسنا في بعض الأوقات جزئيًا غير مؤمنين، لكن الله يغفر لنا ويصبر علينا ويعتبرنا مؤمنين آخذًا بعين الاعتبار، الايمان القليل الذي لدينا فيه". اعتقد لوثر، أننا نختبر انقساماً في ذاتنا، إذ تتأثر حينا جزئيًا بحلاوة الله لمعرفتنا بصلاحه وبوعود الانجيل، وأحياناً اخرى نختبر اضطرابا فنتأثر بمرارة شرور طبيعتنا البشرية. نفرح حينا بما تقدمه الحياة، ونرتعب من الموت أحياناً . قال كلفن "نعيش نوعين من الحياة، حياة فكر وحياة تقوى. بالرغم من أنهما يبدوان أحياناً متناقضان، إلاّ أنهما يمتزجان في وحدة حقيقية في الحياة". وأضاف، "ان هذا الصراع الداخلي بين اليقين والشك، هو ما يختبره كل انسان مؤمن، فيرى نفسه مطروحًا ومهجوراً من الله حينا، لكنه احيانا يفهم بالايمان نعمة الله. عرّف الانسان الأمين ،هو الذي يقر أن خلاصه يستند بشكل كامل على عمل نعمة الله ، بالرغم من تأرجحه واختباره لبعض الآلام والصعوبات في حياته.

لم يكن هم كلفن التأمل في الذات الالهية، وانما كان همه معرفة علاقة الله مع الانسان كما يعلنها الكتاب المقدس. اعتقد أن الله لم يمنح ألانسان معرفة كاملة كيما يبقيه متواضعا. قال، "لم يمنح الله خدّامه بركة امتلاكهم معرفة كل تفاصيل الأمور، بل أراد تحديد معرفتهم كيما يبقيهم متواضعين وبعلاقات متواضعة مع اخوانهم البشر". في رسالته الى الكاردينال سادلوت، ذكر قائلا: "أؤمن أن الأذهان الصادقة التقية لا تصل دائماً الى كل تفاصيل سرائر الله. فإن الله يجعلها أحياناً عمياء في أوضح الأمور لأنه يريد بذلك أن يعلّمنا التواضع والخضوع". اقتبس قول القديس يوحنا فم الذهب، "أن أساس الفلسفة المسيحية هو التواضع".

أيها الرب يسوع، في ليالي نفوسنا السوداء، نلتمس منك أن تلمس حياتنا بلمسة الروح القدس، كيما تغفر خطايانا بمعجزة غفرانك، وتطرد منا كل شكوكنا واحباطنا وضعف ايماننا وصراعاتنا الداخلية والخارجية، لنختبر عظمة نعمتك ووسع سلامك الذي يفوق كل عقل. آمين

القس سهيل سعود

"الايمان هو اختبار، والاختبار هو حدث في الحياة المسيحية"

المصلح جان كلفن

وصف المؤرخ آميل دوميرغ المصلح جان كلفن قائلاً، "كان كلفن رجلاً منطقياً. يصل علمياً الى عمق الأسئلة. كان مهتماً بشكل كامل في التقوى، معذّباً بالحاجة التي لا تقارن الى اليقين، موحّداً بين العقل والمشاعر. لقد سبق الفيلسوف بليز باسكال القائل: "للقلب أسبابه التي يعرفها العقل". مدم كلفن الذهن البشري، قائلا، " لأن الفلاسفة كانوا جاهلين للتغيير الذي أسماه الرسول بولس "تجديد الذهن"، فإنهم وضعوا العقل وحده المبدأ الحاكم في الانسان واخضعوا حياتهم له، لكن الفلسفة المسيحية تخضع الذهن لعمل الروح القدس الذي يسود علينا ويسكن في داخلنا. اعتقد كلفن، ان الذهن لن يعمل كما أراده الله في الاصل، ان لم يتجدّد بالروح القدس من خلال الكلمة.

لم يعتمد كلفن في تأثيره على تماسك منطقه اللاهوتي، وانما على اختبار حضور الله في الحياة. كتب مقالة قصيرة بعنوان "حول الحياة المسيحية"، كان لها تأثيراً كبيراً على حياة الناس. ذكر فيها ان الايمان هو اختبار، والاختبار هو حدث في الحياة المسيحية. آمن كلفن، أن الايمان هو عطية الله الخاصة. والاختبار الروحي يؤكد على ذلك عرّف الاختبار على أنه، "حقل الحياة الانسانية، حيث تحصل الأحداث التي تظهر تعامل الله مع الانسان". لم يعتقد كلفن، أنه يمكن فصل الايمان عن الاختبار الروحي. قال، "بالتأكيد لا يستطيع الاختبار أن يؤثر على حقيقة الكلمة، لكن الاختبار الروحي هو الوسيلة التي من خلالها، تظهر الكلمة قوة حضورها المقنع". وأضاف، "من يختبر المسيح بشكل مناسب، فإنه يحتضنه بذراعيه وينشغل به انشغالاً كاملاً. ولا يريد شيئًا أكثر منه في هذه الحياة".

لم يتحدث كلفن في كتاباته عن موضوع الاختبار الروحي كموضوع مستقلّ بحد ذاته. فالاختبار بالنسبة له، هو كلمة وصفية تستخدم في مجموعة متنوعة من السياقات. آمن أن هناك أساسين لليقين، كلمة الله لنا، وشهادة الروح القدس الداخلية فينا. كتب قائلا، "لا يمكن أن يبرز الايمان من اختبار عقيم لا فائدة منه، بل يجب أن يكون مؤسساً على كلمة الله. لا يمكن أن نشكّك بعظمة الله ونحن قد شعرنا واختبرنا حلاوة عظمته في داخلنا. ولن يقدّم أحد نفسه تلميذاً للمسيح، ان لم يكن قد اختبر ان المسيح هو معلّم حقيقي". تكلّم كلفن، عن نوعين من المعرفة: الأول، المعرفة التي تنبع من الايمان والتي نأخذها من كلمة الله. الثاني، المعرفة التي تنبع من الاختبار، والتي تتحقّق عندما يضيف الله الانجازات الى الوعد، ويثبت أن كلامه لم يكن دون فائدة. قال كلفن، "يتذوّق المؤمنون القوة الالهية عبر كلمة الله. ومن ثم يصبحون متحمسين من خلال الاختبار الذي يظهر تأثيره في الحياة".

قال كلفن: "من المناسب أن نميّز بين المعرفة التي تأتي من الايمان، وتلك التي تأتي من الاختبار. فعندما نرى ملامح غضب الله حولنا. وعندما تقودنا احكام الجسد الى الاعتقاد ان الله غاضب منا وبركاته مخبّأة عنا، فإن الايمان يرفع قلوبنا فوق هذه الظلمة لنرى الله في السماء كمتصالح معنا". أضاف، "ان المعرفة التي تنبع من الايمان تخترق عالمنا وتسمو الى ما وراء السموات لتدرك الامور المخبأة لأن خلاصنا مخبأ.

قال كلفن، "ليست معرفة المسيح عقيدة اللسان وانما عقيدة الحياة. نحن لا نستلم معرفة المسيح بالذاكرة والفكر وحدهما، وانما نستلم معرفة المسيح عندما تخترق كلمة الله نفوسنا، وتجد مكانها المناسب داخل قلوبنا. وأضاف، "لن تتمكن أذهاننا من فهم حكمة الله المعلنة لنا، الاّ من خلال الايمان. ولن تنسجم ميول قلوبنا مع الله من تلقاء ذاتها، إلاّ انه بفضل انارة الروح القدس لها فهي تصبح قادرة على فهم تلك الامور التي تتجاوز فهمنا، وتأتي بنا الى قناعة يقينية داخلية بوعود الخلاص.

القس سهيل سعود

يوهان برنز

(١٥٧٠-١٤٩٩)

وُلد يوهان برنز عام ١٤٩٩ في بلدة وايل بقرب شتوتغارت في ألمانيا. درس في هايدلبرغ وعمل كأستاذ، ثم رسم كاهنا. حضر في نيسان من العام ١٥١٨ مناظرة لوثر الشهيرة في هايدلبرغ حول الاصلاح الانجيلي وتأثّر بها، ثم ما لبث أن التحق بحركة الاصلاح الانجيلي. بسبب علاقته الشخصية القريبة من مارتن لوثر وتأييده لبنوده الإصلاحية، تعرّض للتهديد بمحاكمته بتهمة الهرطقة عام ١٥٢٢، لكنه هرب وخدم كقسيس في منطقة أخرى. وبحلول العام ١٥٢٣، لم يعد يقيم القداس التقليدي في الكنيسة لانضمامه لحركة الاصلاح الانجيلي. ومن أولى المناسبات الدينية التي أوقفها "عيد جسد الرب".

خدم برنز واعظًا في منطقة لم تكن قد تجاوبت مع حركة الاصلاح الانجيلي في سنيّها الأولى، فصرف معظم حياته بإصلاح كنائس مدن وقرى في أجزاء مختلفة من وسط وجنوب ألمانيا. بحلول العام ١٥٢٥، كان قد أسّس نظاما كنسيا وسياسة ادارة، في كنائس مدينة "شوابيتس هول". طلب منه دوق وارتمبرغ مساعدته في اصلاح كنائس منطقة نفوذه، وتعاونا معا على وضع نظام كنسي لوثري لاتّباعه. كتب برنز "اعتراف ايمان كنيسة" وارتمبرغ، وساعد الدوق في تعزيز الحضور

اللوثري في جامعة توبنغن. تمّ تعيينه عميدا لكنيسة شتوتغرت، وكانت شتوتغارت المركز الكنسي الاول في مقاطعة وارتمبرغ، وشغل المركز حتى نهاية حياته في ١١ ايلول ١٥٧٠. يعود الفضل في ربح كامل تلك المنطقة الى جانب الاصلاح الانجيلي، لتأسيسه نظاما كنسيا، فكان هذا الانجاز، من أكثر مساهمته التي تركت أثرها، حتى القرن العشرين.

نظر المؤرخون الى الصلح يوهان برنز، على انه "رجل لوثر في جنوب المانيا". الاّ أنه اختلف عن لوثر، بكونه أكثر تسامحا في التعامل مع الكاثوليك انتظر حتى السنة الرابعة من انضمامه الى حركة الاصلاح الانجيلي، ليبدء ممارسة العشاء الرباني على الطريقة اللوثرية. استخدم خلال الممارسة التي كانت في يوم عيد الميلاد، كأسا قديما، ومذبحا كان قد أهمل استعماله منذ بعض الوقت. كان للصلح برنز اهتماما خاصا بالوالدسيين، والانجيليين الفرنسيين "الهوغونتس".

عرف برنز بعظاته المميّزة التي انشغف الناس بقراءتها لثلاثة قرون. كما عُرف، بمحاضراته الشيّقة، حول تفسير الكتاب المقدس. وكان من المساهين في اطلاق التفسير والوعظ الكتابي في زمنه. أصدر برنز، كتابين حول التعليم مسيحي للكبار والصغار، هما: الكاتخيسم الكبير والكاتخيسم الصغير. تميّز أسلوب كتابته بالبساطة والدفء وروح الاطفال، فكان الكتابان مرجعًا غنيًا للتعليم للعديد من الاجيال وفي عدة دول. كتب العديد من الاعمال والكتابات التي لم يتم تحريرها.

شارك برنز بالعديد من المناظرات حول مفهوم الافخارستية. كان من المدافعين الاساسيين عن عقيدة حضور المسيح الجسدي اللوثرية في الافخارستية. بدأ يعرف بشكل واسع، عندما هاجم عام ١٥٢٥ مفهوم المصلح يوهانس أوكلامبدوس، حول حضور المسيح الروحي وليس الجسدي في العشاء الرباني، كتب مقالة آنذاك، دافع فيها عن مفهوم لوثر، وتحدّث عن القوة الخلاّقة لكلمة الله. حضر عام ١٥٢٩ "لقاء ماربرغ" اللاهوتي بمشاركة مجموعة من المصلحين الانجيليين، ودافع عن المفهوم اللوثري للعشاء الرباني. خلال حرب الفلاحين عام ١٥٢٥، إنتقد برنز سوء استخدام الفلاحين مفهوم مارتن لوثر للحرية المسيحية، ورفض تمرّد الفلاحين على سلطة الدولة، لأنه اعتقد أن سلطة الحكّام هي من الله، لكنه طلب من الأمراء التعامل مع الفلاحين بالليونة والرحمة والعدل، لأن طريقة التعامل معهم، ساهمت في زيادة آلامهم. هذا الموقف ميّزه عن مارتن لوثر الذي كان قاسيًا في الحكم على الفلاحين.

حضر عام ١٥٣٠ اجتماع دايت التشريعي في أوغسبرغ، الذي إتّخذ فيه الإمبراطور شارل الخامس، القرار بالقضاء على "عصبة سمالكيلد اللوثرية". كان برنز من الرافضين، الانتساب الى "عصبة سمالكيلد"، التي هدف من ورائها الأمراء اللوثريون، الى توحيد مقاطعاتهم لتشكيل جبهة

سياسية وعسكرية، لمواجهة قوّات الامبراطورية الرومانية المقدّسة والبابوية. اعتقد برنز أن مقاومة السلطات الزمنية غير مقبول بحسب مفهومه للايمان المسيحي. شجّع المدن اللوثرية التي خدم فيها، الى عدم الانخراط في عصبة السمالكيلد، لأنه آمن أنه على قادة المقاطعات ان تطيع سلطة الامبراطور التي اعتبرها من الله. إلاّ أن مواقفه تغيّرت تدريجياً بسبب موقف الامبراطور شارل الخامس العدائي جدا للانجيليين. عندما انتصر الامبراطور شارل الخامس على عصبة سمالكيلد، أتى الى مكان سكن برنز، لكنه لم يكن موجودا، بل كان قد هرب، فصادر أوراقه ورسائله ومواعظه.

عاش برنز في خطر شديد في ذلك الوقت. احتضنه الدوق أولرخ عام ١٥٤٨، وخبّأه في قلعة تحت اسم مزيّف هو، يوهانس ويلتنغوس. وكان يقدم برنز النصائح اللاهوتية للدوق. ثم أرسله الدوق الى بازل حيث استقبل جيداً ووجد الوقت للكتابة. بعدها ذهب الى مكان آخر تحت اسم آخر، هو "هولدرخ إنجستر". طلب من الصلح برنز، كتابة اعتراف ايمان ويتنبرغ، لتقديمه في مجمع ترنت الكاثوليكي مع ثلاثة من لاهوتيي ويتنبرغ. وحضر اجتماعات المجمع عام ١٥٥٢ للدفاع عن وجهة نظر اللوثريين في الاصلاح الانجيلي.

من الأمور التنظيمية التي تحدّث عنها يوهان برنز: اعتقاده أن الاجتماعات الكنسية، يجب ان تكون بحضور راعي الكنيسة، لأنه بدون وجود الراعي، قد تؤدي هكذا اجتماعات الى صراعات وانقسامات وتحزبات وفوضى. رفض نظام التأديب الكلفيني الذي كان يمارسه راعي وشيوخ الكنيسة، والذي تضمّن حرمان المخالفين من المشاركة في العشاء الرباني، لأنه اعتقد ان قرار الحرمان من العشاء الرباني، أو من الكنيسة يجب أن يكون قرار الكنيسة كلها.

حول العلاقة بين الأعمال الصالحة والايمان، يجادل برنز قائلا: "مع أن الاعمال الصالحة لا قيمة استحقاقية لها، ولا تساهم في حصولنا على الخلاص، إلاّ أنها مع ذلك ضرورية في حياة الانسان المؤمن، لتظهر ثمار الروح القدس في حياة الذين اختبروا الخلاص. قال "الأعمال الصالحة هي واجبنا، إلاّ أنها لا تجعلنا مستحقّين للخلاص. فالذين تكرّسوا لحياة البِرّ، لا يجب عليهم أن يسلكوا في أعمال الخطية، لأن هذا يدنّس تكريسهم فيعودون الى الموت الروحي. صحيح أن الاعمال الصالحة، لا تجعلنا مستحقّين لنحصل على التبرير الذي في المسيح، لكن مع ذلك، فهي الثمار التي يجب أن تظهر كأمر طبيعي في حياة الإنسان المؤمن. فكما أنه من واجب الملك، الذي يكرّس لخدمة مملكته، الحكم بالعدل والانصاف، هكذا أيضاً فالمسيحي الذي يكرّس لخدمة ملكوت الله، لا يكسب الملكوت بأعماله الصالحة، لأن القيام بالأعمال الصالحة هو جزء أساسي من واجباته ومهامه التي

أوكل بها. فنحن لم نكرّس، فقط كيما نأكل ونشرب، وإنما لنقوم بالاعمال الصالحة، التي هي من واجبنا".

موقف برنز المتسامح مع الأنابتست

آمن برنز بمعمودية الأطفال. لم يشجّع الأهل على تأجيل معمودية اولادهم الصغار، على أساس مبدأ الحرية المسيحية، لسبب أن التأجيل قد يحمل الناس على الشك انهم ينتمون الى الراديكاليين الأنابتست. اعتقد أنه للدولة السلطة، أن تجبر الناس المعاندين بالاسراع الى معمودية اولادهم في كنائسهم، لقناعته أن المعمودية هي أساس المجتمع المسيحي. فكل من يولد من أهل مسيحيين، فإنه يولد في هذه البيئة الاجتماعية. اعتقد أن حجب الأنابتست للمعمودية عن اولادهم، إنما هو إساءة الى النظام الاجتماعي. عندما أصدر الامبراطور شارل الخامس، أمرا قضى بمعاقبة معيدي المعمودية "الأنابتست" بالموت، عام ١٥٢٨. كان للمصلح برنز، موقفا رافضا لذلك، اذ كتب في نفس السنة، على أثر صدور القرار بمعاقبة الأنابتست بقصاص الموت، كتابا شاجبا للقرار، انتشر بشكل واسع، وترجم الى لغات عديدة. رفض برنز، أن يكون للسلطة المدنية، حرية التقرير في الأمور الدينية بالعنف. قال: "إذا ما أرادت الدولة أن تقضي على هرطقة ما بالقوة، لماذا يجب على احدهم دراسة الكتاب المقدس؟ فهل الجلّاد هو اللاهوتي الاكثر علماً"؟ وأضاف: اذا ما أرادت السلطة ان تقوم بأمر ما ، يجب أن تطبّقه على الجميع بالتساوي، وليس على فئة دون أخرى. قال: "إذا ما أرادت السلطة أن تعاقب على اعادة المعمودية بالموت، فإنه يجب أن تقوم بنفس الشيء مع البابا وكهنته، الذين يعيدون تعميد الاولاد الذين يعمّدون بعجلة في البيوت من قبل النساء، لأنهم يعمّدونهم ثانية في الكنيسة". حذّر برنز حكّام الدولة من العقاب الالهي، اذا ما قاموا بأحكام قضائية تتعلّق بالموت والحياة في المسائل الدينية. قال "لقد تعاملت السلطة المدنية مع الأنابتست باستبداد السيف، حتى بدون دراسة كلمة الله. لأنه عندما تعالج الشؤون الروحية، بوسائل ظالمة واستخدام السيف الزمني اكثر مما يوصي به الكتاب القدس، فإنهم يثيرون غضب الله. فالعقاب الجسدي لا يثمر اصلاحًا في عامة الشعب، لكنه يزيد من أخطائهم".

اعتقد برنز، أن الكتاب المقدس هو الوحيد الذي يجب أن يسمح له بمحاربة الهرطقة. قال، "اذا ما أردنا أن نعاقب بالموت الناس، لمجرّد اعتقادهم بمثل هكذا اعتقادات دينية. فانه عندما يسيء المسيحيين، فهم قول أو اثنين من الكتاب المقدس، فمن يسلم من السيف؟" . وأضاف، "نجد في كتابات الآباء القديسين، سوء فهم لعديد من النصوص الكتابية، فهل يجب قتلهم على هذا الأمر؟". اعطى برنز مثلا آخر على أن الأنابتست الذين شرّعت السلطة المدنية معاقبتهم بالموت لعقائدهم، يؤمنون أيضا بمبدأ الشركة في الأملاك، كما يفعل أيضا الرهبان والراهبات فهل

نقتلهم أيضا؟". وأكمل قائلا، "يرفض الأنابتست القسم في المحاكم، والاشتراك في وظائف الدولة الرسمية، وغير ذلك فإذا ما أرادت الدولة تنفيذ قصاص الموت على هكذا أمور، فانه يجب أن يطبّق اولا على الأسقف الروحي والرهبان، الذي يبيعون السماء والحياة الابدية بالخداع، وليس على أولئك الأنابتست المساكين. اذا، ما أرادت الدولة أن تعاقب المخطىء على اعتقاداته، بقصاص الموت، فمن سيسمح له بالعيش؟ لن يكون هناك نهاية للقتل". بعد تقديم هذه الامثلة، قال برنز، "يجب على الحكومة أن تتوقف عن ممارسة معاقبة الأنابتست بالموت، وتركهم للإنجيل لمعاقبتهم. وبدلاً من ذلك، عليها أن تعمل على تزكية السلام والوحدة بين المواطنين. لكن، في المرحلة الاخيرة من حياته، غيّر برنز موقفه من موضوع عقوبة الموت على الأنابتست.

فإنه بعد موافقة الممثّلين الانجيليين، عام ١٥٢٩، على القرار الامبراطوري بالمعاقبة بالموت، على معيدي المعمودية الأنابتست، استنادا الى نصوص من العهد القديم، (سفر اللاويين الاصحاح ٢٤، و ورسالة بولس الى أهل روميه ١٣) وكان حاضرا في الاجتماع. ومع أنه في كتابه السنة السابقة، ذكر أن اعادة المعمودية، هي من الأخطاء، التي يمكن التغاضي عنها ولا تستحق عقاب الموت. فمع ذلك وقّع كمشارك على الموافقة على القرار.

الحاكم المسيحي وكنيسة الدولة

من الأمور الأساسية التي برزت في زمن الاصلاح، نوعية العلاقة بين الكنيسة والسلطة المدنية. اعتمد المصلح مارتن لوثر على دعم أمراء المقاطعات الألمانية، لاستمرار حركة الاصلاح التي أطلقها. بفضل دعم الأمير فريدريك الحكيم، حاكم مقاطعة سكسوني حيث كان لوثر، وتخبئته اياه كي لا يقتل. وطبعا، بفضل العناية الالهية أكمل الاصلاح مسيرته. لهذا نشأت علاقة تعاون وثيق بين المصلحين والحكّام. اقتبس المصلح اللوثري برنز، قول الرسول بولس في رسالته الى أهل رومية، ليؤكد على قناعته في ضرورة خضوع الناس للسلطات المدنية. قال، " لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة، لأنه ليس سلطان الاّ من الله، والسلاطين الكائنة هي مرتّبة من الله، حتى أن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله، والمقاومين يأخذون لأنفسهم دينونة أعظم. فإن الحكّام ليسوا خوفاً للأعمال الصالحة، بل الشريرة. أفتريد أن لا تخاف السلطان. إفعل الصلاح فيكون لك مدح، لأنه خادم الله الصالح. ولكن ان فعلت الشرّ فخف منه، لأنه لا يحمل السيف عبثا، اذ هو خادم الله منتقم للغضب من الذي يفعل الشر" (روميه١٣:-١-٤). اعتقد برنز أن مهمّة الحكّام هي الحفاظ على السلام، الأمر الذي يتطلب منهم معاقبة المجرمين ومثيري الشغب في البلاد. لكنه اعتقد أيضا، أن فرض الحكّام للعقيدة الصحيحة في مقاطعاتهم، ينسجم مع واجبهم في الحفاظ على السلام ، لأن العقيدة الزائفة والتشويه للأسرار والقداس، يؤدي الى الانقسامات والتحزبات، ويقوّض السلم الاهلي.

طوّر برنز مفهومه حول مهمة الحاكم المسيحي لتتضمّن، مراقبة ومتابعة حياة الناس الروحية والاجتماعية، فاكتسب الحكّام دورا بارزا في الكنيسة، الى جانب الرعاة والخدّام، فحصل تعاون وتنسيق بين السلطات الكنسية والسلطات المدنية، في الاشراف على الأبرشيات والكنائس. تم تأسيس لجنة لزيارات مشتركة لتفقّد اعضاء الكنائس، فكانت تقوم بزيارات منظّمة. ان لجنة الزيارات، كانت نفسها مسؤولة عن المجلس الاداري الذي يشرف على تعيين الرعاة ودعمهم المادي. والمجلس الاداري، كان بدوره مسؤولاً امام مجلس ادارة المدينة الذي يشرف على حياة الرعاة والعلمانيين الاخلاقية. عندما قدّم المؤرّخ جايمس أستنس دراسته عن يوهان برنز، في كتابه عام ١٩٨٢ بعنوان: "الحاكم المسيحي وكنيسة الدولة: المهمة الاصلاحية ليوهانس برنز"، ذكر أن برنز كان مساهما أساسيا في الاصلاح الالماني، لتطويره نظام ادارة هو الأساس المؤسساتي، لكنيسة الدولة في ألمانيا. الاّ أنه لم يكن ناجحًا بشكل كامل، في تطبيق القوانين.

دور السلطة المدنية والسلطة الروحية في التعامل مع التعليم الزائف

من المواضيع التي عالجها يوهان برنز، توضيح الفرق بين: دور السلطة المدنية، والسلطة الروحية في التعامل مع التعليم الزائف. كتب قائلا: "يتكلم العهد الجديد عن مملكتين في هذا العالم: مملكة روحية، ومملكة مدنية. لكل مملكة ملكها المختلف عن الآخر، وهدفها المختلف عن الآخر. كتب أحدهم مذكرة تفاهم، حول طبيعة العلاقة بين السلطة المدنية والسلطة الروحية، أي طبيعة العلاقة بين الكنيسة والدولة، فدرس برنز مذكّرة التفاهم، ووضع ملاحظاته وتعليقاته عليها.

من ملاحظاته، أن مؤلف المذكّرة لا يميّز بين: الايمان الحقيقي والايمان الزائف من جهة، وبين الأعمال الصالحة والاعمال المزيفة من جهة أخرى. فهو يمزج بين الأمرين، ويستنتج بأنه لا سلطة للحكومة المدنية في منع او معاقبة الاعمال المسيئة التي تصدر عن الايمان الزائف. خرج بهذا الاستنتاج بعد التوقّف مع ما ورد، "أن كل سلطة مدنية تعمل بناء للضمير، لتحتمل في مكان وجودها الدين الموجود، أكان حقيقيًا أم زائفًا، لكن في نفس الوقت عليها أن تضمن ظروف السلام لهم". قال برنز، "هناك اختلافا كبيرا بين: الايمان الحقيقي أو المزيّف من جهة، والسلوك المبني على الايمان الحقيقي أم المزيّف من جهة أخرى. فإذا ما ميّزنا بدقة بين هذين الامرين، عندها ينتّضم للسلطة المدنية، بما يجب أن تسمح به أو أن تمنعه، بضمير صالح". اعتقد برنز، انه ليس من مهات السلطة المدنية أن تحمي الايمان الصحيح أو أن تعاقب الايمان الزائف بقوة السيف.

لم يوافق برنز، مع لوثر على فكرة فرض العقاب على الناس لأسباب دينية، كما اعتقد العديد من المصلحين. كتب عام ١٥٢٨، مقالة حول هذا الموضوع ودافع عن موقفه، وسط معارضة المصلحين الآخرين. قال، " يكمن الايمان إذا ما كان حقيقيًا أم زائفًا، في القلب والضمير. وبما أن

السلطة المدنية، ليست سيدة ضمير أو قلب الانسان. لهذا، فهي لا تستطيع أن تعاقب أو تمنع الايمان بقوة السيف. فطالما أن الاعتراف بالايمان، هو أمرا شخصيًا ويعلن فقط ما في القلب والضمير. وطالما أنه لا يستخدم لتعليم الآخرين وتشكيل مجموعات جديدة تهدّد السلم الأهلي، فهو لا يخضع لسلطة الدولة المدنية،لأنه لا يهدّد السلم الأهلي. فاذا ما نشأت مجموعات دينية جديدة، تعلّم تعاليم جديدة، يجب أن تخضع تعاليمها لمسائلة السلطة المدنية، لتتقصّى إن كان هذا التعليم الجديد مفيد ويؤدي الى السلام. وإذا ما وجدت السلطة أن التعليم الجديد يؤدي الى الانشقاقات والانقسامات، فلها الحق أن توقفه، لكن دون الحاجة لأن تعاقب من يتّبعه بالموت. أطلق برنز مصطلح "تجديف" على المجموعات التي تنظّم نفسها وتؤسس كنائس جديدة بدون موافقة رسمية من الدولة. كان يوصي أمراء المقاطعات الألمانية ، بعدم السماح بأية تجمعات حول شؤون دينية في مناطق نفوذهم.

يستخدم برنز مراجع من الكتاب المقدس لاثبات حجته. يقتبس من شريعة التثنية ما يلي: "إذا قام في وسطك نبي أو حالم حلمًا، وأعطاك آية أو أعجوبة. ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلّمك عنها، قائلاً: لنذهب وراء آلهة أخرى لم نعرفها أو نعبدها، فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم، لأن الرب الهكم يمتحنكم لكي يعلم هل تحبّون الرب الهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم... وذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم، يقتل لأنه تكلّم بالزيغ من وراء الرب الهكم الذي اخرجكم من أرض مصر وفداكم من بيت العبودية، لكي يطرحكم عن الطريق التي أمركم الرب الهكم ان تسلكوا فيها، فتنزعون الشرّ من بينكم" (تثنية١٣: ١-٣و٥). يعلّق برنز قائلا، "ينبغي أن نلاحظ في قانون سفر التثنية، أنه ليس بمجرد ان يكون الايمان الشخصي حقيقيًا أم زائفًا، هو ما يتم المعاقبة عليه، وإنما التعليم به، لأن القانون لا يذكر أن من يؤمن ايماناً زائفًا، وانما يذكر، عندما يقول النبي الحالم، لنذهب وراء آلهة أخرى. كان في وسط الشعب اليهودي من يؤمنون ايمانا زائفًا، لكن لم يعاقبوا عليه، لكن فقط تمّ ايقاف التعليم الزائف. وكيما يتأكد القادة اليهود من تطبيق من يختاروه ويمسحوه ملكا من تطبيقه للشريعة، كان يسلّمه اللاويون، نسخة من كتاب التثنية، كيما يحكم مملكته بناء لتعاليمه".

استندت الحكومة على نص شريعة التثنية في الاصحاح الثالث عشر، بأنه يمكنها الحكم على المعلم الزائف بالموت، بدلاً من مجرّد طرده من المقاطعة. لكن نجيب: أن الحكومة لا يمكنها فعل ذلك، لأنها اذا ما ارادت أن تطبّق شريعة موسى حرفيا، فانها في هذه الحالة، عليها أن تتقيّد بقوانين وشرائع موسى الاخرى، كما يذكر بولس، "لكن أشهد أيضًا لكل انسان مختتن، انه ملتزم أن يعمل بكل الناموس"(غلاطية٥: ٣). اعتقد برنز أن قانون سفر التثنية المشار اليه، حول قتل

الانبياء الذين يعلّمون تعليماً زائفاً يؤدي الى الاخلال بالسلم الأهلي، لا يربط الحكومة المسيحية بشيء، لكن يستنتج منه عبرة للحاكم المسيحي الذي بحكم مركزه، يسعى بطرق عادلة الى ايقاف التعاليم التي تدمّر العقيدة والعبادة الحقّة لدى شعبه. كما أنه يحث الواعظ بالحق، على منع الوعظ الزائف في كنيسته. هكذا، تقدّم نصوص الكتاب المقدس تعليمات، لكلّ من الحاكم والواعظ، لكن كلّ في طريقته: الحكومة من خلال عقوباتها القانونية والقيود التي يضعها، والواعظ من خلال عقوباته الروحية. وبالتالي، لتجنب الخطأ، يجب على الدولة أن تستنتج دروسها، من هدف ونية الشريعة، الذي هو منع سيادة الشرور والفوضى. وبالتالي، فانه من الافضل على الدولة أن تقوم بذلك، باخراج المعلمين الزائفين من المقاطعة، لتجنّب الفوضى والاخلال بالسلام، من دون معاقبتهم بقصاص الموت، لأن هكذا اجراءات تكفي وتحقّق هدف ونية الشريعة.

قال برنز، "يردّد البعض، أن تعليم العهد القديم، لم يعد متّبعاً في العهد الجديد، ولم يعد يقيّد المسيحيين. فهذا صحيح، لكن الرسول بولس نفسه، يستخدم العديد من نصوص العهد القديم، بهدف التعليم، اذ يقول: "كل الكتاب موحى به من الله، (وأيضا العهد القديم)، ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البرّ، لكي يكون انسان الله كاملاً متأهبا لكل عمل صالح " (٢تيموثاوس٣: ١٦). ويضيف، "اذا ما واجه أحدهم بولس وقال له: يا عزيزي، العهد القديم لا يربط المسيحيين بشرائعه. سيجيب بولس: "أعلم جيداً بأن العهد القديم لا يربط أحداً، لكن لا أحد يستطيع أن يمنعني من الاقتباس منه، لغايات تتعلّق بالعقيدة والتعليم. يقدّم برنز أمثلة استخدم فيها بولس نصوصا من العهد القديم، لاثبات تعليمه، منها: قوله في في رسالة بولس الأولى الى كورنثوس (٩: ١٣-١)، الذي ذكر فيها، "هكذا أيضا أمر الرب، ان الذين ينادون بالانجيل، من الانجيل يعيشون" (١ كورنثوس ٩: ١٤). وذلك لاثبات حجّته أن الرسل بحكم مركزهم كخدّام للمسيح، لهم الحق بالطعام والشراب. ويقتبس قول سفر التثنية، "لا تكمّ الثور في دراسه" (تثنية٢٥: ٤). يفعل بولس الشيء نفسه عندما يقول، "هذه المرة الثالثة آتي اليكم. على فم شاهدين وثلاثة تقوم كل كلمة"(٢كورنثوس١٣: ١). أليس هذا القول، اقتباس من سفر التثنية (١٧: ٦)؟

اقتبس المصلح برنز، قول الرسول بولس: "فأطلب أول كل شيء، أن تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس. لأجل الملوك وجميع الذين هم في منصب، لكي نقضي حياة مطمئنة هادئة، في كل تقوى ووقار" (١تيموثاوس٢: ١-٣)، وعلّق قائلا: "لاحظوا أن على الملوك والحكومات أن تعمل من اجل احلال السلام بين الناس، ليعبدوا الله بطمأنينة. فليس هناك ما يجعل المسيحيين مضطربين ومنزعجين، أكثر من بروز شيع ووعّاظ زائفين. قيل لنا، إذا ما تخاصم

اثنين مع بعضهما من أجل بعض النقود، على الحكومة أن تتدخل لحلّ الصراع. وإذا ما تصارعا مع بعضهما علنيًا من المنابر حول امور عقائدية، فان الأمر يتجاوز كونه خلافًا شخصيًا، لأن خلافهم يؤجج الانقسام والانشقاق في جمهور الكنيسة، ما يلزم تدخّل الحكومة لحلّ النزاع واعادة السلام وانما ليس بشكل استبدادي. اعتقد برنز، أن على الحكومة ألا تتدخّل في المسائل العقائدية، لكن عليها ان تتدخّل لتحكم في مسائل الانقسامات والفوضى، لأن هذا الامر له علاقة مباشرة بمهمتها بإرساء السلام والهدوء بين مواطنيها.

اعتقد برنز، أنه على الحكومة ان تقوم بمعاقبة الجرائم العامة في القول والعمل. اعتبر، أنه عندما تبرز مجموعة جديدة وتتّخذ سلطة الوعظ، دون موافقة الدولة هو أيضا جريمة عامة. قال، " أليست جريمة عامة، أن يقوم عشرة أو عشرين شخصا في كنيسة ما، عيّن راعيها من قبل الدولة، وينقسمون وينظّمون أنفسهم في مجموعة بشكل مخالف لنظام الدولة، فقط لأنهم لا يحبون راعي الكنيسة ؟ في هذه الحالة، لا يمكن اتهام الحكومة أنها تحاول التحكّم بايمان الناس. فليؤمن كل شخص كما يشاء، فهذا أمر ليس من شأن الحكومات المدنية، لكن يصبح من شأنها عندما تقوم مجموعة ما، بتأسيس شيعة جديدة ومركز وعظ، من دون موافقة السلطات (استخدم برنز تعبير "شيعة"، ليشير الى اولئك الذين يشكلون مجموعة خطرة تعمل ضد النظام). قال برنز، "يستطيع الحاكم، استخدام قول ابراهيم للرجل الغني، "لديهم موسى والانبياء، ليسمعوا لهم" (لوقا ١٦: ٢٩)، ضد الذين في الخفاء والعلن يدينون بايمان مزيف. كما أنه يستطيع الاستشهاد به، ضد كل الذين يريدون أن يبدأوا ديناً جديداً دون موافقة قانونية، بمعنى أننا لا نريد أن نعاقبكم، بناء لايمانكم الزائف، لأن لديكم كلمة الله والمعلمين والوعاظ لتستمعوا لهم ، لكننا نعاقبكم لأنكم تتجمّعون بدون موافقتنا. وهنا يجدر الاشارة، الى أن برنز لم يعتبر الديانة اليهودية هي شيعة، بل ديانة قديمة مؤسسة جيداً في ممارساتها وتقاليدها، وانه على الدولة السماح للمنتمين اليها بممارسة تقاليدها القديمة.

يكمل برنز قائلا: "وهنا يمكن أن يعترض احدهم ويقول، اذا ما اتّبعنا هذا المنطق، هذا يعني أنه ما كان على الرسل أن يعظوا دون موافقة الحكومة الرومانية، لأنهم وعظوا بدون موافقتها، وغالباً ضد قانون الدولة. فهل كان تصرّفهم خطأ؟". أجيب، "صحيح أن الرسل وعظوا بالكلمة دون موافقة الحكومة. لكن يجب أن نسأل، هل كان سلوكهم مخالفا لأنظمة الحكومة؟ وهل اعتبر سلوكهم جريمة تستحق العقاب؟ ربما يبدو الأمر ظاهريا جريمة، وكان من الممكن على الحاكم الروماني ان يمتحن ايمان الرسل بناء لايمانه. لكن السلوك الافضل الذي كان على الحكّام أن يقوموا به، هو أن يتقصّوا عن الايمان الصحيح ويلتصقوا به، لكنهم لم يفعلوا. ويتابع: "صحيح أن الرسل ارتكبوا

جريمة ضد الحكومة لأنهم وعظوا بايمان جديد، لكن ليس كل جريمة هي خاطئة ويجب معاقبتها. فإن جريمة الرسل ليست بجريمة، لأن الله دعاهم كيما يشهدوا علانية للمسيح، وقد أكّد الله على رسالتهم بإرفاقها بالمعجزات والعجائب. هذا يعني، اذا ما قامت شيعة ما ووعظت بشكل مخالف لقانون الدولة، يجب أن يترافق وعظها بمعجزات علنية. لكن إن لم يقوموا بذلك، عندها يمكن للحكومة أن تحكم بأن جريمتهم تستحق العقاب. لكن قد يعترض أحدهم على هذا الكلام، ويقول: استنادا لهذا المنطق، فإن المصلحين والوعّاظ الانجيليين يقترفون جريمة، لأنهم لا يؤكدون على تعاليمهم ووعظهم، باجرائهم العجائب. أجيب: أني لا أتكلم هنا عن العقيدة مهما كانت، بل عن ما تعظ به الشيعة الجديدة التي لا تتسلّم بموافقة الدولة على وعظها. فالوعاظ الانجيليون، قد دعيوا من قبل الحكومة بشكل قانوني، ويقومون بالدعوة التي دعيوا اليها. وعندما تسمح الحكومة باجتماعاتهم، لا احد يستطع أن ينتّهمهم بأية جريمة. لهذا لا يحتاجون لأن يجروا عجائب، لكن ايضا يجب عليهم أن يكونوا حذرين، لأن تعاليمهم تخضع للمساءلة. فكما أن كل انسان مسؤول، يحاسب على تصرفه في مركزه، هكذا ايضًا على كل واعظ أن يكون مستعدًا، لأن يحاسب عن نوعية تعليمه. لكن الذي يعظ دون الحصول على موافقة الدولة، يجب ان يحاسب ليس فقط على تعاليمه، لكن ايضًا على وعظه دون موافقة. فلا سلطة للمجموعات أن تدعو واعظا وتكلّفه بالوعظ، دون موافقة الدولة. فالاختبارات الحديثة كافية كيما تعلّمنا، أن الوعظ ولو كان فيه بعض الحقيقة، لا يقود بالضرورة الى نتيجة جيدة. وخير دليل على ذلك، ما حدث في ثورة الفلاحين. اذ عندما صار يعظ بعض الفلاحين دون تعيين رسمي، وموافقة الدولة على نوعية تعاليمهم، فإن هذا جلب لنا مأساة ثورة الفلاحين.

قال برنز، "لّم يخبرنا العهد الجديد أن الرسل لجأوا الى السلطة المدنية للطلب منها محاسبة الآخرين الذين علّموا تعليمًا زائفًا. ولا يجب، أن يقوم أي واعظ مسيحي بذلك لكن هل هذا يعني أنه يجب على الواعظ الحقيقي ألا يخبر الدولة بضمير صالح، كيما تقوم بحكم مهمتها بمعاقبة المجرمين واللصوص؟ وإذا ما طلبت الدولة المسيحية من الوعّاظ الانجيليين الموافق عليهم، ان يخرجوا من مناطق وجودهم، الوعاظ الذين عينوا انفسهم دون موافقة الدولة، أفلا يجب عليهم أن يقوموا بذلك؟ فقد علّم الرسول بولس، أن على الدولة المقامة من قبل الله ان تعاقب الاشرار، اذ قال، "فإن الحكّام ليسوا خوفًا للأعمال الصالحة، بل الشريرة. أفتريد أن لا تخاف السلطان. إفعل الصلاح فيكون لك مدح، لأنه خادم الله الصالح. ولكن ان فعلت الشرّ فخف منه، لأنه لا يحمل السيف عبثا، اذ هو خادم الله منتقم للغضب من الذي يفعل الشر" (رومية ١٣: ٣-٤). فهل ينتّهم الواعظ في

هذه الحالة، أنه يحرّض الدولة ضد مناوئيه ؟ فهناك فرق كبير بين هذين الأمرين: التحريض، أو تذكير الدولة بمهمتها وطلب مساعدتها للتخلص من خطر ما.

وأكمل قائلاً، "صحيح أن المسيح يقول، "لا تقلعوا الزوان، لئلاّ تقلعوا الحنطة مع الزوان وأنتم تجمعونه. دعوهما ينميان كليهما معا الى الحصاد. وفي وقت الحصاد أقول للحصّادين، إجمعوا أولاً الزوان واحزموه حزما ليحترق. وأما الحنطة، فاحملوها الى مخزني"(متى١٣: ٢٩-٣٠)، فإن هذا لا يعني أن على المسيحي أن يبقى صامتًا أو لا يفعل شيئًا، لكن يسوع في هذا النص ضد وضع حدوداً للسلطة الرسولية. فانه مثلا، عندما لاحظ المسيح، أن رسله كانوا يريدون الالتجاء الى القوة ، ضد أولئك السامريين الذين رفضوا أن يسمحوا له بالمرور عبر قراهم الى أورشليم، وطلب تلميذيه، يعقوب ويوحنا منه، قائلين: "يا رب أتريد أن تقول أن تنزل نار من السماء لتفنيهم؟ فانه رفض قائلا لهما، "لأن ابن الانسان لم يأت ليهلك أنفس الناس، بل ليخلّص"(لوقا٩: ٥٤). كما أنه عندما قاوم الرسول بطرس بالسيف، الذين أتوا للقبض على المسيح في بستان جثماني، وقطع ابن عبد قائد المئة ملخس، فقد أنّبه قائلا: "ردّ سيفك الى مكانه، لأن كل الذين يأخذون السيف، بالسيف يهلكون" (متى٢٦: ٥١- ٥٢). لكن أسأل، يتابع برنز: "أليس الوعظ ضد الايمان المزيّف والكتابة ضد التعليم المزيّف هو كنزع الزوان من الحنطة؟ فكما انه من واجبات الواعظ ان يتصرف بناء لمبادىء دعوته باستخدام سيف كلمة الله، كذلك ايضًا من واجبات الحاكم ان يتصرف بناء لمبادىء مهمته، باستخدام السيف المعدني لمعاقبة اللصوص والمجرمين والقتلة. اعتقد برنز، أن القتل والزنى والجرائم هي زوان، لكن نزعها من بين القمح هو مهمة الدولة. فلا يجب على الدولة ترك الزوان ينمو مع القمح، الى أن يحين وقت الحصاد. قال، "صحيح ان المسيح يمنع الرسل من استخدام القوة، خلال خدمتهم له، لكن في نفس الوقت، فهو يسمح للحكام ان يقوموا بذلك، كيما ينزعوا الزوان من بين القمح".

قال يوهان برنز، "سيكون هناك دائما، انقسامات وتحزبات في مملكة المسيح ، لكن هذا لا يعني انه يجب على الدولة عدم التعاطي معها. فالكثير يدعون، والقليلون ينتخبون. فالشيطان لا يزال يعمل بيننا بقوة، ومن طبيعة العالم أن الشر سيتواجد دائمًا فيه. فإنه من واجب الواعظ أن يحارب التعاليم الزائفة بكلمة الله، ومن واجب الحاكم أن يمنع بضمير صالح وبطريقة مناسبة وغير مستبدّة ، الفوضى والارباك، ويقاوم الشيع الجديدة التي تؤدّي الى الاخلال بالأمن والسلام في البلاد.

توقّف المؤرخين عند تبدّل مواقف برنز حول التسامح مع حرية المعتقدات الدينية. فانه بعد اتخاذه معظم حياته، موقفًا متسامحًا من الانجيليين الراديكاليين الأنابتست، مدافعًا عن

حرية المعتقدات الدينية. والكتابة عن التسامح وتحمّل حرية المعتقدات، مع أنه لم يكن يؤيد تسامحا كاملا، لكنه كان يعارض معاقبتهم بالموت. إلاّ أنه في المرحلة الاخيرة من حياته، فإنه، مثل لوثر ومعظم المصلحين الآخرين، تراجع عن موقفه المتسامح وأصبح مؤيداً لمعاقبتهم. احتمل التسامح طالما أن عقيدة كنيسته، لم تكن تتعرّض للخطر.

تركز يوهان برنز، بصمتين رئيسيتين على الكنيسة اللوثرية: الأولى، من خلال دفاعه عن المفهوم اللوثري للعشاء الرباني، ضد المفهوم المصلح والمفهوم الزوينكلي. طوّر أفكار لوثر، وتحدّث عن مفهوم الحضور الكلّي. أصدر عام ١٥٦١ مقالة بعنوان: "حول طبيعة المسيح البشرية، بناء لاتحادها مع الطبيعة الالهية الكلية الحضور. أما بصمته الثانية، فقد تجسّدت بوضع نظام كنسي عام ١٥٥٩ ، تحت عنوان "ترتيب (نظام) الكنيسة العظيم". في عام ١٥٦٩، أصيب بالشلل وخسر قوته ومات عام ١٥٧٠.

بمناسبة عيد الأب

"اختبار مارتن لوثر كأب، صبغ تفكيره اللاهوتي"

من الكلمات التي اعتبرها لوثر تثير المشاعر، لقب "الأبّ"، الذي اطلقه يسوع على الله، عندما علّم تلاميذه الصلاة الربانية، التي تبدأ، "أبانا الذي في السماء...". كان على لوثر، أن تتغيّر مشاعره ليفهم حقيقة ماذا يعني ان يصلّي عدة مرّات في اليوم، "أبانا الذي في السموات". لم يكن اختباره في طفولته مشجعًا ليفهم حقيقة ما يعني لقب "أبّ"، لأن والداه كانا متطلّبين وقاسيين عليه. أخبر لوثر رفاقه كم عاقبه والده بقسوة ، لاقترافه أخطاء بسيطة (يذكر مؤرخون أن لوثر لم يكن استثناء في طريقة معاملة الأهل لأولادهم آنذاك). يذكر لوثر، أن أحد أسباب ترهّبنه ودخوله الى الدير، هو لكي يرتاح من قسوة والده عليه. لم يختبر معنى لقب "الأبّ"، إلاّ عندما صار هو أبًا. ورزق مع زوجته كاثرين فون بورا (كاتي، كما كان يسميها)، الطفل الاول هانس، عام ١٥٢٦. كان عمره آنذاك أربع واربعين سنة. إنذهل لوثر بكثافة مشاعره. قال، "لم أعتقد بأن قلب الأبّ، قد يكون مفعمًا هكذا بمشاعر الحب الجيّاشة لأولاده". رزق لوثر وزوجته كاثرين فون بورا بستة أولاد، مات اثنين منهما. لم تكن عائلة لوثر فقط مثالا للبيت المسيحي الحقيقي، لكنها شكّلت له دعما نفسيا واجتماعيا كبيرا.

تعلّم لوثر، ماذا يعني أن ينحني الأبّ نحو طفله ليغيّر حفّاضته المتّسخة. قال "لن يحب الآبّ ابنه أقلّ عندما يكون متّسخًا، لكن عليه أن يقوم بأمر ما، لتغيير حفّاضته وازالة الوسخ عن طفله". قال، "رائحة قذارة خطايانا، تصل الى السماء". وأضاف، "مع أننا خطاة، إلاّ أننا لا نخسر علاقتنا العائلية، لمجرد أننا اقترفنا قذارة خطية. لأن محبة الله أبينا نحونا، هي أقوى من قذارة الخطية التي تلصق فينا. وهنا تكمن معجزة غفران الله لقذارة خطايانا". اتخذت كلمات المسيح، "الحق الحق أقول لكم، إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الاولاد، فلن تدخلوا ملكوت السموات" (متى١٨: ٣)، معنىً جديدًا له عندما صار أبًا وصار لديه أولاد.

ان اختبار مارتن لوثر، كأبّ، صبغ تفكيره اللاهوتي وتفسيره للكتاب المقدس. قال، "العلاقة بين اللاهوت والممارسة هي عملية تعلّمية، يبقى فيها الانسان دائمًا تلميذًا متعلّمًا". تميّز لوثر، بقدرته على مزج الأمور البسيطة، بالأمور العميقة. عندما فسّر قول المرنّم، "إعبدوا الرب بخوف، واهتفوا برعدة" (مزمور٢: ١١). تساءل: كيف، "يمكن أن تتضمّن عبادتنا لله، خوف وهتاف في آنْ واحد؟ كيف نعبد بفرح، من نرتعد منه؟ فسّر الآية باعطاء مثال من علاقته مع ابنه هانس عندما كان صغيرا، فقال: "عندما أكون منشغلاً بأمرٍ ما، فان ابني (هانسي)، يغنّي لي أغنية.

وعندما يصدر اصواتاً مزعجة كثيرة، تعيقني عن التركيز، فإني أؤنّبه قليلاً فيخاف. الاّ أنه يعود للغناء بصوت خافت، وإنما بوقار وعدم ازعاج". ثم يستنتج قائلاً، "هكذا استطاع هانسي، أن يمزج الفرح مع الاحترام لوالده. وما حدث مع ابني، هو مثال عن كيفية تفسير الآية".

كل عيد أب وانتم بخير

القس سهيل سعود

"العقيدة والحقيقة، الأساسان الوحيدان اللذان تبنى عليهما الكنيسة"

المصلح الانجيلي بيار فيريه

من المصلحين الذين لعبوا دوراً هاماً في الإصلاح الإنجيلي في أوروبا الفرنسية، المصلح السويسري، بيار فيريه، الذي أُطلقت عليه ألقاباً تكشف شخصيته اللطيفة المؤثّرة بهدوء. من هذه الألقاب: "ملاك الإصلاح"، "وجه الإصلاح الباسم"، "إبتسامة الإصلاح"، وغيرها من الألقاب. مرّ فيريه مثل المصلح مارتن لوثر، في صراع فكري ولاهوتي وروحي كبير، قبل أن يصل الى معرفة الحقيقة وينال راحة الضمير. عندما اختبر الايمان بعد تعرّفه على العقيدة الانجيلي، أعلن قائلا: " لقد انتشلني الله من جبّ الأخطاء، قبل أن أغرق أكثر فيه...أشكر الله أن سمة الوحش لم تظهر بعد على جبيني...لم يكن من السهل عليّ أن أترك كنيسة آبائي، لكن كان هناك صوت في داخلي يدعوني إلى إتّباع الحقيقة مهما كلّفني الثمن". بعد أن تعرّف على تعاليم المصلح مارتن لوثر، إقتنع أن الكتاب المقدس هو الدستور الوحيد للإيمان والعقيدة والحياة. واشتعل غيرة ليكتشف عمق وغنى الكتاب المقدس من خلال دراسته.

توجّهت عاطفة فيريه بعد اختباره للإيمان الحقيقي نحو أهله. صار يعلّمهم الكتاب المقدس ويبشّرهم بيسوع المسيح الخلص الوحيد لهم وللبشر، ويصلّي لأجلهم. عندما رأى أهله، تغيّراً كبيراً في حياة ابنهم. اختبروا هم أيضاً الإيمان بالمسيح. كان فيريه ممتناً لله لمجيئهم إلى الآيمان. قال:

"لدي الكثير لأشكر الله عليه، لأنه قد سرّ الله أن يستخدمني لجلب أبي وأمي إلى معرفة إبن الله. حتى لو كانت خدمتي بلا ثمر، الاّ أني سوف أشكر الله من أجل توبة أهلي". في العام ١٥٣٢، ذهب فيريه إلى جينيف حيث كان يخدم المصلح غيوم فارال، وانضم اليه وصرف سنتين في الوعظ إلى جانبه. وضع فيريه وفارال استراتيجية عمل مؤلفة مما يلي: أولا، الوعظ العلني. ثانيا،توزيع منشورات تدين سوء الإستخدامات في الكنيسة. ثالثا،إقامة مناظرات كتابية ولاهوتية علنية.

شهد فيريه جوانب الإصلاح بشقيه: الجيّد والسيّء، البشع والجميل. لم يدعُ فقط الكاثوليك الى العودة إلى الإنجيل، لكنّه أيضًا دعا الإنجيليين الذين ابتعدوا عن الكتاب المقدّس. حذّر في وعظه من خطر ترك كلمة الله. قال: "الإصلاح الحقيقي يجب أن يبدأ ويستمر بالعودة إلى كلمة الله". وأضاف، "الكتاب المقدس هو المقياس الوحيد، الذي يجعلنا نميّز بين: الكنيسة الحقيقية، والكنيسة المرتدّة. فلا الحماس في العبادة، ولا النوايا الحسنة، ولا التمرّد على التعاليم الخاطئة، يمكنها أن تكون المؤشرات الصحيحة لإختبار إصلاح حقيقي. المطلوب هو أكثر من هذا. المطلوب، هو الإيمان الذي ينبع من الإصغاء لكلمة الله ومن عمل نعمة الله، وهذا ما يجعل الإنسان مسيحياً. لا يمكن أن يكون الإيمان صحيحًا، إن لم تكن كلمة الله هي الأساس. اعتقد بيار فيريه أن العقيدة والحقيقة، هما الأساسان الوحيدان اللذين تبنى عليهما الكنيسة. قال، "لا يمكن أن تقوم الكنيسة، على فهم انسان ما، مهما كان بارعًا، أو على تقاليد وعادات اجتماعية ما، مهما كانت متجذّرة في حياة الناس. فقط الثقة بكلمة الله، والخضوع الطوعي لها، هو ما يميّز الكنيسة الحقيقية، وغياب كلمة الله تؤدّي إلى المرآة ". كان فيريه يُرجع الفضل دائما، عند إختبار الناس للإيمان، إلى عمل نعمة الله. كان يقول: "ليس فمي هو الذي يُقنع الناس، لكن فمّ يسوع المسيح. لأن المسيح هو الذي يخترق القلوب، بسهم نار الروح القدس".

القس سهيل سعود

<u>" ما الفرق بين الشريعة والانجيل؟"</u>

المصلح الانجيلي وليم تيندل

في مقدّمة تفسيره للتوراة، التي تسلّط الضوء كثيرا على الشريعة، دعا المصلح الانكليزي وليم تيندل القرّاء، الى التمييز بين الشريعة والإنجيل، كيما يدركوا أن الشريعة تقود إلى الإنجيل. بالرغم من إعتقاد تيندل، كباقي المصلحين الانجيليين، أن الشريعة لا يمكن أن تخلّص المسيحي، الاّ أنه رأى أهميّة دورها، في ايقاظ الإنسان الخاطىء، ليدرك حاجته الكبرى إلى الخلاص بيسوع المسيح. قال، "الإنجيل هو الخبر السار، بأن طبيعتنا المريضة والفاسدة، سوف تشفى ثانية وتتخلّص في المسيح، من فسادها باستحقاقات بِرّ المسيح". وأضاف، "لنحاول تطبيق الشريعة، لنكتشف كمّ من الأسى تسبّب لقلوبنا. وبعدها، لنختبر الإنجيل، لنكتشف كيف يجعل قلوبنا: ترنّم، وترقص، وتقفز فرحًا. إنه أمر جوهري لنا، لا أن نعرف فقط، مضمون الشريعة والإنجيل، ولكن أن نفهم أيضًا، أن الشريعة تسبق الإنجيل، لأنها تقود القلب الخاطىء إلى المسيح". أكمل قائلا، " لو لم يكن هناك شريعة، ما كنّا قادرين على فهم ماذا يعني الإنجيل. لو لم تؤدبنا الشريعة وتظهر لنا خطايانا، ما كنا قد حصلنا على فرصة الغفران والنعمة".

في مقارنته بين الدور الذي تلعبه الشريعة، والدور الذي يلعبه الإنجيل في حياة الانسان، قال تيندل: "بينما أنتم تقرأون الكتاب المقدس، فتّشوا أولاً عن الشريعة، لأنها تقول لنا ماذا يجب أن نفعل. والشريعة نفسها، توصلكم إلى الإنجيل. فتّشوا عن مواعيد الله التي وعدنا بها في ابنه يسوع المسيح. لاحظوا الفرق بين الإثنين: الشريعة تتطلّب وتطالب، ويسوع في الانجيل يسامح ويغفر. الشريعة، تهدّد بالدينونة، والانجيل يعد بكل شيء صالح، للذين يضعون ثقتهم في المسيح وحده.الشريعة تنطق بالإثم، وتسبّب غضب الله، فتجعل الإنسان غير محب للشريعة، لأنه يجد نفسه عاجزًا عن طاعتها وتطبيق متطلباتها. الشريعة أعطيت، لإظهار الخطية والموت والدينونة واللعنة. الشريعة هي تلك الحيّات السامّة التي لسعت أولاد إسرائيل في بريّة سيناء وسبّبت لهم الموت. فعندما ننظر إلى الإنجيل في ضوء الشريعة، نرى فيه إشعاع نور، يجعل من القلب التائب الذي إختبر غفران خطاياه، يرنّم ويرقص، ويقفز فرحًا. أما المسيح، فهو الحيّة النحاسية، التي عندما ينظر إليه كل ملسوع، يشفى من سمّ الحيّات القاتلة ، فيحيا وينقذ من آلام الجحيم". الشريعة، هي المفتاح الذي يغلق الباب على كلّ الناس، والإنجيل هو المفتاح الذي يفتح الباب ثانية. فالروح القدس يأتي أولاً إلى الإنسان، ليوقظه من نومه، ويصعقه بصاعقة الشريعة المريعة، ويخيفه ويريه حالته البائسة وشرّه المميت. وبالتالي، تجعل الشريعة الانسان يكره نفسه ويطلب المساعدة. ومن ثم ثاني أمطار الإنجيل السعيدة التي تفرحه. فالإنجيل هو الحياة والرحمة، والغفران المجاني. الانجيل، هو البوصلة الثابتة للحياة في المسيح. الإنجيل هو الأخبار السارة عن النعمة، وعن مواعيد الله الصالحة. ليست الشريعة هي الطريق الذي يقود إلى السماء،

بجهودنا واستحقاقاتنا الذاتية، بل هي التي تقودنا إلى المسيح، الذي هو الطريق الذي يؤدّي بنا إلى السماء. دعا تيندل الوعّاظ الى الوعظ بالشريعة والانجيل في الوقت نفسه. قال، "عندما يعظ الواعظ فقط بالشريعة، فهو يأسر الضمائر. وعندما يعظ بالإنجيل، فإنه يفكّ أسرها ويحرّرها".

القس سهيل سعود

"الحاكم المسيحي"

المصلح الكاثوليكي إيراسموس

من الأمور التي انجذب اليها المصلح الكاثوليكي ايراسموس، في الفلسفة اليونانية، تشديد المذهب الأبيكوري على العيش: براحة وسلام وصفاء الضمير، من خلال الانسحاب من هموم العالم. لكن ايراسموس اعتقد، ان المسيح هو الذي يجري هذا التغيير، الذي تحدث عنه الأبيكوريون. كتب عام ١٥٣٣ مقالة بعنوان، "الأبيكوري"، ذكر فيها ما يلي: "لا أحد يستحق أن يدعى أبيكوريا، إلاّ أمير الفلسفة المسيحية يسوع المسيح، لأنه يعلّم أتباعه كيف يحصلون على راحة الضمير والسكينة، من خلال تحريرهم من الأمور التي تعذّب الضمير .

لم تنحصر انتقادات المصلح الكاثوليكي ايراسموس، في أمراض المجتمع المسيحي، الذي يركّز على الشكليات، دون الولوج الى جوهر الايمان المسيحي. فقد إنتقد الأمراء والحكّام المسيحيين، الذين من أجل مسائل وأمور شخصية، أدخلوا بلدانهم في الحروب، وسبّبوا بسفك دماء الناس. قال: "لو كانوا الحكّام فعلا مسيحيين، يعيشون بموجب تعاليم السيد، لكانوا جنّبوا الشعب، الكثير من

الحروب". وأضاف: "القادة الذين يتصارعون على السلطة، يتخذون من القيصر، وليس من المسيح مثالاً لهم". أعطى ايرسموس نصيحته للقائد المسيحي قائلا: "على القائد المسيحي أن يمزج الرحمة، مع الضمير النقي، ليحصل على سلام الضمير ."

كتب ايراسموس، في العام ١٥١٦، كتيباً بعنوان، "الأمير المسيحي"، أهداه إلى الأمير شارل الخامس، الذي بعد ثلاثة سنوات، أصبح إمبراطور،الإمبراطورية الرومانية المقدسة التي حكمت أوروبا. تضمّن الكتاب نصائح، لكل قائد في أي مجال كان. مما جاء فيه: " يجب ان يدرك الأمير الحاكم، أنه ليس أميراً وثنياً، بل مسيحياً، بمعنى أنه يجب عليه، أن يلتزم بالقيم المسيحية في ادارته للبلاد". وأضاف في تعليماته للحاكم: "لا تتوهّم أيها الأمير، أن المسيحية مؤلّفة فقط من الطقوس والممارسات والأنظمة. وليس المسيحي، هو الذي فقط اعتمد أو كرّس نفسه لممارسة طقوسه، بل هو الشخص المتّحد مع المسيح، في محبّة وعلاقة قريبة، وهذا يجب أن ينعكس في أعماله ومواقفه، وطريقة ادارته للبلاد. دعا ايراسموس، كل قائد الى التذكر دائما، كيف وصل الى مرتبة القيادة بقوله، "تذكّر أن توافق الناس عليك، هو ما جعلك حاكما... على الأمير المسيحي، أن يكون أباً لجميع مواطني المملكة". ذكّر ايراسموس الأمير شارل الخامس، أن السلطة التي يحملها، ليست سلطة شخصية، بل مسؤولية من الله ائتومن عليها. لهذا، لا يحقّ له أن يستخدمها من أجل مصالحه الشخصية، بل من أجل الخير العام. طلب منه، الإلتزام بمقاييس القيم المسيحية. قائلا: "إذا ما وجدت أنك لن تتمكّن من الدفاع عن مملكتك، دون إنتهاك العدالة وسفك الكثير من الدماء، فاستقل من منصبك ان لم تستطع الدفاع عن مصلحة شعبك، وتفضيل المصلحة العامة على مصلحتك، إذن إستقل وارحل."

ثم يقدّم ايراسموس، افضل النصائح للحكام المسؤولين في بلدنا الحبيب لبنان، حول كيفية التصرف في ظل الأوضاع البائسة، التي اوصلنا اليها، الفاسدون من الطبقة الحاكمة، فيقول، "على

نوّاب المملكة، أن يدرسوا الطريقة الفضلى لإدارة موارد الدولة المالية". فيقترح: صرف النواب الكسالى، الذين لا يقومون بشيء وإنما يضيفون الكلفة على الدولة. تقييد جشع المتسلطين والأغنياء، الذين لا يهتموا لحياة الفقراء. دعا ايراسموس، الأمير شارل، الى الحرص، في كل قراراته الادارية، على الحفاظ على التوازن والمساواة، بين الأغنياء والفقراء، لئلا تتجمّع ثروات المملكة في أيدي عدد قليل من الأغنياء. رأى ايراسموس، أنه يجب ان يكون الهدف الأكبر للحاكم، تخفيض الضرائب على الناس، بقدر الإمكان وليس زيادتها. الإعتماد في جمع الموارد المالية للدولة، على الأغنياء الميسورين، لأنهم القادرون والمتمكّنون ماليا. قال: "اقتطاع البعض من أموالهم، لن يؤثر على مسيرة حياتهم ولقمة عيشهم". حذّر ايراسموس الحاكم قائلا: "إحذر ظلم الفقراء، فإن تجويعهم هو أمر غير إنساني". دعا ايراسموس المير، الى تجنّب فرض الضرائب على ضروريات الحياة اليومية، مثل: الخبز، والذرة، والثياب، وأمور ضرورية أخرى للعيش .ذكّره، أن يلتزم هو أولا، بدفع الضرائب للدولة. قال، "إذا ما أردت أن تجمع الضرائب من الشعب، عليك أن تدفعها أولا. من واجب الشعب، دفع الضرائب، وتقديم الولاء والإكرام لك، لكن أيضا من واجباتك، أن تكون للشعب، حاكما صالحًا وأمينا ."

القس سهيل سعود

تبجيل الجهالة

لمصلح الكاثوليكي إيراسموس

من أعظم المصلحين الكاثوليك الذين عاصروا زمن الاصلاح الانجيلي، في القرن السادس عشر، العالم الهولندي، ديزدريوس إيراسموس روتروداموس. وضع ايراسموس نصب عينيه هدفًا أساسيًا ناضل لأجله كل حياته، ألا وهو إصلاح الكنيسة. وعظ عن التعلّق الحقيقي بالمسيح، من خلال التعلّق بالكتاب المقدس. لم يلتزم بالقانون الكنسي، الذي حصر قراءة الكتاب المقدس باللغة اللاتينية، بل دعا الجميع الى قراءة الكتاب المقدس بلغة الشعب، وشدّد على ضرورة قراءته، بوقار واحترام كيما يغيّرنا. شنّ هجوما على اللاهوتيين، الذين اعتمدوا لاهوتًا فلسفيًا، أفقد المعنى الروحي والرعوي، للإيمان المسيحي. كما انتقدهم، لاهتمامهم: بالقوانين، والأمور الصغيرة، واهمالهم للإنسان، والضمير، والحقيقة، والبساطة.

عندما تعرّف إيراسموس على المصلح مارتن لوثر، ورأى انتقاده لسوء الممارسات في الكنيسة، تحمّس له واعتبره أمرًا عظيمًا ومطلوبًا للكنيسة. كان إيراسموس، مثل لوثر، معترضا بشدة على ممارسة بيع صكوك الغفران التي كانت رائجة في الكنيسة. أكنّ للوثر احترامًا كبيرًا ، كما أن لوثر بدوره قدّر سعة معرفته، وطلب منه أن يعتبره أخًا له. كتب لوثر له، قائلا: "لقد إطّلعت على تفسيراتك لسفر المزامير، وفرحت بها...أنت تملك على قلوب جميع الذين يحبون الأدب والثقافة". الاّ أن ايراسموس، لم يوافق على العديد من العقائد الاصلاحية التي ناد بها لوثر، وأهمها العقيدة الاصلاحية الأساسية، "التبرير بالنعمة وحدها، بواسطة الايمان وحده". آمن ايراسموس، بتعاون "الارادة الانسانية" مع "الارادة الالهية" في خلاص الانسان، خلافًا لما آمن به لوثر، بأن خلاص الإنسان هو فقط عمل نعمة الله.

أظهر إيراسموس، شجاعة كبيرة، في انتقاد أمراض المجتمع المسيحي. إعتقد، أن الشر الأكبر في المجتمع المسيحي، هو التمسّك بالشكليات، دون فهم مضمون تعاليم المسيح. قال "التعلّق الكبير بالطقوس المسيحية الشكلية، وبالرغم من كونها تتضمن خيطا رفيعا من الفضيلة، إلاّ أنها خطرة، لأنها تخدع المؤمن، وتجعله يعتقد أنه فعلاً تقي ومتديّن". هاجم، رجال الدين، الذين جعلوا من العبادة الدينية مجرّد عادة، وجعلوا العقائد المسيحية، عقائد معقّدة. انتقد الوعّاظ الذين بشّروا بأمور خرافية، لا يرضى عنها الإنجيل. انتقد قادة الكنيسة، لأنهم كانوا يتسابقون الى المزيد من السلطة والقوة، واعتبر موقفهم انكارا للمسيح. قال "إن قادة الكنيسة ضحّوا بواجباتهم الروحية، من أجل طمعهم وشهواتهم، وهكذا أساؤوا الى المسيحية بتصرفاتهم ."

كتب ايراسموس،عام ١٥٠٩ كتابا أكسبه شهرة واسعة، عنوانه "تبجيل الجهالة. الكتاب هو انتقاد ساخر، لتمجيد الناس لكل أنواع الجهالة السائدة في المجتمع: الجهالة الظاهرة في الممارسات الخرافية السائدة في الكنيسة. جهالة ترك الناس لكنائسها المحلّية والإسراع إلى زيارة اماكن الحج في الخارج. جهالة التهافت على شراء صكوك الغفران. قال ايراسموس: "أعرف شيئًا واحدًا، أن غفران الخطايا الذي وعد به المسيح يسوع، هو أكثر يقينية مما تقوم به البشر ."

تفاوتت نظرة الناس الى اللاهوتي، والمفكر الكبير ايراسموس . نظر لوثر اليه، على أنه المعيد الأكبر للاهوت الكتابي. والمصلح فيليب ميلنكثون، كونه الأول الذي أعاد اللاهوت المسيحي إلى منبعه الأصلي. ووجد أنه ينتمي الى نفس المدرسة الذي انتمى إليها لوثر.أقرّ أن سعة علم ومعرفة إيراسموس، هي أعظم من معرفة لوثر. أثار العديد من الرهبان لدى الناس مشاعر سلبية وعدائية ضده. وانتقده بقسوة، أعداؤه من الإكليركيين المتشدّدين معتبرين انه يسوّق أفكار مارتن لوثر، بينما إعتبره الكاثوليك المعتدلين، شخصية قيادية تحاول إصلاح الكنيسة من الداخل. قدّر المصلحون، دعمه لأفكار الإصلاح الانجيلي في البداية، لا سيما عمله المميّز في الدراسات الكتابية،

إلاّ أنهم لاحقًا عادوا واعتبروه خائناً. وبالتالي، لأنه انتهج منهجا وسطيا، لم يرضِ ايراسموس، لا الكاثوليك ولا الإنجيليين، لكنه بقي عضواً في الكنيسة الكاثوليكية، حتى الرمق الأخير من حياته.

القس سهيل سعود

"إعلان بارمن" عام ١٩٣٤ شهادة انجيلية وسط ظلم النازية

بعد وصول أدولف هتلر الى السلطة في ألمانيا، حاول النازيون، بسياساتهم العرقية الظالمة، أن يستغلّوا الدين ويدمجوا ويخلطوا بين: الحقائق المسيحية وأفكارهم النازية، فشوّهوا نقاء رسالة الانجيل وتعاليم الكنيسة الانجيلية. ظهر هذا الاستغلال باصدار النظام النازي، قرارا عنصريا يعظّم العنصر الآري، ويحتقر ويدين العنصر السامي. هذا القرار قضى بطرد : القادة والقسوس وكل من هم من أصول يهودية، يخدمون في الكنائس. وللأسف، فإن العديد من الكنائس خضعت لإجراء هتلر وطردت من الكنيسة القسوس والعاملين الذين ينحدرون من أصول يهودية. خلق هذا الموضوع اشكالا كبيرا بين مؤيّد ومعارض. فالكنائس التي ناصرت سياسة هتلر واجراءاته، سُمّيت "كنائس الرايخ" أو "كنائس هتلر الوطنية". وقد أشادت بهتلر ونظرت اليه كنبي ألمانيا. واعتبرت إجراءاته وإدعائاته مسيانية الهية ومصدر وحي، الى جانب الكتاب المقدس. إلّا أن العديد من القادة واللاهوتيين والقسوس والكنائس رفضت اجراءات هتلر الظالمة المبنية فقط على أساس عرقي، ومنهم: القس اللاهوتي ديتريش بونهوفر، الذي صرّح قائلاً: "يجب على الكنيسة، ان لا تسمح للدولة، التدخل في طريقة تعاملها مع أعضاءها. فللكنيسة وحدها الحق، في تقرير طريقة التعامل مع أعضاءها . وحدها لها الحق في تقرير من يصلح أن يكون قسيسا أم لا ليس على أساس عرقي، ولكن على أساس أمانته في خدمة المسيح.

وفي نيسان من عام ١٩٣٤، دعا قادة لجنة الطوارىء (التي كانت قد شكلت لمتابعة وترصد اجراءات هتلر) المؤلفة من قسوس إنجيليين، الى عقد اجتماع في مدينة بارمن الألمانية. انضم الى الاجتماع: لاهوتيين ورجال دين وقادة مدينة بارمن. وكان من المشاركين، ممثلين عن: الكنيسة اللوثرية، والكنيسة المصلحة، والكنيسة الليبرالية. وقاموا بصياغة اعلان بارمن، وكان من البارزين الذين شاركوا: اللاهوتي الانجيلي كارل بارت وتلميذه القس اللوثري ديتريش بونهوفر، وغيرهم. صاغ الحاضرون ستة مبادىء، رفضت فرضية أن الكنيسة تستطيع أن تغيّر مبادئها، كيما تتماشى مع ايديولوجية، النظام النازي الظالم، والمواقف السياسة والعملية غير العادلة. اعتبرت

الحقائق الانجيلية الستة التي أعلنت عن موقف الكنيسة من النظام النازي واجراءات هتلر. ومن اجتماع بارمن، نشأ سينودس الكنائس الانجيلية الألمانية المعترفة.

أعلن المشاركون في اعلان بارمن، بجرأة كبيرة وشجاعة لا حدّ، لها استقلال الكنيسة المعترفة، عن جهتين، هما: النظام النازي، وكنيسة الرايخ. وباعلانهم هذا، لم يعتبروا أنفسهم يقسّمون الكنيسة الانجيلية، أو ينقسمون عن الكنيسة الأم، أو يؤسسون كنيسة انجيلية جديدة. وإنما أكّدوا، أن كنيسة الرايخ، هي التي انقسمت عن الكنيسة الانجيلية اللوثرية الأساسية، بتخلّيها عن أمانتها لتعاليم الانجيل، ومناصرتها للنظام النازي الظالم. أعادت الكنيسة اللوثرية المعترفة، التأكيد على التزامها بمبادىء: الكتاب المقدس، والاصلاح الانجيلي، وتعاليم المصلح مارتن لوثر، المؤسسة على انجيل يسوع المسيح، المشهود عنه بالروح القدس، والمعلن في اعترافات الايمان الانجيلية المصلحة. استندوا في صياغة إعلان بارمن على آيات ونصوص من الكتاب المقدس، مسلّطين الضوء على خطية عبادة الأصنام التي وقعت بها كنيسة الرايخ، وعلى الايمان بربوبية يسوع المسيح كونه، ملك الملوك ورب الأرباب. أعلن المجتمعون موقفهم ككنيسة انجيلية معترفة بالتصريح بما يلي:

-اولا، نرفض التعليم الخاطىء، الذي يدّعي أن هناك مصدراً آخر للإعلان الإلهي، الى جانب الاعلان الوحيد الذي هو كلمة الله. مهما كان مصدر هذا الاعلان، من: أحداث، أو قوى سياسية، أو شخصيات تاريخية، أو أية مصادر أخرى. فكلمة الله هي الاعلان الالهي الوحيد.

-ثانيا، نرفض التعليم الخاطىء، الذي يدّعي بأنه قد يكون هناك في حياتنا جوانب، لا تنتمي الى يسوع المسيح، بل الى آلهة أخرى. فكل جوانب الحياة، يجب أن تكون تحت سيادة المسيح.

-ثالثا، نرفض التعليم الخاطىء، الذي يدّعي بأن الكنيسة يمكن أن تسمح لنفسها، بأن تخضع لقادة ذوي امتيازات خاصة الذين يسيئون استخدام السلطة، التي أوكلهم الله عليها. ويستخدمون كلمة الله من أجل منفعتهم وقناعاتهم الشخصية. فالمهمة الأساسية التي أوكل الله الحكام عليها، كما يعلن الكتاب المقدس، هي إحلال العدالة والسلام.

-الرابعا، نرفض التعليم الخاطىء، الذي يدّعي بأن الحكومات تستطيع تجاوز وتخطي مسؤوليتها الخاصة، التي أوكلها الله اليها، لتلعب دور المنظم للحياة الانسانية بكلّيتها، وتحلّ محل الكنيسة في خدمتها للعالم.

-خامسا، نرفض التعليم الخاطئ، الذي يدّعي أن الكنيسة يمكنها أن تستولي على حقوق ومكانة وكرامة الحكومات، لتصبح الدولة أداة بيد الكنيسة.

-سادسا، نؤكد أن إرسالية الكنيسة، هي الأساس للحرية التي تتمتع بها، وهي ارسالية يسوع المسيح. وبالتالي، فان خدمة المسيح للعالم ، تتحقّق من خلال خدمة الكنيسة وكرازتها بالانجيل، لتخلّص العالم: بكلمة الله وأسرار الكنيسة، بواسطة عمل الروح القدس.

القس سهيل سعود

"أؤمن... بشركة القدّيسين"؟

تفسير المصلحين الانجيليين

جاء في قانون ايمان الرسل، الذي كتب في القرن الخامس الميلادي، "وأؤمن بالروح القدس، وبالكنيسة المقدسة الجامعة، وبشركة القديسين". فما معنى عبارة "نؤمن بشركة القدّيسين؟". عرّف المصلح الانجيلي جان كلفن الكنيسة، على أنها "جماعة المؤمنين، ولمؤمنات المختارين، التي تنتشر في كل العالم وعبر كل العصور، وترتبط بعضها ببعض الآخر، بروح المسيح الواحد والايمان الواحد".

لم ينظر كلفن الى الكنيسة على أنها فقط جماعة المؤمنين الأحياء الذين يعيشون على هذه الأرض، بل، تضمّنت في عقيدته أيضًا المؤمنين والمؤمنات الذين رقدوا على رجاء القيامة وانتقلوا الى جوار المسيح. فشركة القديسين هي هذه الشركة الروحية بين الأحياء والأموات في المسيح. ولا تتضمن شركة القديسين فقط جماعة الايمان في العهد الجديد، وانما أيضا الآباء والأنبياء وجماعة الايمان في العهد القديم. اعتبر كلفن أن هذه الكنيسة هي بمثابة الأم لجماعة الايمان. قال: "لا يمكن للمؤمن أن يكون له الله كأب، دون أن يكون له الكنيسة كأم". عندما إنتقد الكاثوليك بشدّة المصلحين الانجيليين، بأنهم لا يعطون مكاناً للقديسين في الكنيسة، فإن المصلح السويسري، هينريخ بولينغر، قال، "هذا غير صحيح. فنحن نؤمن بأن القديسين هم أعضاء أحياء في المسيح وأصدقاء الله. نحن نتبع مثلهم ونتشوّق لأن نقلّد إيمانهم وفضائلهم ونشارك معهم الخلاص الأبدي، لنكون واياهم متمتعون بحضور الله الى الابد، ونفرح معهم في المسيح. كانت نقطة الخلاف بين الكاثوليك والانجيليين حول مفهوم من هو القديس. فالقديس في المفهوم الكاثوليكي يتم تطويبه من قبل الكنيسة. لكن القديس بحسب المفهوم الانجيلي، هو كل شخص اختبر خلاص المسيح، ونضج في الايمان، ويسلك بقيادة الروح القدس.

يتحدث اللاهوتيون عن حالات الوجود في شركة القديسين. تحدث اللاهوت الكاثوليكي عن ثلاث حالات من الوجود في شركة القديسين في الكنيسة. الأولى، حالة الوجود في الكنيسة المنتصرة التي تضم المؤمنين والمؤمنات، الذين انتصروا على العالم أثناء عيشهم ايمانهم على الأرض، فانتقلوا ليكونوا مع المسيح وانضموا الى الكنيسة المنتصرة. الثانية، حالة الوجود في المطهر، وهي تضم الناس الذين انتقلوا من هذا العالم، وكان لديهم بعض الشوائب الروحية التي يجب أن يتطهّروا منها في المطهر، لينتقلوا بعدها الى حالة الكنيسة المنتصرة. أما الحالة الثالثة، فهي

حالة الكنيسة المجاهدة والمصارعة في العالم. وهي تتضمن جماعة الايمان الذين يجاهدون في ايمانهم خلال وجودهم في هذه الحياة ، ويصارعون ضد الخطية وإبليس وأجناد الشر الروحية. بحسب اللاهوت الكاثوليكي، هناك نوعا من التواصل بين تلك الحالات من الحضور، اذ أن قديسين، يتشفعون من أجل الناس الذين لا يزالون يعيشون في الكنيسة المجاهدة، كما أن الذين يعيشون في الكنيسة المجاهدة، يصلّون من أجل الذين في حالة الحضور في المطهر. كانت احدى تبريرات اقناع الناس بشراء صكوك الغفران التي رفضها المصلحون الانجيليين، في القرن السادس عشر، مساعدة المشترين لأحبائهم بعض الذين في حالة المطهر، كيما يتطهّروا من خطاياهم، وهكذا ينتقلون الى حالة الكنيسة المنتصرة. كما أن أحد أسباب تشجيع الناس على اقامة القداديس لأحبائهم الصلاة لأجلهم لينتقلوا من حالة المطهر الى حالة الكنيسة المنتصرة.

لكن المصلحين الانجيليين، اعتقدوا بأن "شركة القديسين"، تتضمن حالتين من الوجود في الكنيسة الجامعة: حالة "الكنيسة المنتصرة" أو الغالبة، وحالة "الكنيسة المجاهدة" أو المصارعة. الاّ أنهم رفضوا وجود حالة المطهر، لعدم وجود أدلة كتابية واضحة عنها. تنحدر تسمية "الكنيسة المجاهدة" أو المصارعة من تعابير الكتاب المقدس حول الحرب الروحية. يقول الرسول بولس: "فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أضاد الشر الروحية في السماويات" (أفسس٦: ١٢). وتنحدر تسمية "الكنيسة المنتصرة" أو الغالبة، من قول يوحنا الرائي: "من يغلب، فلا يؤذه الموت الثاني" (رؤيا٢: ٣). رأى يوحنا الرآي، في سفره ومضات من الكنيسة المنتصرة، فقال: "بعد هذا نظرت. وإذا جمع كثير لم يستطع أحد، أن يعدّه من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة، واقفون أمام العرش وأمام الخروف، متسربلين بثياب بيض، وفي أيديهم سعف النخل، وهم يصرخون بصوت عظيم قائلين: الخلاص لإلهنا الجالس على العرش" (رؤيا يوحنا٧: ٩-١٠).

آمن المصلحون الانجيليون، أن أعضاء الكنيسة في حالتيها: الحالة المنتصرة، والحالة المجاهدة، يتمتعون بالشركة الروحية: أولا مع الله، وثانيا مع بعضهم البعض، انما دول تواصل او تشفّع بين بعضهم البعض. حصر المصلحون الشفاعة بيسوع المسيح وحده دون غيره، مستندين على تعليم الكتاب المقدس، اذ يقول الرسول يوحنا، "وان أخطأ أحد، فلنا شفيع عند الآب، يسوع المسيح البار، وهو كفارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا العالم أجمع" (١يوحنا ٢: ١-٢). دوّن المصلحون الانجيليون عقيدتهم حول "شركة القديسين" ، وحالتي "الكنيسة المجاهدة، والكنيسة المنتصرة" في العديد من اعترافات الايمان التي كتبوها في القرن السادس عشر. مثلا:

تحدث، "إعتراف الايمان الهلفيتي السويسري" بوضوح ،عن الشركة والوحدة بين اعضاء: الكنيسة المجاهدة على الأرض، والكنيسة المنتصرة في السماء. و"إعتراف إيمان الوستمينستر"، الانجيلي المصلح، ذكر أن شركة القديسين تتضمن، "الذين اتحدوا في المسيح بالايمان: الأحياء منهم والأموات. جاء في النص: " الأحياء والأموات المتحدون في المسيح، ينعمون بشركة روحية من المحبة مع بعضهم البعض، ويشتركون مع بعضهم البعض في هبات ونعم الله".

القس سهيل سعود

"لا تعني العناية الالهية، مراقبة الله لآلامنا وضيقاتنا بشكل حيادي، وانما انخراطه بشكل فاعل معنا، من خلال تعزيتنا وتقويتنا وتشجيعنا"

المطلم جان كلفن

آمن المطلم الانجيلي جان كلفن، بسيادة الله على كل شيء في هذه الحياة. قال: "نحن لسنا متروكين في يدي الشيطان، فكل شيء هو تحت عيني الله". عرّف "العناية الالهية"، على أنها معرفة الله المسبقة، مقرونة باهتمامه بأولاده. إن ادراك كلفن لحقيقة الألم وتفسيره له بشكل ايجابي وليس سلبي، انسجم مع مفهومه للعناية الالهية. قال "نحن مدعوون لحمل الصليب بشكل مستمر، لأننا متبنّون من قبل الله في المسيح. نحن محسوبون مثل غنم للذبح. هل لا نشرب الكأس الذي أعدّه الله لنا". قال، "لا يمكن أن يكون أحد مسيحيًا ان لم يقدّم نفسه ذبيحة لله. ليست عناية الله مجرّد تلطيف لآلامنا، وانما هي أيضًا حمل الصليب". وصف طبيعة العناية الالهية بقوله: "لا تعني العناية الالهية، مراقبة الله لآلامنا وضيقاتنا بشكل حيادي، وكأنه حارس يحفظ المفاتيح. وانما تعني انخراطه بشكل فاعل معنا، من خلال تعزيتنا وتقويتنا وتشجيعنا. فالله يتحكّم بكل الاحداث بعينيه ويديه". اعتقد كلفن أن الفهم الصحيح لعناية الله، مرفقا بثقة كاملة به، تحوّل الضيقات الى انتصارات للمؤمن. آمن كلفن، أن عناية الله تعني حفاظ الله على أرواح أولاده المؤمنين، وهم يمرّون في ضيقات وآلام التجارب. لم يفهم كلفن، العناية الالهية بشكل قدري. قال: "الله في كل نجاح وفي كل ضيقة. ليس هناك مكاناً للصدفة أو الحظ في شؤون الانسان". قال: "مع أن الاسباب الحقيقية للآلام والضيقات هي مخبأة عن عيوننا، إلّا انها معروفة لدى الله وتسير بناء لخطته ومعرفته المسبقة". وأضاف: "مع أن الأحداث المستقبلية، هي مجهولة لدينا وتميل بين جهة واخرى. إلّا أنه يبقى في قلوبنا يقين ثابت، أنه لا يحدث شيء ان لم يكن قد رآه الله وعرفه سابقًا". قال: "نحن لا نصاب بالآلام والضيقات بالصدفة وإنما بمعرفة الله، مع ذلك فالانسان غير معفي من مسؤولياته كإنسان. لأنه اذا ما كنا معفيين من مسؤولياتنا، تتحول العناية الالهية الى قدرية". قال، " يجب ألّا نتذمّر عندما تصيبنا الضيقات. الله يسرّ أن يخبّىء الأحداث المستقبلية عنا، كيما نقاومها وكأنها مشكّك في حدوثها. المطلوب منا، ألّا نتوقف عن معارضتها بعلاجات حاضرة. فعناية الله لا تلاقينا بطريقة مجرّدة، انما يغلّفها الله بطريقة ما".

حذّر كلفن من قصر الرؤية في النظر الى عناية الله، ورؤيتها بشكل سلبي. قال: "عناية الله سوف تساعد جماعة الايمان في ضيقاتهم وآلامهم ومصائبهم. يجب أن ينظر الانسان المؤمن، الى ما وراء الظروف المباشرة، التي تجعلنا: نغضب، ونقلق، ونفقد صبرنا، وتجعلنا نصاب باليأس والاحباط. على المسيحي، أن يتأمّل بعناية الله التى تشمل كل الحياة والكون. على المسيحيين أن يحتملوا الضيقات ويؤمنوا ان الله يريد الافضل لهم، مهما يبدو ذلك معاكسا للواقع المرئي. يجب علينا أن يدرك، أنّ ما نصبه لنا عدونا ابليس قد سمح به الله". اعتقد كلفن، أن الايمان بعناية الله يولّد الثقة ويحرّر جماعة الايمان، ليس فقط من القلق والخوف الشديد، وانما يحرّرهم أيضا من شعورهم أنهم ضحية الحظ والصدفة. وهكذا، يسلّمون أنفسهم بشكل كامل الى الله. فالتسليم الكامل لله، لا سيما في أوقات الضيقات هو دليل على حقيقة ايماننا المسيحي.

القس سهيل سعود

كيف يكون الايمان، الايقان بأمور لا ترى، وسط ظروف الحياة الصعبة؟

المصلح جان كلفن

في تفسيره لتعريف كاتب الرسالة إلى العبرانيين للإيمان: "وأما الإيمان فهو الثقة بما يرجى، والإيقان بأمور لا ترى" (عبرانيين١١: ١)، عرّف المصلح جان كلفن الايمان بطريقة مميّزة تنسجم مع الظروف الصعبة التي نعيشها في هذه الأيام. قال: "نحن موعودون بالحياة الأبدية. لكن هذا الوعد هو للأموات. أخبرنا المسيح عن القيامة المباركة، لكننا لا نزال نعيش في الفساد. أعلن لنا الله، أننا أصبحنا أبرارًا في النعمة، لكن الخطية لا تزال تسكن فينا. نسمع أننا مباركون، لكننا لا نزال منهمكين بمآسي الحياة التي تفاجئنا. وعدنا الله أنه سيأتي إلينا، لكن يبدو أنه أصمٌ لصُراخنا. لكن، لكل هذه الأسباب، يعرّف عن حق، كاتب الرسالة الى العبرانيين ، أن جوهر الإيمان، هو الايقان بأمور التي لا تُرى". قال كلفن: "القلب النقي يختبر إنقساماً وتشتّتا في داخله، إذ هو أحياناً يبتهج بإدراكه لصلاح الله، وأحياناً أخرى يشعر بالحزن بسبب الآلام التي تصيبه. أحياناً يضطرب من فساد طبيعته وأحياناً يعتمد على وعد الإنجيل. أحياناً يشعر بالخوف من الموت. الاّ أنّ قوة الإيمان تنتصر في النهاية على هذا الإنقسام الداخلي".

من الصلوات العميقة التي رفعها الى الرب، أثناء مروره بفترة ضيق صعبة، قوله: "ليس لدي أيُ ملجىء ألجأ إليه، ما عدا تبنّيه المجاني لي لأكون ابنه. هذا هو الأمر الوحيد الذي أستند عليه بكليّتي، وأنا أعانق رحمته من خلال فداء المسيح وغفرانه لخطاياي وجرائمي، وازالتها من ذاكرته، لأني لست سوى خاطىء بائس. فاني أستظلّ في ظلّ جناحيه، وأقف أمامه في كرسي الدينونة، معتمداً على وسع رحمته وخلاصه الذي أظهره لي في المسيح.

أما لوثر فانه دعا الناس الى اعادة ترتيب أولوياتهم وسط ظروف الحياة الصعبة، لتتمحور حول الانجيل. قال لأناس يتألمون: "هل رأيتم قلب المسيح الذي كان معلّقًا على الصليب، كيف كان يتألّم لأجلنا ليجعل الموت حقيراً ومائتاً؟ ان محبة المسيح المضحّية هذه، تشقّ طريقها الى قلوبنا وتنقش في عمق مشاعر أذهاننا. فآلام يسوع المسيح القدوس، قدّست آلامنا. لمسته، باركت اللعنة، ومجّدت العار، وأغنت الفقر، كيما يصبح الموت: باباً للحياة، واللعنة ينبوع بركة، والذلّ أم المجد. لقد تغلّب يسوع على الألم بدم جسده الذكي، فجعله مقدّساً، غير مؤذٍ، ومباركًا لأجلكم. فليس هناك شيء، لا تعطيه آلامه وموته حلاوة، وحتى الموت نفسه".

القس سهيل سعود

المصلح فيليب ميلنكتون، معلم ألمانيا

لم يرد المصلح فيليب ميلنكتون أن يُرسم قسيساً ويرعى كنيسة، أو يطلق عليه لقب "دكتور في اللاهوت"، لكن أُطلق عليه لقب "معلّم ألمانيا"، وذلك للدور الرائد والمميّز جداً الذي لعبه في التربية والتعليم، لأكثر من أربعين سنة في ألمانيا. كان المصلح ميلنكثون شريك مارتن لوثر في ثورة الاصلاح الانجيلي، بل يده اليمنى لكنه وجّه بوصلة اصلاحه الى التربية والتعليم، لأنه أدرك أهمية هذا القطاع في اقامة اصلاح فاعل في جميع نواحي الحياة، الروحية منها وغير الروحية. اعتقد ميلنكتون، أن العلم هو المفتاح لفهم العالم وطريقة انتظامه، كما أنه المفتاح لفهم الله.

عندما أتى ميلنكثون للتعليم في جامعة ويتنبرغ التي كان يعلّم فيها مارتن لوثر والتي لعبت دورا محوريا في حركة الاصلاح الانجيلي، فانه ألقى محاضرة افتتاحية عام ١٥١٨، بعنوان "تحسين دراسات الشباب". رصد في المحاضرة تاريخ التربية من الزمن الكتابي الأول، وتوقّف عند التقهقر في المعرفة الكتابية والأدبية. ذكر قائلاً، "مع الوقت صار يعلّم أمور سيّئة وكأنها أمور جيدة، استبدلت سلطة الكتاب المقدس بسلطة الكنيسة، وحلّ تعليم الانسان محلّ تعليم الله. نتيجة لذلك، تغيّر الايمان المسيحي الحقيقي، الى ممارسات وتقاليد انسانية ومبالغات. هذا التراجع في المعرفة الكتابية، كان له تأثيراً كبيراً على حالة الكنيسة والمجتمع، فساد الجهل وغابت التقوى عن القرون الوسطى". ثم أعلن في نهاية المحاضرة ان جامعة ويتنبرغ توفّر الفرصة لتحسين التعلّم والروحانية. وأساتذتها يقدّمون منهجا جديدا حول الكتاب المقدس لكي يقلبوا هذا التقهقر الذي نشهده رأسا على عقب".

رفض ميلنكتون طرق التعلّم السكولاستية، لغموضها الظاهر وفراغ حججها من معنى الحياة. علّم تلامذته تذوّق مادة التاريخ لأنها، تعلّم ما هو: جميل وسيء، مفيد وغير نافع. قال، "التاريخ يساعد الانسان، لكي يفهم موقف الله من خلائقه في العالم الزمني والروحي". شدّد على أهمية دراسة الأدب لأنه اعتقد أن الأدب ينقل فهماً أفضل للاختبار الانساني، والطرق التي يعبّر فيه الانسان عن نفسه. قال "غاية مادة الأدب ، التعاطي مع الأمور التي تتعلّق بمعرفة الاختبار الانساني، وطريقة صياغة الأمور. يعلّم الأدب، كيفية تكلّم الانسان بشكل مناسب وبطلاقة". وأضاف، "ان قراءتنا لكتابات الآخرين، تساعدنا حتى نفهمهم، ونفهم مهارتهم في الفلسفة والبلاغة والكتابة الجيدة. فالأدب يعلّم الانسان كيفية التعبير عن نفسه بدقة شديدة واقناع".

كانت خطة ميلنكتون، أن ينقل جامعة ويتنبرغ الى العصر الحديث من التعلّم. فهم الحداثة على أنها العودة الى الأصول، لا سيما الكتاب المقدس. قال، "الكتاب المقدس، هو الشيء الحقيقي وليس ظل الأمور. حذّر من تسميم الكتاب المقدس بتفسيرات غريبة". اقتبس ميلتكثون، قول الرسول بولس: "مقدمًا في التعليم، نقاوة ووقارا واخلاصا وكلامًا صحيحًا، غير ملوم لكي يخزى المضاد، إذ ليس له شيء رديء يقوله عنكم" (تيطس٢: ٧-٨). عرّف النظرية التربوية، بناءً لأسس كتابية.

ميّز ميلنكثون بين دراسة الانسانيات، ودراسة الله. عند تأسيس مدرسة جديدة في مدينة نورمبرغ، ألقى خطبة ذكر فيها أن السبب في سقوط كنيسة القرون الوسطى، هو فشلها في التمييز بين المقدس والنجس، بين الفلسفة الأرسطوطالسية واللاهوت المسيحي. دعا ميلنكتون، القادة المدنيين أن دعم اصلاح التربية، وتزويد المدارس بمناهج دراسية جيدة ومفيدة، كيما يتنشأ الشباب تنشئة صحيحة ويتعلمون تعليما مفيدا. نظر مؤرخون الى ميلنكتون على أنه الوسيط بين الوحي المسيحي والفلسفة القديمة. اعتقدوا أنه كان ابن النهضة الانسنيوية، وابن الاصلاح على السواء. ابن النهضة بتشديده على العقل، وابن الاصلاح بتشديده على الايمان. عكس ميلنكثون فلسفته الأنسنيوية-المسيحية، بتشديده على الفائدة التي تقدمها الفلسفة للمسيحية.

صبّ ميلنكثون جزءا كبيرا من اهتمامه على اصلاح المؤسسات التربوية والتعليمية في ألمانيا. قام بحملة تطوير النظام التربوي. كتب أنظمة ومناهج للعديد من المدارس والجامعات التي تأسست حديثًا في زمن الاصلاح. قدّم نصائحه وتعليماته حول تعيين أساتذة واداريين كفوئين، ليس فقط في المانيا، بل في كل أنحاء أوروبا. ساعد في تأسيس جامعات جديدة في مدينة كونغسبرغ، وأقام اصلاحات في المناهج التربوية في جامعات اخرى. إن ما كتبه ميلنكتون عن التربية والتعليم، استخدم ليكون أساسًا لتطبيق نظام التعليم للجميع. نسخت خطته بشكل واسع في أرجاء المانيا. طالب قادة ٣٥ مدينة نصيحته حول تأسيس المدارس. كتب العديد من الكتب حول دليل التعليم، التي اعتمدت في المدارس، والمؤسسات التربوية لا سيما في حقل قواعد اللغة. كان لميلنكتون تأثيرًا كبيرًا على النظام التربوي في المانيا، من خلال كتبه ومحاضراته والأساتذة الذين تدرّبوا على يديه في الجزء البروتستانتي من المانيا. جهوده التربوبة الكبيرة، منحته لقب "معلم المانيا".

القس سهيل سعود

تأثير ميلنكثون على لوثر في عملية الاصلاح التربوي

كان لميلنكتون ولوثر تأثيراً على بعضهما البعض، كل من ناحيته. أثّر لوثر على ميلنكتون بأفكاره اللاهوتية العميقة، وأثّر ميلنكتون على لوثر في مفاهيمه التربوية العميقة. ان تأثير ميلنكتون التربوي على لوثر ساهم في صياغة موقفه حول ضرورة تماشي، الاصلاح التربوي الى جانب الاصلاح الديني. في البداية كان ينظر لوثر نظرة سلبية الى المدارس الأنسنيوية المتمحورة حول العقل. هاجم في وقت ما، الجامعات متّهماً اياها على أنها مؤسسات عميلة للبابوية. قال عنها، "انها مراكز وثنية لعبادة الفيلسوف أرسطو". إلاّ أنه سرعان ما غيّر موقفه بعد تأثره بنظرة ميلنكتون الى العلم والتربية. أقنع ميلنكتون، لوثر أنه يمكن استخدام المدارس والجامعات كأدوات عظيمة لنشر الفكر والايمان الانجيلي المصلح. وقد أدرك لوثر هذه الحقيقة، عندما اكتشف في الفترة الأولى أن فهم الناس للكتاب المقدس هو بطيء. وتفسيرهم أحيانا خاطىء لبعض تعاليم الكتاب المقدس، الأمر الذي يؤّدي الى تشويه رسالة الانجيل الروحية. قال "كانت تعلّم المانيا تعليماً مسيحياً حقيقياً مؤسساً على كلمة الله، الكتاب المقدس". بعد زيارته للعديد من الأبرشيات، اكتشف لوثر هوّة كبيرة من الجهل للمبادىء الاساسية للايمان، كما اكتشف ضعفا كبيراً لدى رعاة الكنائس في ايصال الايمان الانجيلي للاولاد. علّق على هذا الواقع، بقوله: "في هذه الأيام، كلٌ يظن انه سيّد الكتاب المقدس، ويتخيّل نفسه بأنه يفهم ويعرف الكتاب المقدّس". كادت تلك الحقائق المكتشفة، أن تحبطه لو لم يلجأ الى استخدام المدارس لتكون أدواتا لنشر الاصلاح الانجيلي.

تعاون لوثر مع ميلنكتون، على خلق نظام تربوي جديد، معتمدا فيه طريقة فاعلة لإيصال التعليم الانجيلي المصلح عبر المدارس. قام بدمج تعاليمه الانجيلية التي كتبها: "الكاتخيسم الصغير" و "الكاتخيسم الكبير"، في مناهج المدارس. تضمنت كتب الكاتخيسم: تفسير للوصايا العشر، وقوانين ايمان الكنيسة، والصلاة الربانية وتعاليم انجيلية. وسرعان ما تحوّلت كتبه الى مصدر المعرفة اللاهوتية، والوسيلة الأساسية للتعليم الديني في مدارس المانيا اللوثرية.استخدم "الكاتخيسم الصغير" للصفوف الابتدائية، و "الكاتخيسم الكبير" للصفوف الثانوية والجامعية.

ان تعاون لوثر وميلنكتون، في الاصلاح التربوي، ساهم في نشر المدارس والجامعات ليس فقط لتعليم الفكر الانجيلي المصلح، لكن تحولت المدارس مراكزا لتعلّم المواطنين أموراً عملية في الحياة لإعدادهم للخدمة، إما في الكنيسة أو في المهن العلمانية الاخرى. آمن لوثر أن المهن الأخرى تتساوى في أهميتها بعيني الله، مع الخدمة في الكنيسة. كتب المؤرخ أوين تشادويك، "عندما أرسل لوثر رسالة الى نبلاء المانيا المسيحيين يطلب منهم انشاء المدارس في مقاطعاتهم، حاول أن يهدم فكرة أن البشرية تنقسم الى قسمين: قسم كهنوتي وقسم علماني". قال لوثر، "القسوس وخدام الكنيسة مسؤولون عن رعاية نفوس الناس . أما العلمانيين فهم مسؤولون عن رعاية أجسادهم".

القس سهيل سعود

"نقل مسؤولية التعليم من الأهل والكنيسة، الى الدولة ليكون متوفرا للجميع"

المصلحان: مارتن لوثر فيليب ميلنكثون

انتمت معظم المدراس خلال القرون الوسطى، الى الأبرشيات والاديرة. وكانت السمة البارزة للتعليم في ذلك الزمان، التعليم البيتي. لكن المصلحين أصرّوا أن التعليم البيتي لا يكتمل الاّ بالتعليم في المدارس. قال لوثر، "يجب عدم ترك مسؤولية تعليم الأولاد فقط للأهل، لأنه قد يكون هناك أهال مؤهلّون، وانما أيضا قد يكون هناك أهال آخرين غير مؤهلين". وأضاف، "ليس لدى الانسان العادي الوسائل الضرورية المطلوبة لتعليم أولاده. كما أن هناك أهال لا يريدون القيام بذلك وفي كثير من الاحيان، قد تكون هذه المهمة صعبة ومكلفة". وعظ لوثر، عن ضرورة ارسال الأهل أولادهم

الى المدرسة. قال لوثر في مقدّمة كتابه، "تعليمات لزائري قسوس الأبرشيات"، "ان ارادة الله أن يرسل الأهل أولادهم الى المدرسة لإعدادهم للرب، كيما يستخدمهم من أجل خدمة الآخرين". كانت فرضية المصلحين الاساسية أن التعليم هو حق لكل انسان، ذكرًا كان أم أنثى.

شدّد المصلحان لوثر وميلنكثون على أهمية تعليم كل أفراد العائلة من أجل مستقبل افضل للمجتمعات. اعتقد ميلنكتون أن التعليم ضروري لكل انسان يعيش في المجتمع. وله الحق أن يفهم الكتاب المقدس. آمن لوثر، أن تعليم الناس القراءة والكتابة، سوف يعدّهم بطريقة جيدة للحياة، وسوف يجعلهم أكثر تهذيبًا وأكثر سلمية. قال "يميل غير المتعلمين لجهل القوانين، الأمر الذي يؤدي الى فوضى مجتمعية". قال، "لا يمكن للدولة والمجتمع، الاستمرار دون قادة ومواطنين متعلّمين". وأضاف: "يفضل ابليس، الرؤوس الفارغة، وعدم القيام بشيء بشكل جيد ،لكي لا تتحسن نوعية حياة الناس".

رأى لوثر وميلنكثون أن الخيار الأفضل، هو أن تقوم الدولة بمهمة التعليم. قدّما حججًا مقنعة لإقناع الدولة بأهمية أخذ مسؤولية التعليم على عاتقهم، ومواكبة العملية التربوية في البلاد، وجعل التعليم الزامي للجميع. وهكذا نجحا في مهمتهما، ونقلا التعليم الى مسؤولية الدولة، فتسلمت الدولة بأجهزتها المعنية، مسؤوليات التعليم في البلاد، وساهمت بدورها في انشاء المدارس. بالرغم من أنه يبدو غريبًا للبعض، أن يختار لوثر تشجيع انتقال مسؤولية التعليم وادارة المدارس من الكنيسة الى الدولة، إلّا أن خياره هذا، تناسب مع مفهومه لدور الدولة في المجتمع. آمن لوثر أن الله أقام الدولة لخدمة ورعاية شؤون الانسان الخارجية، كما أنه أقام الكنيسة لخدمة ورعاية نفوس الناس وقيادتها الى الله. اعتقد لوثر، أنه من مسؤوليات السلطة الزمنية، منع التصرفات المسيئة في المجتمع، من خلال تعليم الأخلاق الحميدة التي تستند بشكل كلّي تقريبًا على الكتاب المقدس. اعتبر لوثر أن التربية والتعليم هي ايضًا مشاريع أخلاقية، تحسّن أخلاق الانسان. اعتبر أن عمل الدولة من خلال المدارس، هو جزء من عمل الله، للمساهمة في جعل العالم، مكاناً أفضل للسكن والعيش مع أناس صالحين ومواطنين نافعين. وهذا كلّه، يساهم في تأمين الأجواء المناسبة للكرازة بالانجيل.

كان التغيير في المسؤولية التربوية: من الأهل الى المدارس، ومن الكنيسة الى الدولة اختباراً ناجحًا جدًا، إذ تأسست في كل ولاية، مدارس ابتدائية وثانوية وعلّمت فيها برامج تعليمية جيدة ذات هدف تربوي واضح. وهكذا لاقى مشروع لوثر وميلنكتون التربوي ثماره، إذ انتشرت المدارس والجامعات داخل وخارج المانيا في المناطق التي دخلتها حركة الاصلاح الانجيلي.

مثلا، أسّس ميلنكثون عام ١٥٣٠ المدرسة الاولى للبنات في مدينة ويتنبرغ. وعندما تبنّت مدينة جينيف مبادىء الاصلاح الانجيلي، جعلت التعليم للجميع والصفوف الابتدائية مجانية. وأسّس جان كلفن مصلم جينيف عام ١٥٥٩ ، أكاديمية جينيف تدرّب فيها العديد من القسوس والوعّاظ، وأصبحت مركز تدريب كبير، في القرنين السادس عشر والسابع عشر. وفي مدينة ستراسبورغ، ساهم المصلم مارتن بوتسر في انشاء أول مدرسة ثانوية، هي، Gymnasium، عرفت شهرة كبيرة على عهد استاذها الاول، جان ستارن. القس سهيل سعود

هل هناك من تراتبية روحية بين القسوس وباقي المؤمنين بالمسيح؟

المصلم الانجيلي مارتن لوثر

عندما نادى المصلم مارتن لوثر بمبادىء: "الايمان وحده، الكتاب المقدس وحده، وكهنوت جميع المؤمنين". فان نتيجة ذلك أنه جعل خدمة الوعظ تأخذ المكانة الأسمى في الكنيسة. لم تعني عقيدته "كهنوت جميع المؤمنين، بأن على كل مؤمن أن يأخذ على عاتقه مهمة الوعظ الرسمية في الكنيسة. كان حريصا في الحفاظ على النظام والترتيب، لئلا تعمّ الفوضى في الكنيسة. وبالتالي، بالرغم أنه، من ناحية شدّد على مبدأ أن لكل مؤمن الحق والسلطان أن يعظ بكلمة الله، الأمر الذي هو متاح للجميع. الا أنه من ناحية ثانية، صرّح قائلا، "هذا لا يعني بأن على كل مسيحي أن يمارس هذا الحق في سياق خدمة العبادة. تساءل قائلا، " ماذا سيحدث لو أراد الجميع أن يتكلّم؟".
استند لوثر في عقيدته "كهنوت جميع المؤمنين"، على رغبة الله التي عبّر عنها لشعبه، ألفي سنة قبل المسيح، بأن يكون كل فرد منهم كاهنا. قال لهم: "فالان ان سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي، تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب، فان لي كل الارض، وانتم تكونون لي مملكة كهنة وامة مقدسة" (خروج ١٩: ٦). تعني كلمة كاهن Pontifix ، باللاتينية "باني القنطرة". فالكاهن هو الشخص الذي يبني القنطرة، ويعمل كقنطرة عبور، يعبر الناس من خلاله الى الله من خلال الصلوات والذبائح والمحرقات والقرابين التي يقدمونها ويستلمها الكاهن في الهيكل، وتعبر استجابات الله ورغبته وارادته الى الناس، من خلال الكاهن.
كما استند مارتن لوثر، في وضعه لعقيدة كهنوت جميع المؤمنين، على تسمية الرسول بطرس جميع أعضاء الكنيسة بأنهم ينتمون الى كهنوت ملوكي، اذ قال لهم، " كونوا أنتم أيضا مبنيين كحجارة حية، بيتا روحيا، كهنوتا مقدسا، لتقديم ذبائح مقبولة عند الله بيسوع المسيح" (١بط ٢: ٥). وأيضا قوله لهم "جنس مختار، وكهنوت ملوكي، امة مقدسة، شعب اقتناء، لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة الى نوره العجيب" (١ بط ٢: ٩). كما أن كاتب سفر رؤيا

يوحنا، يستخدم نفس لقب "كاهن أو كهنة" لأعضاء الكنيسة عامة فيقول، "سلام من يسوع المسيح الذي احبنا وغسلنا من خطايانا بدمه وجعلنا كهنة وملوكا لله ابيه" (رؤيا ١: ٦).
وبالتالي، بالايمان بالرب يسوع المسيح، يصبح كل مؤمن ومؤمنة كاهن أو كاهنة لنفسه أو لنفسها أمام الله، وكاهن أو كاهنة للاخرين، بمعنى أننا نستطيع أن نصلي من أجل الاخرين ونرفع حياتهم وطلباتهم أمام الله طالبين من الله أن يستجيب لهم، كما قال الرسول يعقوب "اعترفوا بعضكم لبعض بالزلّات، وصلوا بعضكم لأجل بعض لكي تشفوا" (يعقوب ٥: ١٦). وبمفهوم كهنوت جميع المؤمنين الذي دعا اليه المصلحون الانجيليون نحقق رغبة قلب الله التي عبّر عنها في سفر الخروج قائلا، " وانتم تكونون لي مملكة كهنة وامة مقدسة"(خروج ١٩: ٦).
أما بالنسبة للتمييز بين، مرتبة الكاهن الذي يخدم الرعية، عن مرتبة باقي المؤمنين أو العلمانيين الذين يشتركون معا في الكهنوت العام. وصف لوثر خدام الكنيسة القسوس ، بأنهم يحملون كهنوت الخدمة، ولكن ليس بمعنى أن لهم سلطة روحية أعلى من باقي المؤمنين، الذين لديهم وظائف اخرى، بل كونهم أناسا مفرزون للخدمة، متعمقون في دراسة الكتاب المقدس ويمارسون خدمة الوعظ والتعليم والقيادة.
بناء لهذا المفهوم، لم يقبل لوثر فكرة، أن يكون الكهنوت امتياز مخصص لجماعة مميزة، لها سلطة روحية ودور روحي مميز عن الباقين، بل قال لا يوجد تراتبية روحية بين المؤمنين بالمسيح، بل أن الجميع متساوون امام الله، يشتركون في كهنوت ملوكي واحد وعام، ولهم امتياز، التواصل المباشر والعلاقة المباشرة مع الله، من خلال صلواتهم وتضرعاتهم، دون الحاجة الى وساطة انسانية. لقد رغب المصلح جان كلفن، باستخدام لقب "كاهن" للمسيحي بشكل مستمر . قال "يجب ان تصبح كلمة "كاهن "شائعة الاستخدام، كما كلمة مسيحي.
ميّز لوثر بشكل واضح بين الاعلان الشخصي، والاعلان العلني لكلمة الله. قال، "يمكن للمؤمنين اعلان كلمة الله شخصيا وبشكل منفرد، عندما يقومون بالكرازة بها وايصالها الى أناس آخرين، وذلك في سياق التفاعل الشخصي. وهذا سلطان منحه الله لكل المؤمنين، لكونهم جميعًا كهنة أمام الله، أما الاعلان العلني، فهو أمر آخر، قال لوثر، "دعا الله أناسًا يفرزون عن العلمانيين، ويدرسون ويتخصّصون لمهمة الخدمة. هؤلاء هم القسوس، الذين يعظون بكلمة الله في الكنائس المحلية". كان لوثر حريصا على التشديد، أن هذا الفرز للخدمة، لا يجعل من القسوس، في مرتبة روحية أعلى من باقي المؤمنين، بل يبقون متساوين لهم، كما تعلّم عقيدة كهنوت جميع المؤمنين. قال لوثر، "ان الفرق بين القسوس والعلمانيين، هو في المهمة، وليس في الرتبة". آمن

لوثر، أن الايمان ليس شيئًا يزرع في النفس البشرية مرة واحدة والى الأبد، ومن ثم يترك لينمو بشكل طبيعي داخل الإنسان. لكن استمراره في الحياة يتطلّب متابعة وتنشئة روحية متواصلة. وهذا ما يفسّر الحاجة كبيرة لوجود أناس قادرين على القيام بهذه المهمة، الذين هم القسوس".

القس سهيل سعود

"عيد العهد"

"الله ملجأ لنا وقوة، عوناً في الضيقات وُجِد شديداً"

(مزمور ٤٦: ١)

من الأعياد التي كان يحتفل فيها الشعب اليهودي في العهد القديم، "عيد العهد"، إذ في خريف كل سنة، كان يجتمع الشعب الى هيكل أورشليم لتجديد العهد مع الله. في هذا العيد، كانت تُقام دراما دينية تنقسم الى قسمين: القسم الأول، هو عرض لعمل الله ورعايته لشعبه في التاريخ، ليتذكروا عظمة عمله لهم. فكانت تُعرض بشكل درامي الأحداث الأساسية في تاريخ تعامل الله مع شعبه، والتي أظهر فيها قدرته وعنايته فيه في الماضي، فيتذكّرون عمل الله من أجلهم، ويتّعظوا متّخذين من هذا التاريخ المجيد، قوة وثقة. وفي القسم الثاني من الدراما، يجدّد الشعب عهده مع الله بحفظ وصاياه وأحكامه، ويرفعون صلواتهم وطلباتهم له، كيما يكمّل عهده وتعامله وحضوره معهم في الحاضر والمستقبل. وهكذا، يحصلون بالصلاة ووعد الالتزام على قوة ويقين جديدا بحضور الله معهم. كانت مادة الدراما في عيد العهد، سفر المزامير لأنها تتضمّن الكثير عن تعاملات الله مع شعبه في الماضي. من هذه المزامير، المزمور السادس والأربعين، التي منحت كلماته قوة وثباتاً ويقينا للمصلم مارتن لوثر، في أصعب الأوقات التي تعرض فيها. فلحّن هذا المزمور، الذي أصبح ترنيمة ترنّم دائما، لا سيما في ذكرى الاصلاح الانجيلي، والتي هي: "الله ملجأ لنا، وقوة على الدوام".

تعبّر كلمات هذا المزمور عن يقين المرنّم الثابت بقوة الله وعنايته له في أوقات الضيقات. فايمانه بحضور الله معه ومرافقته له في أيامه الصعبة، هو ايمان راسخ. لا يقف أمامه أي أشخاص أو سلطات بشرية على الاطلاق. فالمرنم إتّخذ الله ملجأه الوحيد مهما عصفت عواصف الحياة وضيقاتها. فعندما يكون الله ملجأنا وقوتنا على الدوام، فإننا، كما يقول المرنّم، لا نخشى حتى لو تغيّر شكل الكرة الارضية. يقول، في العدد الثاني، "لذلك لا نخشى، حتى لو تزحزحت الارض، وانقلبت الجبال الى قلب البحار". يعبّر الرسول بولس عن نفس الموقف عندما سأل اعضاء كنيسة رومية، قائلاً: "من سيفصلنا عن محبة المسيح؟ أشدّة، أم ضيق، أم إضطهاد، أم جوع، أم عري، أم خطر، أم سيف؟ ثم أجاب: "فإني متيقّن، أنه لا موت، ولا حياة، ولا ملائكة، ولا رؤساء، ولا قوّات، ولا أمور

حاضرة، ولا مستقبلة، ولا علوّ، ولا عمق، ولا خليقة أخرى، تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع" (رومية٨: ٣٥-٣٩).

يطلعنا المرنّم (في الأعداد ٤-٧)، على قناعته الروحية الراسخة، بأنه عندما يحضر الله بحضور قوي في حياة أولادهم، فإنه سيمنحهم الثبات وعدم التزعزع، مهما اهتزّت أساسات الحياة. يقول "نهر سواقيه، تفرّح مدينة الله، مقدس مساكن العلي. الله في وسطها، فلن تتزعزع. يعينها الله عند إقبال الصبح. عجَّت الأمم. تزعزعت الممالك أعطى صوته، ذابت الأرض. رب الجنود معنا. ملجأنا اله يعقوب" (مزمور٤٦: ٤-٧).

وفي الأعداد الأخيرة (١١-٨) ، يعلن المرنّم إيمانه بسيادة الله. قال الواعظ الانجيلي الكلفيني العظيم سبرجون، "الايمان بسيادة الله، هي الوسادة التي يجب أن ينام عليها المؤمن، لنها تقدّم الراحة والأمان. آمن المرنّم، أن الله يسود على التاريخ والأحداث في حياتنا اليومية. ومن بان الله، هو إله قدير، قادر أن يُسكْن الحروب الى أقصى الأرض، وأن يكسر القوس، ويقطع الرمح، ويحرق المركبات النارية المحاربة. قال: "هلمّوا، وانظروا أعمال الله. كيف جعل خِرَبًا في الأرض. مُسْكِنُ الحروب الى أقصى الأرض. يكسر القوس، ويقطع الرمح. المركبات يحرقها بالنار" (مزمور٤٦: ٨-٩). لهذا، يدعو القادة والناس في كل مكان الى الكفّ عن الحروب والظلم وذبح الناس وسفك دمائهم، لأن الله يتعالى على الجميع. قال: "كفّوا. واعلموا أني أنا الله. أتعالى بين الأمم. أتعالى في الأرض. رب الجنود معنا. ملجأنا إله يعقوب" (مزمور٤٦: ١٠-١١)

جذبت هذه الكلمات المجيدة ، المصلح مارتن لوثر، فسكنت فيه، واتّخذها سندا له، عندما طلب منه مرّات عديدة التراجع عن اصلاحه وحرق كتبه. وكانت المرة الاخيرة عام ١٥٢١، عندما طلب: الامبراطور والبابا، التراجع. فاتّخذ موقفًا مفصليًا، لكي لا تطفأ شرارة الاصلاح التي اشتعلت، فأطلق موقفه الشهير في مجمع وارمس، قائلاً "هنا أقف، لن أتراجع، وضميري أسير كلمة الله. لأنه ليس جيدًا أن يعمل الإنسان ضد ما يمليه عليه ضميره. لن أتراجع فليعنّي الله". آمين.

القس سهيل سعود

"أسلحة الموت: القلق واليأس والشعور بالذنب"

المصلح مارتن لوثر

أطلق مارتن لوثر، على مشاعر القلق واليأس والشك والشعور بالذنب والخوف ، اسم "أسلحة الموت". كما أطلق عليها اسم شياطين. اختبر لوثر، أن تلك المشاعر تجعل الانسان يلامس الموت بقوتها السوداوية اذ تفرض نفسها على نفوسنا. قال: "أسلحة الموت هذه، تجعلنا فريسة للقلق والاضطراب، أكثر من أي عدو شخصي". لخّص المؤرخ جايمس كيتلسون، كاتب سيرة مارتن لوثر الشخصية، عمل لوثر ، بقوله، "إن مهمّة لوثر الأولى، كانت أن يريح ضمائر المؤمنين المضطربة. فاختباره مع اضطراب ضميره الشخصي الذي تعذّب في السياق الديني الذي عاش فيه، ساعده كي يحرّر الآخرين من هذا العذاب. قال لوثر، "خدمة الضمائر المضطربة هي خدمة الانجيل، لأن الانجيل هو المصدر الوحيد للتعزية وقت الاضطراب".

في كتابه "حياة مارتن لوثر واللاهوت"، يظهر الكاتب كارل ترومان، الارتباط الوثيق بين، المعتقدات الدينية وتأثيرها على صحة مارتن لوثر العقلية والنفسية، وذلك في مرحلة ما قبل تعرّفه على عقيدة التبرير بالايمان، ومرحلة ما بعد تعرفه عليها. عندما دخل لوثر الى الدير الأوغسطيني، عاش في السنين الأولى حالة عقلية ونفسية صعبة، تمظهرت من خلال القلق واليأس والخوف، والشعور بالذنب، والشكوك الكثيرة، بسبب نوعية التعليم والوعظ الذي كان رائجا في كنيسة القرون الوسطى. ترعرع في وسط، سلّط الضوء على رعب العذاب الابدي في جهنم. وصف الكاتب جون دولون، طبيعة الوعظ والتعليم في ذلك الزمان ، فقال "وعظ كهنة الكنيسة، كان مليئا بوصف الاشجار المحترقة التي علّق عليها الناس الذين لم يحضروا القداديس، والبحيرات التي تغلي مياهها لاستقبال الجاحدين، والأفاعي السامة التي تلسع غير المقدسين". فالنصوص الكتابية كانت تمزّق من سياقها الروحي والتاريخي ويشوّه معناها، ليقدم هذا النوع من التعاليم. في كتابه "بحث لوثر عن الشفاء"، أظهر الكاتب وليم جايمس، ان لوثر كان يحاول جاهدا ان يتحرر مما وصفه القديس يوحنا الصليب "ليلة النفس السوداء"، ليصل الى الشفاء. حاول لوثر في السنوات الاولى التي دخل فيها الدير أن يحسّن بل يشفي حالته العقلية والنفسية، من خلال الالتزام الكامل بقوانين الرهبنة الأوغسطنتية التي عرفت بصرامتها. قال ،"أعتقد أني كنت

راهبا جيدا. فاذا كان هناك من أحد يدخل السماء بالتزامه بقوانين الدير، كنت سأكون انا هو".
كان يصلي سبع مرات في اليوم في أوقات مختلفة. يصوم حتى مرحلة الموت، اذ كان يقضي ثلاثة أيام دون نقطة ماء أو قطعة طعام. يواظب على الاشتراك في أسرار الكنيسة. اختار أحد وعشرون قديسا ليصلي لثلاثة منهم كل يوم في الأسبوع. الاّ أنه رافقه شعور مستمر في الخطية، فكان يقضي حوالي ست ساعات في الاعتراف لصديقه الراهب الأب ستوبيز في وقت واحد. وقد حاول الراهب ان يهدىء من اضطراباته، بقوله له، "هذه الخطايا التي تعترف بها هي خطايا صغيرة وغير مهمة ...اذا كنت تتوقع من المسيح أن يغفر لك، اعترف له بخطايا تستحق الغفران مثل: التجديف، الزنى، السرقة ،وغيرها من الخطايا بدلا من تلك الخطايا الصغيرة. لكن بعد كل هذا، يعود لوثر ليؤكد، بأن كل ما قام به لم يحسّن من حالته النفسية والعقلية، ولم يشعر بسلام الضمير.
عندما اكتشف مارتن لوثر، عقيدة التبرير بالنعمة وحدها بواسطة الايمان وحده، تغيّر مفهومه عن الله، ومعها تغيّرت حالته النفسية والعقلية. اكتشافه هذا عن طبيعة من هو الله، حصل عليه، بعد دراسته المعمّقة للكتاب المقدس، في البرج حيث كان يقضي وقته في دراسة الكلمة.
وبالتحديد بعد فهمه لقول الرسول بولس في رسالته الى أهل روميه (١: ١٦ و ١٧)، "لأني لست أستحي بانجيل المسيح، لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن لليهودي أولا ثم لليوناني، لأن فيه معلن بر الله، بايمان لايمان، كما هو مكتوب "اما البار فبالايمان يحيا". تصارع لوثر مع عبارة بولس حول "برّ الله". قال لوثر، "هذه العبارة، أغضبتني وازعجتني وأرعبتني، وسببت لي الاضطراب، لأنها تصف طبيعة الله، كقاضي ديّان وحاكم بلا رحمة، يسعى للثأر ومحاكمة الشرير"، وأضاف، " لم احب ذلك الاله الذي يقاصص الخطاة بهذه الطريقة". هذه النظرة السلبية الى الله، قادته الى رثاء نفسه. الا أنه وبعد تأمله ثانية وبعمق لاهوتي كبير في نفس تلك العبارة ليعرف حقيقة قصد الرسول بولس في وصفه لطبيعة الله، تغيّر مفهومه عن الله، ليكتشف معنى جديد. أوصله الى الاستنتاج، بأن عبارة "بر الله"، ليست وصفا لغضب الله ، لكنها تصف: رحمة الله ونعمة الله وصلاح الله. أدرك لوثر أن "برّ الله" يتضمن غفرانه لخطايا، وخطايا كل الذين يتقدمون منه بالتوبة بالايمان وحده بواسطة النعمة وحدها. وعند توقف لوثر عند الجزء الثاني من الاية، "أما البار فبالايمان يحيا"، فهم، أنه اذا ما اردنا ان نعيش حياة البر، لنكون أبرارا أمام الله، علينا ان نعيش بالايمان. واذا ما كان برّ الله يساهم في خلاص الذين يؤمنون، هذا يعني أن الخلاص لا يستند

على استحقاقاتنا، وانما على رحمة ونعمة وصلاح الله.عندها أدرك لوثر أن التخلص من أسلحة الموت التي هي القلق واليأس والخوف والشعور بالذنب والشكوك، لا تحصل بجهود الانسان الشخصية ولا بالالتزامات الرهبانية، بل بالايمان وحده. ونيل برّ الله. فبرّ الله، ليس هو برّ شخصي، وليس هو مكافأة، ولكن هذا البر يأتي فقط من الله. قال لوثر "بعد ان توصلت الى معرفة حقيقة طبيعة من هو الله الذي أؤمن به، انتعشت روحي، لأنني أدركت أننا مبرّرون ببرّ الله، ومخلّصون بواسطة يسوع المسيح. فنفس تلك الكلمات، التي أرعبتني وسببّت لي الغضب والاضطراب والقلق واليأس والشعور بالذنب، اصبحت الكلمات المحببة الأكثر على قلبي وحياتي. فالروح القدس كشف لي عن معنى تلك الكلمات، عند دراسة كلمة الله في ذلك البرج". في كتابه "مارتن لوثر الشاب"، ذكر الكاتب اريك اريكسون، ان صراعات لوثر النفسية والفكرية وتساؤلاته الكثيرة كانت سبب شفاءه ، وفي نفس الوقت كانت سبب نجاحه كراعي ولاهوتي، ومصلح كبير.

يؤكد عدد من المحللين النفسيين، الذين درسوا كتابات واختبارات مارتن لوثر، أن هناك ارتباطا مباشرا بين طبيعة مفهوم الانسان عن الله، وحالته العقلية والنفسية. فايمان الانسان باله غاضب غير رحوم، يؤدي الى سوء الصحة العقلية والنفسية. بينما الايمان باله منعم ورحوم وغافر وصالح، يمنح الصحة العقلية والنفسية الجيدة للانسان المؤمن.

القس سهيل سعود

تعاطى كلفن بشكل كبير في المرحلة الثانية من حياته، مع المشكلات الاجتماعية والاقتصادية التي برزت أثناء رعايته لكنيسة جنيف، ووضع لاهوتًا عمليًا يحاكي احتياجات الناس. في العام ١٥٤٠، كانت تشهد المدينة تدفقا مستمرا لأعداد كبيرة من اللاجئين، إذ صار هناك ضغوطًا كبيرة على موارد جنيف المالية والاقتصادية والسكنية، الأمر الذي خلق حالة اجتماعية واقتصادية ضاغطة، مما أدى الى: ارتفاع في الأسعار، انخفاض في الرواتب، وبطالة. وبالتالي، زيادة كبيرة في أعداد الفقراء، من القاطنين والوافدين، فوضع استراتيجية، كتابية ولاهوتية وروحية، لمساعدة الناس ، وحمايتهم من الاستغلال، والحفاظ على كرامتهم. في التعليمات الكنسية ، التي أصدرها كلفن عام ١٥٤٨ ، وضع تفصيلات أساسية عرّف فيها دور الكنيسة في الخدمة الاجتماعية. تناول كلفن موضوعات تشدّد على انسانية الانسان، حسن الضيافة، نكران الذات، وخدمة الآخرين من الفقراء والمحتاجين. وبالرغم من أنه لم يكن مجرّد راعيًا للكنيسة، ولم يحصل أبدًا على موقع رسمي، إلّا أنه وللثقة التي وضعت فيه، صار يُستشار في كل قضية صغيرة وكبيرة، وحتى كان يُستشار في السياسات الخارجية والدبلوماسية والمسائل القانونية والتشريعات الاجتماعية والاقتصادية والمالية. تحوّل كلفن ليس فقط الى مصلح انجيلي، ولاهوتي مميز، واداري منظم لهيكلية الاصلاح في جنيف، وانما أيضا الى حاكم فعلي للمدينة، ومشرّع للكثير من القوانين والأنظمة التي ساعدت الناس الفقراء.

شكلّ كلفن في مدينة جنيف حيث كان راعيا، مجلسًا كنسيا خاصا ، مؤلفًا من ٩ قسوس منتخبين من من رعايا كنائسهم، و١٢ شيخا علمانيا، و٤ موظفين ، اتخذ الاجراءات التالية: تأسيس صندوق لدعم الفقراء. تحديد أسعار المواد الغذائية، لا سيّما الخبز واللحم، ومراقبة تنفيذها. تحديد ساعات العمل اليومية للعاملين . إعطاء رواتب عادلة. مراقبة الممارسات المالية غير الشرعية. و تأسيس شبكة أمان اجتماعي للفقراء إلى أية جنسية انتموا. اهتم المجلس الكنسي ليس فقط بسد الحاجات الضرورية للفقراء، وإنما بمساعدتهم على تأمين فرص عمل وإيجاد وظائف مفيدة للمجتمع، للتخفيف من أزمة البطالة المتكاثرة. وضع معظم مسؤوليات الخدمة الاجتماعية بإدارة شمامسة كنائس ، كما انخرط في خدمة الناس، رجال أعمال، ونبلاء ومثقفو جنيف، فاشتركوا مع نساءهم في الخدمة، حيث قاموا بجمع المساعدات وتوزيعها على الفقراء. كما أن كلفن بنفسه اشترك بجمع المساعدات من مالية وغيرها من سكان جنيف وقدّمها للفقراء. وعندما اصبح بعض الفقراء مكتفين ماليًا، اشتركوا هم أيضا في خدمة الناس المحتاجين. آمن كلفن

بأن على السلطات الكنسية والمدنية أن يعملا معًا، من أجل تشريع وتنفيذ السياسات الاجتماعية والاقتصادية، التي تساهم في الخير العام للناس، وتشد أواصر الأخوّة، والتضامن الاجتماعي . طالب كلفن القيادات الكنسية في جنيف، التعاون ودعم نظام الخير العام، الذي كانت تقدمه البلديات. أسس مستشفى خاص للاجئين، لتزويد الناس ليس فقط بالرعاية الطبية، ولكن أيضًا بالطعام والمسكن للأرامل والأيتام والمسنين. أسس مصنع لصناعة الثياب، وألحقه بالمستشفى . وقد أعطى تعليمات لإدارة المستشفيات ، بضرورة زيارة الأطباء لمرضاهم في الأحياء الفقيرة التي كانوا يسكنون فيها، لأن المحبة تتطلب منهم ذلك، كما كان يردد، ، مما ساهم في شعور الفقراء والمحتاجين بالأمان.

وفي العام ١٥٦٩، تبنّى مجلس مدينة جنيف تعليمات كلفن حول تنظيم الطب، والصيدلة، والعمليات الجراحية. ولأن كلفن آمن في أهمية التربية في تغيير أحوال الناس، أسّس مدارس للتعليم المجاني للاجئين وجعل التعليم إلزاميا للذكور والإناث. أما الذين تقدموا في السن، ولم يكن لديهم المؤهلات الكافية للحصول على فرصة عمل، فإنه أعاد تأهيلهم وتعليمهم ليحصلوا على الكفاءة ويصبحوا قادرين على إيجاد فرص عمل. وقد كان فخر المدينة، أنه لم يكن هناك متسوولون في ارجاءها، بالرغم من الضغوطات الاقتصادية والاجتماعية التي واجهتها. وبسبب اجراءات كلفن المتعددة في جنيف ، صارت تُعرف جنيف آنذاك في كل أوروبا ، بأنها المدينة الأكثر رحمة في التعامل مع الفقراء الذين وفدوا اليها. وعرفت جنيف بأنها المركز البروتستانتي الأكثر شهرة في أوروبا، إذ تحت قيادته صارت تسمى جنيف "روما البروتستانتية". اعتقد المؤرخ أوبرمان هايكو، بأن كلفن لم يكن فقط مصلحا لجنيف، ولكنه تجاوز جنيف ليصير مصلحا لكل حالة أوروبا المضطربة في زمنه.

بلادنا هي الآن على حافة انهيار اقتصادي مالي اجتماعي، وأكثر من نصف شعبنا أصبحوا على حافة الجوع. فكم تنقص كنائسنا ومؤسساتنا بشكل عام، والكنائس الانجيلية المصلحة بشكل خاص التي اتّخذت اسمها من المصلح جان كلفن هذ اللاهوت العملي الذي يحاكي احتياجات شعبنا في هذه الأيام العصيبة.

القس سهيل سعود

النظر الى الألم بمنظار أبدي

المصلح جان كلفن

قال المصلح جان كلفن: "بالرغم من أن الألم يزيل السعادة ويجلب الأوجاع والاضطراب والعذاب، إلّا ان العناية الالهية تساعدنا لتقبّله". اعتقد كلفن أنه مهما كانت آلام هذه الحياة متعدّدة ومريرة، ان كانت آلام الاضطهاد لأجل المسيح، أو آلام أخرى، الاّ أنه يبقى هناك نهاية سعيدة لآلام المسيحي، حتى لو أدّت الى الموت". اقتبس قول الرسول بولس، "حتى أننا نحن أنفسنا نفتخر بكم من أجل صبركم وايمانكم في جميع اضطهاداتكم، والضيقات التي تحتملونها بيّنة على قضاء الله العادل، أنكم تؤهّلون لملكوت الله الذي لأجله تتألمون أيضاً" (٢تسالونيكي١: ٤-٥). قال كلفن: "كلما كانت ضيقاتنا أكثر، كلما حثّتنا أكثر لأن نرفع رؤوسنا الى العلاء، الى أن يجمعنا الله في شركة مجده". في رسالته عام ١٥٥٩ الى السجناء الانجيليين في باريس "الهوغونوتس"، الذين سجنوا بسبب ايمانهم الانجيلي، وكانوا على طريق الاعدام، ذكر كلفن قائلاً: "لن تسوء حالتنا في موتنا، بل على العكس. فانه حتى لو كانت ارادة الله أن نختبر اقسى الآلام، فإنه سيحوّل آلامنا الى بركة وربح لنا". وأضاف: "يستغرب العقل الانساني، أن أولاد الله يصابون بالآلام والضيقات والذلّ، بينما الاشرار يتنعّمون بالراحة. والأكثر غرابة، أن خدّام الشيطان يدوسوننا تحت الأرجل، وينتصرون علينا. إلاّ أن عزاءنا أننا ننظر الى الرجاء الذي لنا في المسيح، ووعده أنه ليس فقط سيخلّصنا من آلامنا، وانما أيضاً سيمسح الدموع من عيوننا". كتب عام ١٥٤٩، رسالة الى صديقه المصلح بيتر فيرميغلي مارتيز، محدّثا اياه عن الاضطهاد الذي يتعرّض له الانجيليون في فرنسا، قائلاً: "يجب ان ننتظر بصبر وهدوء الذي سينتقم لنا، والذي سيأتي في الوقت المعيّن". وفي رسالة عام ١٥٥٥ شجّع الكنيسة المضطهدة في باريس، قائلاً: "صحيح، يبدو الوقت طويلاً، وسط هذه الضيقات والآلام القاسية التي يمرّ بها أولاد الله في فرنسا، إلاّ أننا عندما نرفع عيوننا الى السماء، وندرك ان مخلصنا يسوع قد أعدّ لنا فيها منازل فيها، ونتذوّق الفرح السماوي، فإن هذا الامر يعزّينا". كتب رسالة تعزية، الى اللورد الانجيلي الانكليزي جان غراي، الذي اضطهدته الملكة الدموية ماري تودور، بذبح عائلته بوحشية، قائلاً له: "يصدم الناس الأتقياء بضربات وآلام قاسية بسبب ضعف الجسد، لكن الله يسمح بتلك الآلام، لكي تضرم الفضائل

المسيحية التي أغدقها الله علينا". وأضاف، "يقسو الألم كثيرًا علينا، عندما لا ننظر اليه من منظار أبدي".

تكثر آلام الكثيرين في هذه الأيام من جرّاء الأوضاع الصحية والنفسية والاقتصادية والمالية والاجتماعية، لكن لكي لا تقسو علينا تلك الآلام وتحطّمنا رسالة جان كلفن لنا، هي أن ننظر الى آلامنا من منظار أبدي لأنه هناك نهاية سعيدة لآلام المسيحي، بحسب وعد المسيح الصادق.

القس سهيل سعود

"الحكّام والقانون، في فكر بعض المصلحين الانجيليين"

من المصلحين الذين كان لهم تأثيرا كبيرا، في المجال اللاهوتي والسياسي، المصلح الألماني هينريخ بولينغر، الذي قام بنقلة، لاهوتية وسياسية، نوعية، من موقف الطاعة غير المحدودة للحكّام، التي طبعت الفكر الانجيلي السياسي، لا سيما موقف المصلح جان كلفن، في النصف الاول من القرن السادس عشر، الى مرحلة جديدة، تكون فيها طاعة الحكّام والذين في سلطة، ضمن معطيات وشروط محدّدة، في النصف الثاني من القرن. فبعد اعتبار المصلحين الأساسيين، أن سلطة الحكّام هي بموجب حق الهي، كونهم يخدمون ويرعون حياة ومصالح الناس، من خلال مؤسسة الدولة، التي وصفت على أنها "أداة رحمة للناس"، واحدى "الوسائل الخلّاقة لحضور الله وعنايته بالبشر"، فقد تمثّل التغيير في نزع تلك الهالة الالهية عن الحكّام، واعتبار منصبهم، عمل وظيفي يخضع لسيادة القانون ولمبادىء الصواب والخطأ. في نقاشه لوصية "أكرم أباك وأمك"، في الوصايا العشرة. قال، "على الأمراء والحكّام أن يحكموا، كآباء لشعبهم ورعاة للناس، المؤتمنون عليهم،

الذين يستحقّون الإكرام. فالحاكم الجيّد، لا يختلف عن الأب الجيد". ميّز بولينغر، بين عمل الحاكم الوظيفي، الذي هو ترتيب الله الصالح من أجل خير البشر وسعادتهم، وشخص الحاكم. اعتقد أن عمل الحاكم الوظيفي، هو الدفاع عن الصالحين، ومعاقبة الأشرار. قال: "الحاكم، له سلطة على القانون، وهو سيّد القانون، وإنما ليس ليتصرف بناء لمزاجيته الشخصية، وانما ليطبّقه بعدالة وانصاف على الجميع بالتساوي". رأى أن الكتاب المقدس، لم يدعو الشعب الى طاعة الحكّام ، عندما تكون أوامرهم مخالفة لله وللخير العام. عندما سئل، اذا ما كان يعتبر الحاكم الشرير من الله، أجاب: "كلا، ليس من الله، لأن الله في طبيعته صالحًا وكل مقاصده صالحة، فهو يريد سلام شعبه وليس دمارهم". قال: "الحاكم الشرير، الذي لا يقوم بواجبه بشكل صحيح من أجل خير البشر، فإنه يهمل وظيفته، التي إئتمنه الله عليها. وبالتالي، فهو مسؤول شخصيا، عن إساءته الأمانة بأخطاءه المرتكبة.
وأضاف: "ينبغي علينا عدم الدفاع عن الحاكم الطاغي المستبد، وندّعي أنه من الله، لأن الطغيان ليس من الله، بل من إبليس. الطغيان هو نوعا شيطانيا من الحكم. وصل اعتقاد المصلح بولينغر، الى حد، أن الله في بعض الأوقات، يقيم أناسا لعزل الحكّام الطغاة.
رفض المصلح الاسكوتلندي، جان نوكس، فكرة التوريث السياسي. قال، " ليس الولادة أو الوراثة أو قربة الدم، هو فقط ما يمنح الحاكم، الحق في الحكم. لكن إذا ما لوحظ أن إختياره، لم يكن سليماً، وتبرهن أنه كان حاكمًا شريرًا، فإن نفس الناس الذين اختاروه، يمكنهم أن يقاصصوه ويعزلوه، لأن الخضوع للحكام له شروط ". أما المصلح لانكليزي جان بونيه، فقد اعتقد، أنه بعد أن زرع الله في ضمير الانسان، القانون الطبيعي، فقد جاءت الخطيّة ودنّسته. ثم أرسل الله شريعته، أي الوصايا العشر، التي لخّصها يسوع المسيح بوصيتين، هما: محبة الله ومحبة القريب. اعتقد بونيه، أن هاتين الوصيتين، هما حجر الأساس، لاقامة مجتمع صالح، ومساءلة كل إنسان، إن كان حاكمًا أو متسولاً، لأنه فيهما: نجد العدالة والانصاف، والطريقة الفضلى لخدمة الله والمجتمع. فالله في شريعته وترتيبه، أسّس السلطة السياسية، وأعطاها للبشر ليسنّوا القوانين العادلة، لأنه يرغب أن يعيش كل انسان بهدوء مع الآخر، كيما يخدم الجميع الله، في البر وقداسة الحق، كل أيامهم على الأرض. فلا أحد مستثنى من القانون، أو فوق القانون، والحكّام بالدرجة الأولى. فلا يستطيع حكّام هذا العالم، التلاعب بالقوانين، واساءة استخدامها كما يحلو لهم، دون أية قيود. لا يستطيعوا الإدّعاء، بأن لديهم السلطة المطلقة، لكسر القوانين، وممارسة القوة المطلقة لظلم الناس وقهرهم.

يأتي ذلك الموقف الانجيلي النبوي ، ليذكّر كل حكام بلدنا الحبيب لبنان، أنه لم يعد لديهم تلك الهالة الالهية. بل الأحرى بالجميع الامتثال لقوانين البلاد، والعمل لانقاذ ما تبقى من الوطن، في هذه الظروف العصيبة، التي نمرّ بها.

القس سهيل سعود

ترك المصلح مارتن بوتسر، بصمته على الاصلاح الانجيلي الأوروبي بشكل عام، والاصلاح الانكليزي بشكل خاص. صنّفه مؤرخون، في نفس مصاف المصلحين الانجيليين الكبار، أمثال: مارتن لوثر، أولترخ زوينكلي، وجان كلفن، وذلك لقوة فكره اللاهوتي، وأهمية أعماله.

يعتقد مؤرخون، ان المصلح جان كلفن، تأثّر بفكر المصلح مارتن بوتسر، الذي كان أكبر سنا منه. علّق المؤرّخ بوك، على المساهمة اللاهوتية للمصلحين الاثنين: مارتن بوتسر، وجان كلفن في انكلترا، بقوله: "ان ما فكّر فيه وخطّط له وأوصى به المصلح مارتن بوتسر، قد جعله المصلح جان كلفن، واقعًا ملموسًا".

القس سهيل سعود

"التمسّك بحريّة الضمير، المبدأ الذي اطلق حركة الاصلاح الانجيلي"

كتب "هانس رافورتي" عام ٢٠١٤ قائلاً: "حرية الضمير، هي المبدأ الجوهري للبروتستنتية. فدراسة كتابات المصلحين الانجيليين ومواقفهم، تظهر مساهماتهم الأساسية في ارساء الفلسفات: اللاهوتية، والفكرية، والانسانية، حول الحريات، ومنها: حرية الضمير، وحرية المعتقد، وحريات حقوق الانسان. ان اطلاق المصلح الانجيلي مارتن لوثر لموقفه الشهير، وعبارته التاريخية الصاعقة، "ضميري أسير لكلمة الله"، في مجمع "وارمس" عام ١٥٢١، عندما طلب منه الإمبراطور والسلطات الكنسية، تحت ضغوط التهديد والوعيد، أن يتراجع عن موقفه المصلح ويحرق كتاباته ويوقف أصلاحه. كما أن اعلانه الجريء: "إن لم أقتنع بكلمة الله في الكتاب المقدس، والعقل السليم، بأني على خطأ، لن أتراجع، لأن ضميري أسير لكلمة الله. وأن أسير ضد الضمير، ليس آمناً ولا صحيحاً. هنا أقف، لن أتراجع، فليساعدني الله"، فانه بموقفه هذا، وضع سلطة الضمير الأسير لكلمة الله، أعلى من أية سلطة كنسية أو مدنية أخرى. فبالنسبة للوثر، الضمير الحرّ الأسير لكلمة الله يجب أن يحكم في مواقف وتصرفات الإنسان المسيحي. فهو وحده يملك السلطان الأول للحكم في مواقف وحياة وتصرفات الإنسان المؤمن. عرّف لوثر، الضمير المسيحي، على أنه "الحقل السري، بل الحقل الاهوتي، الذي يتم فيه صراع كبير بين الانسان والله، فيخلّصه الله بالايمان، من الشريعة

الديانة وغضب الله وقوة التجارب التي تعصف في الضمير. وكلمة الله تعلن في الضمير". قال لوثر، "لا يحتمل الضمير سيدا زائلا، ولا يمكن أن يربك نفسه بمسائل إنسانية، فضمير المسيحي لا يعترف سوى بسلطة واحدة هي سلطة الله. آمن لوثر أن كلمة الله، تسمو وتعلو على كل قوى الإنسان الفكرية، وهي تملي عليه مواقفه الجريئة مهما كانت التهديدات ضاغطة.

اختبر مارتن لوثر، أن حرية الضمير، تنحدر من مبدأ "التبرير بالإيمان وحده". يقول لوثر، "عندما يقبل الله الإنسان الخاطىء ويبرّره بإيمانه وحده وليس بأعماله، فإنه يغفر خطاياه. ويمنحه حرية الضمير، وهذا الوعي للحرية، يحدث في الكيان الداخلي للضمير. فهذه الحرية لا تنبع من خارج الإنسان، لكن ن داخل الانسان من الايمان الذي يسكن الانسان. فحدث الايمان يحرّر النفس الانسانية من الخوف. وحرية الضمير المرتبطة بكلمة الله، ليست من صنع الإنسان ولا الكنيسة، بل عطية الله للإنسان المؤمن. وهكذا بهذه المبادىء والأفكار اللاهوتية، أنشأ لوثر ما يسمي بـ "مملكة الضمير"، المرتبطة بكلمة الله التي تمتلك السلطة في كل شيء. وأصبح للضمير المرتبط بكلمة الله، مكانة أساسية في فكر وكيان الاصلاح الإنجيلي.

أقامت المؤسسة الوطنية في فرنسا، في العام ١٨٠٣ مباراة أكاديمية حول موضوع، "ماذا كان تأثير اصلاح مارتن لوثر، على الحالة السياسية في الدول الأوروبية ؟". فربحت المباراة، شخص يدعى "شارل دا فيل"، اذ كتب في مقالته: "أن الفلسفة العقلانية التي برزت من الاصلاح الانجيلي، وانتشار أفكار حرية الضمير، وبعض المفاهيم المتعددة عن الحرية، أظهرت أن الاصلاح لم يكن مجرّد حركة دينية، ولكن ثورة فكرية وحضارية. فالاصلاح بدأ بمحاربة العبودية السياسية واللاهوتية والكنسية. الاصلاح، شجّع نمو الفكر الإنساني وتطبيقاته للمشاكل الاجتماعية. الاصلاح طوّر التفكير النقدي والوطني، وشجّع الاستخدام الحرّ للمنطق، مما أدى الى بروز الحرية، بتعابير دينية وسياسية. فهذه الأيديولوجيات الجديدة، هي التي ساهمت في تقدم العلوم والسياسة والاقتصاد والفلسفة. لأنه بمجرد أن تضع الحرية أقدامها، فقد أصبح من المستحيل إزالتها. وقد اختتم مقالته بالقول: "الاصلاح الانجيلي في جوهره، ليس إلا هذا الموقف، الذي أُعلِنَ فيه عن تحرير العقل من نير السلطات المتعدّدة. وبالتالي، فالاصلاح الانجيلي بدعوته الى الحرية، كان ضرورة طبيعية.

عندما برزت حركة حقوق الإنسان، بعد الحرب العالمية الثانية، فتّش مفكروا هيئة الأمم المتحدة، عن أساسات ومبادىء فلسفية وتاريخية، لتكون مستندات تاريخية وفكرية وفلسفية، لشرعة حقوق الإنسان العالمي. واحدى خياراتهم، وقعت على تاريخ الإصلاح الإنجيلي، والمصلح مارتن لوثر. فأثناء وضع وثيقة هيئة الأمم المتحدة في العام ١٩٤٧ ، قامت نخبة من المفكرين العالميين، الذين وضعوا الوثيقة، بتقديم التقدير والثناء، للمصلح مارتن لوثر. ومن ضمن المشاركين في لجنة وضع حقوق الإنسان، سفير لبنان للأمم المتحدة اللبناني، "شارل مالك" الذي تعلّم في المدرسة الانجيلية في طرابلس، وكان تلميذا للإصلاح. وقد صرّح قائلاً: "إن عقول وضمائر الناس هي الأقدس. وأهميتها لا تكمن في انتماءها الى هذه الطبقة أو تلك، أو ذلك الوطن أو الدين. فحتى الكنيسة الكاثوليكية، التي تدافع اليوم عن الحرية الدينية، قد بنت على الأسس التي وضعها المصلح لوثر". وقد بدى صدى لوثر ، في البند "١٨" ، من شرعة حقوق الإنسان العالمية ، اذ نصّت، "أن كل إنسان، له الحق في: حرية الفكر، والضمير، والمعتقد".

فأين نحن اليوم، من مبدأ حرية الضمير في كنائسنا الانجيلية اليوم؟؟؟

القس سهيل سعود

تزامن استقلال الأوطان مع حركة الاصلاح الانجيلي"

رافق حركة الاصلاح الانجيلي في القرن السادس عشر، والتي أطلقها المصلح مارتن لوثر استنادا الى الكتاب المقدس، تشديد لوثر على استقلال بلاده من التدخّل الخارجي. وقد تلاقت دعوته، مع احتجاج الكثير من الأمراء والشعب على نفس الموضوع، منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر. في العام ١٤٤٨، تمّ توقيع "معاهدة فيينا"، بين الامبراطور والبابا، التي أعادت سيطرة البابوية على المقاطعات الالمانية، وكرّست دفع الضرائب الى البابوية. اعتبرت هذه المعاهدة من قبل الأمراء الألمان، خيانة للمصالح الوطنية الالمانية، أوعلى الأقل، فشل الامبراطور في حماية المصالح الوطنية الألمانية. لهذا، نُظِرَ الى الامبراطور بأنه لا يعمل لمصلحة شعبه. وأثناء، قيادة لوثر حركة الاصلاح، قدّم عام ١٥٢٣، بعض الأمراء الالمان، الذي لا يرغبون في ترك الكنيسة الكاثوليكية الى الكنيسة في المقاطعات الالمانية ، لائحة مطالب، عرفت بـ"الغرافامينا". وهي لائحة من التحذيرات والشكايات والانتقادات، التي قدمها الامراء الالمان ، يعبّرون فيها عن استياءهم، من انتشار الفساد، وفرض البابوية ضرائب بلا رحمة عليهم. وقد رفعوا شعار "مال المانيا للكنائس الالمانية" وليس لروما. كما احتج الأمراء على وجود العديد من الكهنة من جنسيات مختلفة، كالفرنسيين والايطاليين، على ادارة مجالس مناقشة المسائل الدينية وغياب ملحوظ للكهنة الألمان. وقد تمت مساءلة الامبراطور من قبل لوثر والامراء الالمان، الذي استاؤوا من موقف الامبراطور وسماحه بكل ما يحدث، دون الأخذ على عاتقه، مسؤولية دعوة الامراء لمناقشة ما يحدث، والشروع باصلاح الفساد والممارسات الخاطئة. إلا أن مطالب "الغرافامينا" لم يؤخذ بها. من أهم مناصري مارتن لوثر الذي كان منتقدا كبيرا لأداء الكنيسة الكاثوليكية والامبراطور، "الأمير فريدريك السكسوني" الذي دافع عن مطالب مارتن لوثر الاصلاحية ، ليس لقناعاته اللاهوتية بها، بل بسبب مواقف لوثر السياسية والوطنية، اذ بالرغم من أن الأمير المذكور لم ينضم الى الاصلاح الانجيلي، ويصير من أتباع لوثر، الا أنه أمّن الحماية للوثر لكي لا يقتل، وهكذا ساهم في استمرار حركة الاصلاح الانجيلي. ان الجامع المشترك بين رسالة لوثر، والعوامل الثلاثة المذكورة، هو تشديدها على المواطنة واستقلالية المقاطعات الالمانية، لا سيما أن لوثر، استخدم في دعوته الى الاصلاح، خطابات وطنية وسياسية الى جانب الاصلاحات الروحية والعقائدية. وبالتالي، بطريقة غير

مباشرة، استخدم الهوية الوطنية، كوسيلة من وسائل الاصلاح الديني. ان هذه الانتقادات، ساهمت باضعاف مركزية وسلطة الامبراطورية الالمانية المقدسة، مما أدى لاحقًا الى انحلالها عام ١٨٠٦. فالجسم المسيحي القديم الذي كان مترامي الأطراف، والذي كانت تسود عليه الكنيسة الكاثوليكية، لم يعد قادرًا على البقاء على قيد الحياة، امام تلك التحديات الكبيرة.

أما المصلح الإنجيلي "أولترخ زوينكلي"، تظهر كتاباته، مدى حبه لوطنه وتعلقه بأرضه وشعبه ومدينته زوريخ، حيث أدخل اليها الاصلاح، ومن هناك انتقل الاصلاح الى الكونتونات المتكلمة باللغة السويسرية الألمانية ، مثل "برن" و "بازل" . تميّز زوينكلي، بعلاقاته الحميمية جدا مع قادة مدينة زوريخ، الذين بعدما اقتنعوا برسالته ووعظه، قرروا إدخال الاصلاح الى مدينة زوريخ، بطريقة عفوية وهادئة، دون ردات فعل عنيفة من السطات الكنسية والمدنية، كما حدث في الاصلاح اللوثري الألماني. هذا الموقف المدني من قبل حكام المدينة، قابله موقف وطني من زوينكلي، الذي عمل على وضع دستور وطني: ديني ومدني مختلط، الأمر الذي كان مميزا في حركة الاصلاح الانجيلي في سويسرا. فقد وضع زوينكلي الكنيسة المصلحة، تحت رعاية السلطة المدنية، ما عدا الأمور التي تتعلق بالعقيدة والعبادة، التي وجد انهما من المهام الرئيسية للكنيسة. آمن زوينكلي ان الوعظ بالانجيل وطاعة الانجيل تجعل الناس يدركون لمسؤولياتهم وواجباتهم تجاه دولتهم . كما آمن أن الوطنية الحقيقية، لا تتحقق الا بوجود الحرية الدينية، التي لا تفصل عن التقوى الحقيقية. من السمات التي عكست ولاء وانتماء زوينكلي للوطن، في الدستور الوطني، الديني المدني المختلط، تعهد رجال الدين (القسوس المصلحون) وحكام الوطن، حين يبدأون خدمتهم. فالقسوس يتعهدون بولائهم للدولة الوطن، الأمر الذي كان مطلبا ملزما، لتعيينهم في خدمة الكنائس. والحكام يتعهدون، بالدفاع عن الكنيسة المصلحة، بحياتهم وأموالهم . وبالتالي، فان الهوية الوطنية في سويسرا، ارتبطت بالهوية البروتستانتية.

لم يكن اختبار جان كلفن، في تأجيج مشاعر المواطنة لدى الشعب، كاختبار مارتن لوثر. فلوثر الألماني أطلق الاصلاح ، وحصل على احتضان الكثير من الأمراء والشعب لدعواته للاصلاح الديني والسياسي في المقاطعات الألمانية. وهكذا بقي في بلده. أما كلفن الفرنسي، فإنه اضطر للهروب من بلده الأم، بعد انضمامه للاصلاح، وذلك بسبب اضطهاد الملك الفرنسي، فرنسيس الاول، لمواطنيه الفرنسيين الانجيليين، مما اضطره للسكن في جنيف. إلا أن حنينه لوطنه الام كان

واضحًا. عندما وصل كلفن الى مدينة جنيف، كانت المدينة تناضل، لتحقيق استقلالها ضد سلطتين، كانتا تحاولان التحكم بها: سلطة أسقف "كونستانس"، و سلطة دوق "سافوي". وبالرغم من أن كلفن، لم يكن من سكان جنيف، ولم يحصل على الجنسية الجينيفية، إلّا في السنوات الثمانية الاخيرة من عمره، الا أنه شدد كثيرًا على أهمية الدولة وحاجة المجتمع القصوى اليها. هذا الشعور بالانتماء الى الدولة أو الوطن، ظهر لدى انجيليي، بلاد كلفن فرنسا الذين تبنوا معتقداته، والذين سموا ب"الهوغونتس". في عام ١٥٥٣، وصل أوائل الوعاظ الكلفينيون الى فرنسا. وعام ١٥٥٩ تأسس أول سينودس وطني ضمّ ٧٢ كنيسة. تحوّل عدد من العائلات الفرنسية الى الكلفينية، وأحد أسباب التحوّل، احساسهم بالانتماء الوطني، لأن الكاثوليكية، عنت آنذاك الارتباط ببلد غريب، هو روما. فكان احد أسباب الارتباط بالايمان الانجيلي الكلفيني، أنه يشير الى موقف وطني، بأن فرنسا مستقلة عن روما. في مقدمة كتابه الأساسي "مبادىء الايمان المسيحي"، الذي كتبه كلفن، استهل الكتاب، برسالة أرسلها الى ملك بلاده الملك الفرنسي مخاطبا اياه، وقائلا: " نحن لسنا مذهبيون. نحن لسنا متمردون. نحن مواطنون مخلصون ومطيعون. نحن نحب بلدنا. ونحن أوفياء لقادتنا".

القس سهيل سعود

هل كان لوثر يخطط للانفصال عن الكنيسة؟

.سؤال طُرِحَ في زمن الاصلاح الانجيلي في القرن السادس عشر ولا يزال يُطْرَح حتى اليوم. هل أراد مارتن لوثر عندما علّق بنوده الاصلاحية الـ ٩٥ على باب كنيسة جامعة ويتنبرغ ، أن يعلن عن تأسيس كنيسة جديدة؟ وهل أراد أن يترك كنيسة حياته الى كان فيها راهبًا ورُسِمَ فيها كاهنًا؟ ساد تقليد اجتماعي زمن الاصلاح أنه اذا ما أراد إنسان ما ، أن يعرض أفكاره أو يعلّقها كما فعل لوثر، فقد كانت تُفْهَم، على أنها دعوة للحوار والمناقشة اللاهوتية. وبالتالي، أراد لوثر من السلطات الكنسية، الدخول في حوار معه حول أرائه ووجهات نظره في بعض التعاليم والممارسات التي رآها لوثر خاطئة ، كيما يبدأ إصلاحًا من داخل الكنيسة الكاثوليكية .

لم يكتفِ لوثر بتعليق بنوده الاصلاحية، وإنما كتبها على رسالة وأرسلها الى رئيس أبرشيته ورئيس الأساقفة والكرسي البابوي في روما، داعيًا الجميع الى المناقشة والحوار من أجل خير الكنيسة. وبالتالي، هل من يقوم بكل هذه المحاولات كان يخطط للانفصال عن كنيسة روما وتأسيس كنيسة جديدة؟ لكن للأسف، لم يعطى أية فرصة للدفاع عن أرائه وأفكاره، بل كل مواقف وجهود السلطات الكنسية وعلى جميع المستويات، انصبت على محاولات إسكاته واخضاعه، والطلب منه التراجع والخضوع للسلطة الكنسية وإحراق كتبه والتخلّي عن آراءه ورؤيته للإصلاح في الكنيسة.إن ردات فعل السلطات الكنيسة آنذاك، عندما أرسل بنوده الاصلاحية، كانت:

-1إرسال رسالة الى رئيس الدير الذي عاش فيه لوثر لمدة ست سنوات، بالطلب منه الزام لوثر: إما الخضوع والتراجع، أو الطرد من الدير. لكن رئيس الدير لم يرد أن يقوم بذلك، فاستقال من رئاسة الدير.

-2الطلب الى لوثر الحضور الى روما في مدة ستين يومًا للإجابة عن اتهامات الهرطقة الموجهة إليه.

-3طلب البابا من الامبراطور الروماني المقدس، شارل الخامس، استدعاء لوثر لمحاكمته في مجمع وارمس وعندما حضر لوثر الى مدينة ورمس عام ١٥٢١. طلب منه الامبراطور، بحضور الأمراء والسلطات الكنسية، حرق كتبه والتراجع عن أقواله وايقاف إصلاحه. أجاب لوثر بحضور كل السلاطين الروحية والزمنية وبجرأة بالغة، قائلا: "إن لم أقتنع في الكتاب المقدس والعقل السليم، لماذا علي أن

أتراجع، فاني لن أقبل أن أتراجع. ضميري أسير لكلمة الله. هنا أقف. لن أتراجع. فليساعدني الله".
وبعد هذا التصريح التاريخي، صدر القرار البابوي باخراج لوثر خارج الكنيسة واعلانه هرطوقيا، وصدر القرار الامبراطوري باعتبار لوثر خارجًا عن القانون .

يعتبر المؤرخون، أن تأسيس كنيسة جديدة أو كنائس انجيلية جديدة. تمّت بعد اخراج لوثر من الكنيسة والقانون. فكل محاولات لوثر للسعي للحوار من أجل إصلاح الكنيسة من الداخل، قد فشلت. وضع لوثرأمام خيار واحد وحيد، لا بدّ منه، فرأى نفسه مرغمًا على الشروع بتأسيس كنيسة جديدة، يحقّق فيها رؤيته لإصلاح، لتشبه الكنيسة الأولى كنيسة الرسل الذي يتحدث عنها كتاب أعمال الرسل، تستند الى تعاليم الكتاب المقدس وحده، وإنما هذه الرؤية الروحية ستتحقق الآن خارج الكنيسة. يرى بعض المؤرخين أن خروج كلفن الى خارج الكنيسة، كانت عملية مؤلمة وتدريجية، لكن السلطات الكنسية لم تكن مستعدة للإصغاء لما لديه ليقوله. ولم تظهر أي استعداد لتغيير موقفها.

قام الباحث الكاثوليكي "مكسورولي" عام ١٩٧٠، بدراسة لاهوتية لكتابات ومواقف، مصلحو الاصلاح الانجيلي في القرن السادس عشر. فاستنتج بأن الاصلاح الانجيلي، تضمّن الكثير من العناصر الايجابية لتجديد الكنيسة. البعض منها تم تقديره وتبنيه من قبل الكنيسة الكاثوليكية في المجمع الفاتيكاني الثاني في القرن العشرين. الا أن الأمر المأساوي، هو أن المصلحين لم يستطيعوا تنفيذ برنامجهم الاصلاحي في الكنيسة، بل فصلوا عن الشركة الكاملة عنها، وذلك بسبب إهمال بعض البابوات والأساقفة إطعام قطيعهم من غذاء كلمة الله. لهذا، يحلو لبعض المؤرخين الكاثوليك، أن يطلقوا على لوثر لقب المصلح الكاثوليكي.

لم يكن لوثر المصلح الوحيد الذي عملت الكنيسة على إسكاته وعدم الاصغاء لما لديه. بل مرّ على الكنيسة، لا سيما ، بين القرن الثاني عشر والخامس عشر، على الأقل، أربعة مصلحين على الأقل، رفعوا مبادىء اصلاحية مشابهة لمبادىء الاصلاح الانجيلي، وحاولوا اصلاح الكنيسة من الداخل ، هم: المصلح بيتر والدس (١١٧٦-١١٤٠). المصلح جان ويكليف (١٣٨٤-١٣٢٧). المصلح جان هاس (١٣٧٣-١٤١٥). المصلح جيرولامو سافونرولا (١٤٩٨-١٤٥٣). لكن لم يُصغى لهم، بل تمّ إسكاتهم.

من المفكرين واللاهوتيين الكاثوليك الذين برزوا في زمن الاصلاح، وكان معاصرًا لمارتن لوثر، المفكر الكبير ايرسموس، الذي كان راهبًا وعالمًا للكتاب المقدس. عندما ذهب ايرسموس الى

أوروبا، تعرّف على العديد من العلماء وأتباع التيار الأنسنوي الذي يشدّد على البحث العلمي ودراسة اللغات القديمة والفلسفات اليونانية. وقد نهل الكثير من المعرفة والثقافة اللاهوتية والفلسفية، وطوّر نظريته حول المسيح. صار ينتقد الممارسات الخاطئة في الكنيسة، موجها انتقاده الى قادة الكنيسة الذين كانوا يتسابقون على المناصب والنفوذ والسلطة والقوة، قائلا، بموقفهم هذا، هم ينكرون المسيح. اعتقد إن قادة الكنيسة ضحّوا بواجباتهم الروحية، من أجل طمعهم وشهواتهم وهكذا أساؤوا الى المسيحية بتصرفاتهم. هاجم ايرسموس الكهنة الفاسدين، الذين جعلوا من العبادة الدينية مجرّد عادة روتينية. ومن العقائد المسيحية، عقائد معقّدة. حلم ايرسموس بعبادة بسيطة في الكنيسة. قال بأن على الأسرار الكنسية، والكتاب المقدس، أن يكونا الباب الذي يقود الى المسيح، لكن الكهنة قلّلوا من أهميتهما، بالتركيز الزائد على الطقوس. في أحد كتبه، إتهم البابا يوليوس بالفساد.قبل أن يصبح المصلح مارتن لوثر معروفًا، وعظ ايرسموس عن التعلّق الحقيقي بالمسيح، من خلال التعلّق بالكتاب المقدس. قام بترجمة العهد الجديد. وقد استند مارتن لوثر على نسخته، في ترجمة العهد الجديد من اللغة اليونانية الى لغة شعبه الألمانية. دعا العلمانيين ليقرأوا الكتاب المقدس. قال على كل مسيحي أن يدرس حياة المسيح في الأناجيل ليعرف معنى المسيحية. أُعْجِبَ مارتن لوثر بايرسموس وأفكاره الاصلاحية. وفي العام ١٥٣٠، إبتدأ الاثنان يتجادلان في موضوع وكيفية الاصلاح. قال ايرسموس للوثر: "محبّة السلام هي سمة أساسية للمسيحي". لكن لوثر أجاب: "لن تصلح الكنيسة بالسلام". وبعد الكثير من المجادلات، وجد لوثر أن ايرسموس، فضّل أن يحافظ على سلامه ومعتقداته لنفسه، بدلاً من أن يقوم بحركة تغيير اصلاحية كبيرة في الكنيسة. إن مواقف ايرسموس حول ضرورة الاصلاح والتغيير لم تتعدّى الكلمات والانتقادات، لكنّه لم يقم بأي موقف جاد للتغيير، مع أنه رغب فيه. لكن موقف المصلح مارتن لوثر، هو أنه، "من لا يريد أن يضّحي بسلامه، لن يُحْدِث أي تغيير، لا في الكنيسة ولا في خارجها."

الانجيليون وحب الوطن

"عيد الاستقلال"

.قال الفيلسوف الانكليزي، "فريدريك هيجل"، "الشعور بالانتماء الوطني، هو الاسمنت الذي يربط ويثبّت المجتمعات الحديثة ببعضها البعض". فبعد أن كانت الشعوب في العصور السابقة، تقدّم ولاءها، لأشكال متعددة من الحكم والحكومات التي كانت سائدة، كالولاء للملك أو رئيس السلطة الاقطاعية، أو رئيس مجموعة دينية معينة، فقد استبدلت هذه الولاءات للأفراد، بالولاء للدولة الوطن، أرض الأجداد، الذي تحكمه قوانين ودساتير مشتركة. وهكذا لم يعد الوطن، دولة الملوك والأمراء والاقطاعيين، بل دولة الشعب. ومع أن العناصر المكونة للمواطنة أو الوطنية، لم تكن جديدة في التاريخ والتي أهمها: الانتماء، والحضارة المشتركة ،واللغة، وغيرها، التي رافقت الناس عبر التاريخ. إلا أنه تمّت هيكلة وتبويب هذه العناصر، لتصبح المكونات الرئيسية للوطنية الحديثة .

في مقالتها "المواطنة، الحداثة، والاصلاح البروتستانتي" ، للكاتبة السياسية "مارج أندرسون" عام ٢٠٠٨، تذكر الكاتبة ،أن الاصلاح البروتستانتي الذي انطلق في بداية القرن السادس عشر، ساهم في نمو الشعور بالوطنية والمواطنة. ففي كل دولة، دخلها الاصلاح، تأججت المشاعر الوطنية، إذ رفض البروتستانت التدخل الأجنبي في الحياة والممارسات في وطنهم. وحيث انتشر الانجيليون، تأسست كنائس وطنية، وقد كانت نظرتهم للمواطنة نظرة حديثة، تشبه نظرة اليوم."

بالرغم من أنه لا يستطيع أحد أن يشكك في دوافع المصلح الألماني مارتن لوثر الحقيقية للاصلاح، بأنها كانت دوافع: روحية،لاهوتية، وكتابية، إلا أنه لا يستطيع أحد أن ينكر أيضا، أنه رافق مبادئه الروحية، رسائل وطنية وسياسية مختلفة. من أهم هذه الرسائل، رسالته الشهيرة عام ١٥٣٠، "إلى النبلاء المسيحيين في الوطن الألماني"، التي دعا فيها الأمراء الألمان الى تبنّي الاصلاح الانجيلي والعمل على ادخاله في مناطق حكمهم ونفوذهم. كما دعا في رسالته الأمراء الألمان الى اتخاذ عدة تدابير واجراءات، تحافظ على مصالح مقاطعاتهم، التي كانت بمثابة أوطانهم، منها: ١- إيقاف دفع الضرائب لروما. ٢-رفض أن يكون ولاء الأساقفة الألمان إلى البابا، الذي يعيش في بلد غير بلدهم، داعيا اياهم أن يكون ولاءهم لوطنهم. ٣-عدم تقديم الأساقفة نذورهم أمام البابا في

بلاد ليست بلادهم. ٤-عدم رسامة الأساقفة من قبل البابا في روما، مبرراً ذلك بأن الأسقف في نظام المجلس النيقاوي التاريخي، كان يرسم من قبل أسقفين قريبين من المنطقة الجغرافية التي يرعاها الأسقف المنوي رسامته. ٥-عدم أخذ موافقات من الخارج من روما. وغيرها من الأمور الأخرى التي تشدد على أن تكون القرارات قرارات داخلية وطنية.

أما المصلح االسويسري، أولترخ زوينكلي، فقد عرف بعلاقاته الحميمية جدا مع قادة مدينة زوريخ، الذين بعدما اقتنعوا برسالته ووعظه، قرروا إدخال الاصلاح الى المدينة بطريقة عفوية وهادئة. هذا الموقف الايجابي من قبل حكام مدينة زوريخ، قابله موقف وطني من زوينكلي، الذي عمل على وضع دستور وطني: ديني ومدني مختلط، الأمر الذي كان مميزا في حركة الاصلاح الانجيلي في سويسرا. آمن زوينكلي ان الوعظ بالانجيل وطاعة الانجيل تجعل الناس يدركون لمسؤولياتهم وواجباتهم تجاه وطنهم. كما آمن أن الوطنية الحقيقية، لا تتحقق الا بوجود الحرية الدينية، التي لا تنفصل عن التقوى الحقيقية. من السمات التي عكست ولاء وانتماء زوينكلي للوطن، في الدستور الوطني، تعهد رجال الدين بولائهم للدولة الوطن، الأمر الذي كان مطلبا ملزما، لتعيينهم في خدمة الكنائس.

أما المصلح الفرنسي جان كلفن فقد ظهرت وطنيته جلية ،في مقدمة كتابه "أسس الدين المسيحي"، الذي كتبه ، اذ استهله برسالة أرسلها الى ملك وطنه الفرنسي مخاطبا اياه وقائلا، " نحن لسنا مذهبيون. نحن لسنا متمردون. نحن مواطنون مخلصون ومطيعون. نحن نحب بلدنا. ونحن أوفياء لقادتنا". كما ذكر في كتابه قائلا: "إذا ما أزيلت عطية الحاكم والوطن الثمينتين، للبشر، عندها علينا أن نعيش ك "جرذان في القش". أيضا أضاف "لا يجب أن يشك أحد، بأن الوطن هو عطية من الله. بل هو دعوة منه ليست فقط، مقدسة وشرعية، وإنما دعوة الأكثر قداسة وشرفاً، في الحياة الانسانية". وقد اعتقد كلفن أنه ،احدى المهام الاساسية للكنيسة ،اعداد مواطنين صالحين، لمساعدة الدولة في مهامها .

يذكر أحد المؤرخين، أنه قبل زمن الاصلاح، فان احدى الاهتمامات الرئيسية، لحكام المقاطعات ، كانت جمع الضرائب من الناس، والتشديد على قدرات الناس للعمل. أما بعد الاصلاح الانجيلي، فقد أصبح من صلب اهتمام الحكام، حضارة الوطن وثقافة مواطنيهم .

بمناسبة عيد الاستقلال ، نتقدم بجميع المواطنين، باحر التهاني القلبية، راجين ان يحفظ الله

لنا أوطاننا تحت ستر جناحيه.

محاولة المفكر الكاثوليكي العظيم ايرسموس، اصلاح الكنيسة في زمن مارتن لوثر

من المفكرين واللاهوتيين الكاثوليك الذين برزوا في زمن الاصلاح وكان معاصراً لمارتن لوثر، المفكر ديسيدريوس ايرسموس (١٥٣٦-١٤٦٦)، الذي كان عالمًا في الكتاب المقدس. أعدّ طبعة جديدة للعهد الجديد من الكتاب المقدس، باللغة اليونانية. واقد استند مارتن لوثر عليها بشكل كبير في ترجمته للعهد الجديد الى لغة شعبه الألمانية. عندما ذهب ايرسموس الى أوروبا، تعرّف على العديد من العلماء وأتباع التيار الأنسنوي الذي يشدّد على البحث العلمي ودراسة الفلسفات القوية واللغات. طوّر نظريته حول المسيح. انتقد الممارسات الخاطئة في الكنيسة وقاد حركة لاصلاح الكنيسة. انتقد هذا اللاهوتي الكاثوليكي قادة الكنيسة آنذاك الذين كانوا يتسابقون الى المزيد من السلطة والقوة. وقال أنه بموقفهم هذا ينكرون المسيح. في أحد كتبه إتهم البابا يوليوس بالفساد. قال إن قادة الكنيسة ضحّوا بواجباتهم الروحية من أجل طمعهم وشهواتهم وهكذا أساؤوا الى المسيحية بتصرفاتهم. هاجم ايرسموس الكهنة الفاسدين الذين جعلوا من العبادة الدينية مجرّد عادة، وجعلوا العقائد المسيحية معقّدة. قال بأن على الأسرار والأناجيل أن تكون باباً الى المسيح، لكن الكهنة قلّلوا من أهميتها بالتركيز الزائد على الطقوس. حلم ذلك اللاهوتي الكاثوليكي العظيم ايرسموس الذي عاصر مارتن لوثر بعبادة بسيطة في الكنيسة. وقبل أن يصبح لوثر معروفًا، وعظ ايرسموس عن التعلّق الحقيقي بالمسيح من خلال التعلّق بالكتاب المقدس. وقال على كل مسيحي أن يدرس حياة المسيح في الأناجيل ليعرف معنى المسيحية. أُعْجِبَ لوثر بايرسموس واستخدم بعض تعاليمه. وفي العام ١٥٢٠، إبتدأ الاثنان يتجادلان في موضوع الاصلاح. ايرسموس لم يترك الكنيسة لأنه لم يرد أن يضّحي بمعتقداته لإجراء تغيير في بعض العقائد والممارسات. وقد رأى لوثر أن ايرسموس فضّل أن يحافظ على سلامة معتقداته لنفسه بدلاً من أن يقوم بحركة تغيير ثورية في الكنيسة، لأنه من لا يريد أن يضّحي بسلامه، لن يُحْدِث أي تغيير لا في الكنيسة ولا في خارجها. ايرسموس قال للوثر: "محبّة السلام هو موقف أساسي للمسيحي". لكن لوثر أجاب: "لن تصلح الكنيسة بالسلام". إن مواقف ايرسموس للكنيسة لم تتعدّى الكلمات والانتقادات. لكنّه لم يقم بأي موقف جاد لوقف الفساد مع أنه رغب في التغيير في داخل الكنيسة. وبقي في الكنيسة، ولم يرد أن يشارك لوثر في قيادة حركة

اصلاحية مغيّرة.

لم يرد مارتن لوثر عندما علّق بنوده الاصلاحية الـ ٩٥ على باب كنيسة جامعة ويتنبرغ أن يعلن عن تأسيس كنيسة جديدة؟ ويترك كنيسة حياته التي كان فيها راهبًا ورُسِمَ فيها كاهنًا؟ إن عادة طرح إنسان ما لأفكاره أو تعليقها كما فعل لوثر كانت تُفْهَم على أنها دعوة للحوار والمناقشة اللاهوتية. وبالتالي، أراد لوثر من مسؤولي الطنيسة الكاثوليكية آنذاك، الدخول في حوار معهم حول أرائه في بعض التعاليم والممارسات التي رآها لوثر في الكنيسة كيما يبدأ إصلاحًا من داخل الكنيسة. ولم يكتفِ لوثر بتعليق بنوده الاصلاحية وإنما أرسل لنوده هذه الى رئيس أبرشيته ورئيس الأساقفة والكرسي البابوي في روما، داعيًا الجميع الى الحوار من أجل خير الكنيسة. هل من يرسل هذه الدعوات كلّها للمناقشة والحوار كان يخطط للانفصال عن كنيسة روما وتأسيس كنيسة جديدة؟ لكن لوثر، لم يعطى أي فرصة للدفاع عن أرائه وأفكاره. بل كل مواقف مسؤولي الكنيسة آنذاك كانت إسكاته والطلب منه التراجع والخضوع وإحراق كتبه والتخلّي عن آراءه ورؤيته للإصلاح في الكنيسة. إن ردات فعل مسؤولو الكنيسة آنذاك كانت:

-1إرسال رسالة الى رئيس الدير الذي كان فيه بالطلب منه الزام لوثر إما الخضوع لتصليحات الكنيسة والتراجع أو الصرف من الدير

-2الطلب الى لوثر الحضور الى روما في مدة ستين يومًا للإجابة عن اتهامات الهرطقة الموجهة إليه

-3طلب البابا من الامبراطور الروماني المقدس استدعاء لوثر لمحاكمته في مجمع وارمس وعندما حضر لوثر الى مدينة ورمس عام ١٥٢١ وطلب منه الامبراطور بحضور الأمراء والسلاطين والسلطة الكنسية حرق كتبه والتراجع عن أقواله وإصلاحه، أجاب بجرأة بالغة: "إن لم أقتنع في الكتاب المقدس والعقل السليم لن أقبل أن أتراجع. فضميري أسير لكلمة الله. هنا أقف لن أتراجع، فليساعدني الله". وبعد هذا التصريح الجريء صدر القرار البابوي باخراجه خارج الكنيسة والقرار الامبراطوري باعتباره خارجًا عن القانون .

يعتبر المؤرخون الموقف السلبي من لوثر بداية الاصلام الانجيلي. وموقف لوثر بمثابة الاعلان عن تأسيس

كنيسة جديدة هي الكنيسة أو الكنائس الانجيلية. فلوثر الذي بذل جهوده للحوار من أجل إصلام الكنيسة من الداخل، وضع أمام خيار واحد وحيد لا بدّ منه. فرأى نفسه مرغمًا على البدء بتأسيس

كنيسة جديدة يحقّق فيها رؤيته لإصلاح وإنما الآن خارج الكنيسة. إن خروج كلفن خارج الكنيسة كانت عملية مؤلمة وتدريجية، لا سيّما عندما أدرك أن الكنيسة آنذاك وضعت سلطتها وتقاليدها فوق الكتاب المقدس ولم تكن مستعدة لإصغاء لما لديه ليقوله. وبالتالي، لم تكن الكنيسة مستعدة آنذاك لتغيير موقفها.

استنتج الباحث الكاثوليكي "ماري مكسورولي" الذي قام بدراسة لاهوتية لمواقف لوثر عام ١٩٧٠، بأن الاصلاح الانجيلي تضمّن الكثير من العناصر الايجابية لتجديد الكنيسة. البعض منها تم تقديره وتبنيه من قبل الكنيسة الكاثوليكية في المجمع الفاتيكاني الثاني. الأمر المأساوي، هو أن المصلحين لم يستطيعوا تنفيذ برنامجهم الاصلاحي في الكنيسة، بل فصلوا عن الشركة الكاملة معها، وذلك بسبب إهمال بعض البابوات والأساقفة إطعام قطيعهم من غذاء كلمة الله.

القس سهيل سعود

الحلم الذي أنقذ إصلاح مارتن لوثر

. بدأ المصلح مارتن لوثر إصلاحه، بعد أن تأثّر كثيرًا بعمل مصلح كان قد سبقه هو يان هاس، الذي عاش بين ١٣٦٩–١٤١٥ في هوسينك في بوهيميا – تشيكوسلوفاكيا. أخذ يان هاس اسمه من بلدته هوسينك، وكلمة "هاس" تعني باللغة البوهيمية "بطّة". عندما بلغ العشرينات من عمره، قرأ يان هس، أعمال مصلح آخر كان أيضا قد سبقه، هو جان ويكليف، الذي حاول بدء الإصلاح في انكلترا قبله، فتأثر فيه. وهكذا قرّر إصلاح الكنيسة في بوهيميا. فدرس، ورُسِمَ كاهناً، وخدم كنيسة بيت لحم في بوهيميا عام ١٤٠٢. ثم بدأ بنشر أفكاره الاصلاحية. وبعد أن لاحظ وجود أخطاء في التعليم والممارسات في الكنيسة، كتب ستة بنود، أسماها "ستة أخطاء"، وعلّقها على باب كنيسة بيت لحم. منها، رفض الاقرار، أن البابا هو ممثّل الله على الأرض، وعليه رفض تقديم الطاعة الكاملة له، داعيا المؤمنين الى طاعة الله وحده. صار يان هاس يعظ عن ضرورة العودة الى الكتاب المقدس والتوبة، ويكتب كتبا عن ضرورة الاصلاح. وقد لقيت مواعظه إقبالاً شديداً، فصار يعرف أتباعه بالهسيين، أي أتباع هاس. وعندما أمرت السلطات الكنسية ببيع صكوك الغفران في براك، دان هاس هذه الممارسة. وقد كانت ردة فعل السلطات الكنيسة احراق بعض كتبه، ووقف تعاليمه والقبض عليه. فهرب من بلاده. وفي المنفى كتب أهم كتبه، التي أعلن فيها أن الكنيسة مؤسسة على شخص يسوع المسيح وليس على شخص بطرس. على أثر ذلك، حرم من شركة الكنيسة عام ١٤١٣. وعندما أُلقِيَ القبض عليه، طُلِبَ منه انكار كتاباته، فأجاب أنا مستعدّ لإنكارها، إذا ما أثبتّم خطأها إستناداً الى الكتاب المقدس. وقدّم إجابات مذهلة عن أسئلة وُجِّهَتْ إليه، وأُعطِيَ فرصًا عديدة للتراجع عن كتاباته، إلاّ أنه رفض، متمسكا بالحقيقة التي وجدها في الكتاب المقدس. وعليه، حُكِمَ بالهرطقة وبالحرق على خشبة. عندما أُشعِلَت النار لحرقه، عام ١٤١٥، قال قولا نبويا، اعتبر بمثابة نبوّة عن اصلاح مارتن لوثر بعده، بحوالي قرن. هناك عدة روايات لهذه النبوّة، أهمها، عندما قال الجلادون له وهم يشعلون النار: "سوف نطهو الان هذه البطة أي "هاس". أجاب: "نعم، لكن سوف يأتي بعدي طير البجع. الذي لن تستطيعوا، أن تطهوه أو تشووه أو تنالوا منه ".

كما أشرت سابقا، يذكر بعض المؤرخين أن قول يان هاس، هو نبوءة عن المصلح مارتن لوثر الذي تأثر كثيرًا به، وقلّد أسلوبه في وضع، ليس ستة بنود أخطاء على باب كنيسة بيت لحم، وإنما ٩٥ بندًا على باب كنيسة جامعة ويتنبرغ، وذلك بعد مئة وسنتين، في العام ١٥١٧.

أوجز أحد المؤرخين، تأثّر المصلح مارتن لوثر، بالمصلح يان هاس، بقوله ما يلي، "عندما كان لوثر راهبًا، وبينما كان يطّلع على ما كانت تحتوي مكتبة الدير من كتب، وقع نظره على مجلّد يتضمّن عظات يان هاس، الذي حُكِمَ عليه بأنه هرطوقي. قال لوثر: "لقد انذهلت بمواعظ هاس. لم أستطع أن أفهم، لماذا يحرق هكذا شخص عظيم، الذي فسّر الكتاب المقدس بهذه المهارة والوضوح".

ولتكلمة القصة غير المعروفة كثيرًا، فإنه في صباح ٣١ تشرين الأول من العام ١٥١٧، أي في نفس يوم تعليق لوثر بنوده الإصلاحية، فإن الأمير فريدريك السكسوني، الذي كان الى جانب لوثر وقدم له الحماية، بعد أن كانت قد حكمت عليه السلطات الكنسية بالهرطقة، والحرمان من الكنيسة. والسلطات المدنية باعتباره خارجا عن القانون في العام ١٥٢١. فان فريديريك أنقذه من الموت، وأخذه الى "وارتبرك" ليكون بعيدا عن الانظار، وبقي متنكرا لحوالي سنة، ترجم فيها الكتاب المقدس الى لغة شعبه الألمانية. وهكذا أكمل الاصلاح الذي بدأه.

وللعودة الى الأمير فريدريك، تذكر مراجع، أن الأمير حلم حلمًا وأخبره الى أخيه قائلا، "حلمت أن الله القدير أرسل لي راهب، الذي كان إبنًا حقيقيًا للرسول بولس. وقد رافقه كل القديسين بتعليمات من الله، كيما يشهد أمامه ويعلن بأنه لم يأتِ ليقوم بمؤامرة ما، بل أن كل ما يقوم به هو بناء لإرادة الله. وقد طلب مني أن أسمح له، أن يكتب شيئًا على باب كنيسة جامعة ويتنبرغ. وكان قلمه طويلاً جدًا، حتى بلغ روما. واخترق أذني أسد كان يربض هناك فاهتزّ التاج الموضوع على رأس البابا. فأسرع الكرادلة والأمراء الى البابا، محاولين ألاّ يقع التاج عن رأسه. وقد رغبنا، أنا وأنت يا أخي، أن نساعد أيضًا في ذلك. ومددت يدي نحو التاج. عندها صحوت ووجدت يدي ممتدة في الهواء. وكنت مغتاظًا من الراهب لأنه لم يستطع التحكّم بقلمه. وبعدها عدت الى نفسي وأدركت أنه مجرد حلم. لكن ما أن عدت الى النوم، حتى عاد الحلم ثانية. فالأسد الذي إنزعج من القلم الذي اخترق أذنه، أصبح يزأر بكل قوته، حتى أسرعت كل مدينة روما لترى ماذا يحدث. فطلب البابا مني مقاومة ذلك الراهب، كونه كان ضمن حدود مملكتي. ثمّ بعدها ركض كل أمراء الإمبراطورية، وأنا منهم الى روما. وحاولنا أن نكسر ذلك القلم. ولكن كلّما حاولنا أكثر، كلّما إشتدّت قوة القلم أكثر فأكثر،

وكأنه مصنوع من حديد. ثم سألت الراهب، من أين أتيت بهذا القلم؟ ولماذا هو بهذه القوة؟ فأجاب القلم، أنا أنتمي الى سلالة تلك البطة القديمة في بوهيميا، وعمري مئة سنة. وقوتي تستمد، من قوة مضمونه، الأمر الذي يذهلني أنا أيضاً". وفجأة، سمعت ضجة قوية. اذ أن عددا كبيرا من الأقلام خرجت من قلم ذلك الراهب. وعندما استيقظت، كانت الشمس قد أشرقت".

إن ذلك الحلم، الذي حلمه الأمير فريدريك السكسوني، في الليلة التي سبقت، تعليق الـ ٩٥ بنداً، لم يفهمه الأمير آنذاك لكنه أصبح واضحاً لاحقا. فقلم يان هس، يشير الى الحقائق المقدسة التي كتبها هاس في كتاباته، والتي قرأها لوثر، وتأثر بها واتبع أسلوبه في تنفيذ برنامج الاصلاح الانجيلي في القرن السادس عشر. يبدو أن هذا الحلم، أثّر كثيراً على الأمير، مما دفعه الى تأمين الحماية، للمصلح مارتن لوثر، من السلطات الكنسية والزمنية، التي كانت تطارده. وهكذا بفضل عناية الله وحماية الأمير، فان "بطة بوهيميا" يان هس، الذي تنبأ لجلاديه، منذ أكثر من ١٠٠ سنة، جعلت من لوثر، طير البجع، الذي لم تتمكن السلطات من طهيه وشوائه.

القس سهيل سعود

.

حيرة العقل أمام الصليب

المصلح مارتن لوثر

قال المصلح مارتن لوثر، " أعلن الله عن نفسه في طريقة غير متوقّعة، هي الصليب. وفي مكان غير متوقّع، هو الجلجثة. لكن الأمر الغريب جداً حول هذا الاعلان الالهي، أنه ليست الطريقة ولا المكان الذي نتوقّع أن نجد فيه الله القدير". من الآيات التي توقّف عندها، "حقًا أنت إله محتجب، يا إله إسرائيل المخلّص" (إشعياء٤٥: ١٥). قال لوثر، "الله، غير المرئي، مغلّف بظاهرة الصليب الخفية على العقل". آمن أن الجلجثة، هي موقع تجلّي الله المحجوب وسرّ الحقيقة النهائية. قال، "لا نجد السمو الالهي في الأعلى في السماء، وانما في الأسفل في خزي الصليب. ولا يبدأ الايمان المسيحي من أعلى القمة، لكن من أسفل القعر. فلا أحد يستطيع تجاوز الصليب، ليكتشف الله المجرّد. فالاعتراف بالسمو الالهي في الصليب، يختلف عمّا قد يكون صحيحاً حول الله في الفلسفة. اعتقد لوثر أن الله الحقيقي، يظهر محجوباً في ما يبدو معاكسا له ولحقيقته. لهذا، يقف العقل مرتبكًا أمام الصليب، كيما يتبرّر الانسان بالايمان وحده وليس بالعقل".

آمن لوثر، أن الله لم يحتجب فقط في الصليب وفي ضعف ابنه المصلوب، لكنه احتجب أيضاً خارج اعلانه عن نفسه في المسيح. وهذا الاحتجاب الثاني، هو الذي يدفعنا لطرح الكثير من الأسئلة التي لا نفهمها في هذه الحياة، لا سيما الأسئلة حول الآلام والأمراض والظلم والموت، وغيرها من الأسئلة الشائكة التي نرى فيها الله محتجب عنّا، ولم نعطَ سرّ إدراكها وفهمها". قال لوثر، "في الاحتجاب الثاني، لا نرى الله في كلمته الموحى بها، وإنما ما وراء كلمته. هذا الاحتجاب، يشكّل الإشكالية الكبرى للبشر في فهمهم طرق الله والطريقة التي يحكم فيها الكون. وقف في حيرة، قائلا: " إذا ما كان الإله المحتجب خارج كلمته هو إله حقيقي وحرّ ومجهول لنا، فإنه يبدو وكأنه إله آخر مختلف عن الإله الذي أعلن عن نفسه في الصليب. فالله المحتجب في الصليب هو إله رحوم منعم يدعو الجميع الى معرفته واختبار خلاصه في ابنه المصلوب. يبدو لنا أن هناك نوعاً من عدم الانسجام بين الله المحتجب في الصليب المعلن في الكتاب المقدس، والله المحتجب خارج الكتاب المقدس. فالله المتجسد في يسوع المسيح، يبكي ويحزن بسبب هلاك غير المؤمنين. بينما الله المحتجب خارج

الكتاب المقدس، يسمح بحدوث هذا. الله المتجسد في يسوع المسيح، يفتّش عن الضال، بينما الله المحتجب يسمح بضلاله". ثم يسأل لوثر: "هل احتجاب الله في الصليب، هو قناع يحجب الله الحقيقي المحتجب خارج الصليب، أم بالعكس؟

يدين لوثر مساءلة مقاصد الله الخفية عن ادراكنا، ويعتبر أن البقاء في المساءلة يتحوّل الى شكل من أشكال الوثنية. آمن، أن الله حرّ الارادة ولا أحد يقيّد ارادته. قال: "لن نفهم هذه الأمور إلاّ في الدهر الآتي. إذ ما يبدو متناقضاً لنا اليوم في عتمة الحاضر سيقوم المسيح بتوضيحه في نور المجد. لكن علينا أن نؤمن بإله عادل، بالرغم من كل الامور التي تبدو انها غير عادلة". يعرّف لوثر طبيعة الايمان، فيقول "ما يجب أن نؤمن به، يجب أن يكون محتجباً ليكون هناك مساحة للإيمان. يحجب الله رحمته الأبدية، تحت غضبه الأبدي. ويحجب صلاحه، تحت عدم صلاح. فما قد يبدو معاكساً لرحمة الله، ربما يكون المساحة والحقل الذي يعمل فيه الايمان". وأضاف: "إذا ما استطعت بكل الوسائل المتاحة، أن أفهم كيف أن نفس الله الرحوم والعادل، يمكن أن يظهر غضبه ويبدو لنا انه غير صالح وغير عادل، فلن يكون هناك حاجة للايمان. الايمان محوري، ليس فقط لرؤية الله محتجب في الصليب، ولكن أيضاً محتجب خارج الصليب". دعا لوثر جماعة الايمان الى التفريق بين الله الذي نعظ به من الكتاب المقدس والله المحتجب. بين الله في الكلمة والله خارج الكلمة. قال، "من الأفضل لنا أن نبقى عند مذود المسيح الانسان، لأن هناك خطراً كبيراً في زجّ نفوسنا في أسرار الكيان الالهي". لم يفسّر لوثر، كيفية الوصول الى معرفة الله المحتجب، لكنه يضعه عند اقدام الايمان. قال: "إذا ما كان لك الايمان ، سيكون لك الله المحتجب. فالايمان هو المفتاح الذي يفتح أسرار الكون وصراعات الوجود".

القس سهيل سعود

نوعي البرّ: بر الهي وبرّ انساني

المصلح فيليب ميلنكثون

اعتقد المصلح فيليب ميلنكثون، أن للمسيحي نوعين من البِرّ: بِرّ إلهي داخلي، الذي يأتي كهبة من الله في المسيح وحده، والذي يمنحنا الغفران، والخلاص، والحياة. وبِرّ إنساني خارجي، نعمل على تحقيقه في هذا العالم، ونتشارك فيه مع كل البشر. قال ميلنكتون: "نحن لا نستطيع الحصول على غفران الخطايا ونتبرّر أمام الله، بتفكيرنا واستحقاقاتنا وأعمالنا، وإنما فقط بالنعمة والبرّ الالهي، بايماننا بالمسيح يسوع الذي تألّم وصُلِب لأجلنا. فأعمالنا الصالحة لا تؤهّلنا لنيل النعمة والغفران، لأن يسوع وحده قدّم نفسه عنا، ليكون الشفيع والوسيط الوحيد، بيننا وبين الله . لهذا، هو الذبيحة الكفّارية الوحيدة، التي من خلالها نتصالح نحن البشر مع الله. فالذين يعتقدون أنهم يستحقّون النعمة بأعمالهم، ويحتقرون المسيح، ويفتّشون عن طريق إلى الله من خلال قدرات بشرية، هم مخطئون، لأن المسيح نفسه قال: "أنا هو الطريق والحقّ والحياة ، لا أحد يأتي الى الآب الا بي". أكمل ميلنكثون قائلا : "عندما يتعلّق الأمر في مملكة هذا العالم، وفي البِرّ الخارجي الانساني، ليس على المسيحيين أن يضعوا عقولهم جانباً، لكنّهم يستطيعون إستخدام ذكائهم: في السياسة، والتربية، والتعليم، والتاريخ، وعلم النفس، وما إلى ذلك". وأضاف، "هناك من يعتقد أن المعرفة الإنسانية هي بحدّ ذاتها خطية. لكن هذا الإعتقاد ليس فقط خطأً، لكنه خطية كبيرة، لأن أولئك الناس، يجعلون أنفسهم قضاة وديانيين لهذا العالم. ليس هناك أي شيء خطأً في المعرفة الإنسانية، عندما تخدم البشر. فالمسيحيون يستطيعون دائمًا تقدير الحكمة والمعرفة".

قال ميلنكثون: " لا أدري كيف أستطيع أن أسميّ مسيحي، كل من يجهل مواضيع الإيمان المسيحي الأساسية، والتي هي قوة الخطية والشريعة والنعمة، لأنه فقط من خلال هذه المواضيع، نتعرّف على شخص الرب يسوع المسيح. أن نعرف المسيح، يعني أن نعرف الفوائد الروحية التي يقدّمها لنا. فإن لم نعرف أن المسيح لبس الجسد وتجسّد لأجلنا، وصُلِب ومات وقام من أجل خلاصنا، فما هي فائدة معرفة حقائق تاريخية عنه؟". يكمل ميلنكثون قائلا، "هل يكفي الطبيب أن يعرف أشكال وألوان

ومميّزات بعض الأعشاب الطبية، دون أن يعرف القوة الداخلية الكامنة فيها التي تؤدّي إلى الشفاء؟". قال، "يجب أن نعرف: ماذا تتطلّب منّا الشريعة؟ ومن أين نجد القوة لتطبيقها؟ "نحن بحاجة لأناس يحترمون قاعدة الشريعة الأخلاقية، ويهتمّون بالفقراء، ولسنا بحاجة لأناس، يقتبسون آيات من الكتاب المقدّس...نحن بحاجة لأن نعرف من أين نحصل على النعمة لمواجهة خطايانا؟ وكيف نقوّي إخوتنا وأخواتنا المسيحيين في حربهم ضد إبليس والجسد والعالم؟ كيف نهدىء ونعزّي الضمائر المضطربة؟". أعلن قائلا، "ان تعليم التبرير بالنعمة وحدها، أو قبول الله لنا بنعمته ومحبّته، هو التعليم الذي يقدّم، الراحة والتعزية للضمائر المضطربة. فهذه الضمائر لن تسكن وتهدأ بأية أعمال، وإنما ستهدأ فقط عندما تتيقن، أن الله قد صالحنا معه في ابنه الحبيب يسوع المسيح.

القس سهيل سعود

صليب الألم

المصلح جان كلفن

في مقالته، "تفسير كلفن للآلام الانسانية"، Calvin`s Interpretations for Human Sufferings يبيّن اللاهوتي ثيودور مينيما، رأي المصلح جان كلفن، بأن الاسئلة التي تطرح عن الألم من الصعب جدا الاجابة عنها. قال كلفن: "لا نستطيع في بعض الأوقات، أن نجد سببًا مباشرًا للألم، لكن الواقع يعلّمنا، أن الألم يفرض نفسه علينا، ولا أحد يختاره. لهذا، يجب ألّا نتفاجأ من الآلام والضيقات التي تصيبنا، بل علينا أن نتوقّعها، لأن الآلام جزء من الحياة". وأضاف: "تجعلنا الضيقات والآلام، نشعر بالقلق والارباك والخوف، وتدفعنا لنسأل الكثير من الاسئلة الوجودية. لكن نعلم أن الله من خلال تلك الآلام، يقودنا الى امتحان الذات، ويجعلنا متواضعين وطائعين له". كان كلفن

مدركًا لقساوة الألم، حتى على أكثر الناس قداسة. شبّه الألم، بالنار الحارقة. عند تفسيره لقول البشير لوقا في سفر أعمال الرسل، "ولما كملت أربعون سنة، ظهر له ملاك الرب في برية جبل سيناء، في لهيب نار عليقة" (أعمال الرسل٧: ٣٠). قال كلفن، "تحتاج النار لأن تضرم، لكي تحرقنا في هذه الحياة. إلّا أننا نؤمن أن الله في وسطنا، وسوف يحفظنا لكي لا تؤثر علينا الضيقات". أضاف: "حتى الرسول بولس نفسه، كاد أن يسقط في اليأس تحت وطأة الضيقات والآلام التي واجهته، لكن الله عضده وشجّعه حتى لا يسقط أقرّ بولس بصعوبة تحمّل الألم، حين قال: " من جهة ضيقتنا التي أصابتنا في آسيا، أننا تثقّلنا جداً فوق الطاقة حتى أيسنا من الحياة أيضا. لكن كان لنا في أنفسنا حكم الموت، لكي لا نكون متّكلين على أنفسنا، بل على الله الذي يقيم الأموات، الذي نجّانا من موت مثل هذا. وهو ينجّي، الذي لنا الرجاء فيه أنه سينجّي فيما بعد" (٢كورنثوس١: ٨-٩). لكن بالرغم من حرق الألم لنا بناره، رأى كلفن، أن الألم يجعلنا، نلتفت الى الله. اقتبس قول النبي إشعياء: "ويكون في ذلك الوقت، أن مجد يعقوب يذلّ... في ذلك اليوم، يلتفت الانسان الى صانعه، وتنظر عيناه الى قدوس اسرائيل" (إشعياء١٧: ٤و٧).

حرص كلفن، أن يعرّف الألم وعلاقته بالعناية الالهية، بعبارات تضع الصدفة والحظّ خارجًا. اعتقد، أن الله في سيادته، يسمح بالألم، ويتحكّم به في حياة أولاده. قال، "الله يسمح للبعض بآلام لطيفة، والبعض الآخر بآلام قاسية. علينا أن نصلّي الى الله، كيما يلطّف آلامنا القاسية، وسيلطّفها إن كان بموجب إرادته. لكنّ الله يرغب في النهاية، ان يزوّد الجميع بالصحة الروحية". لم يعط كلفن مساحة كبيرة للتساؤلات حول أسباب الآلام والضيقات، التي يصاب فيها جماعة الايمان وغيرهم، لكن كان همّه الأساسي، أن تصيغ تلك الآلام شخصيات مسيحية ناضجة، فلا ينعزلون عن الله والآخرين، وانما ينمون روحياً في معرفته والعلاقة به. اعتقد ان النتيجة النهائية للألم، هي أهم من معرفة المتألّم للأسباب التي أدّت الى آلامه. آمن كلفن، مع القديس أوغسطينوس وباقي المصلحين، أن منبع آلام البشرية من بدء التكوين، هو حقيقة السقوط في الخطية، وما نشهده من آلام وضيقات هي من النتائج المدمّرة للخطية على الحياة والكون.

أطلق كلفن على آلام المسيحي تسمية "صليب". نظر الى صليب وآلام المسيح، كدواء لآلام البشرية من أمراض الخطيئة. وجد في صليب المسيح، قيمة روحية شفائية للانسان دفعت بالمسيح أن يتألم ويصلب من أجل خلاص الانسان. عندما حاول بطرس، أن يمنع الألم والصليب عن المسيح،

بقطعه اذن ملخس عبد رئيس الكهنة، ليلة القبض عليه، قال له يسوع، "اجعل سيفك في الغمد. الكأس التي أعطاني الآب، ألا أشربها؟" (يوحنا١٨: ١١). قارن كلفن بين صليب المسيح وصليب جماعة الايمان، قائلا:" يمكننا أن نختبر عزاء المسيح، حتى وان كنا نمرّ في ظروف صعبة وقاسية، فنحن نشارك المسيح في آلامه، حتى كما هو عبر من شرور هذا العالم الى المجد السماوي قبلنا، هكذا نعبر نحن ايضًا مثله، من الضيقات الى المجد نفسه".

آمن كلفن أن الانسان المسيحي يشارك من خلال شدائده وآلامه وصليبه، في آلام وشدائد صليب المسيح. قال: "البعض يجرّبون بصليب، والبعض بصليب آخر". اقتبس قول بولس: "الآن أفرح في آلامي لأجلكم. وأكمّل نقائص شدائد المسيح في جسمي، لأجل جسده الذي هو الكنيسة" (كولوسي١: ٢٤). اعتقد، أنه كما تألم المسيح مرة في شخصه على الصليب، فإنه يتألم يوميًا في آلام أولاده. قال، "ان مشاركتنا المسيح في حمل الصليب، تمتد أيضا الى آلامنا. وبهذه الطريقة نشارك في تلك الشدائد والآلام عينها التي اختبرها المسيح في جسمه".

استطاع كلفن، أن يستنبط من ألام المسيح، بعض الأفكار الايجابية المعزيّة للانسان المسيحي المتألم. آمن أن النتائج الايجابية للألم على الصعيد الروحي، تطغى على النتائج السلبية. اقتبس قول الرسول بولس: "فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر، لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن" (رومية٨: ١٨). رأى كلفن في الألم قوة روحية شفائية. أعطى من اختبار النبي يونان، مثالا على ذلك قال، "الآلام التي اختبرها يونان، عند ابتلاع الحوت له وبقاءه في جوفه، ثلاثة أيام وثلاث ليال أنتجت له شفاء روحيًا. يذكر الكتاب المقدس، أن يونان صلّى من جوف الحوت، قائلاً : "دعوت من ضيقي الرب، فاستجاب لي. صرخت من الهاوية، فسمعت صوتي" (يونان٢: ٢). رأى كلفن، أنه بعد أن كان يونان يرفض طاعة الله بالكرازة بالتوبة لسكان مدينة نينوى، فانه بعد اختباره الألم، عاد وأطاع وصية الله وكرز للنينويين فتابوا. اعتقد كلفن، أن آلام المسيحي تقوده في النهاية الى الخضوع لله بشكل أكبر، وتجعل منه وديعًا ومتواضعًا، وهكذا يسقط منه افتخار الجسد. فالتواضع يمنح في المحصّلة انتصارًا. اعتقد كلفن أن الألم يزيل الجهل الروحي. قال، "جماعة الايمان غير يائسين في ضيقاتهم، لأن ضميرًا صالحًا يرافقهم ونهاية مباركة تنتظرهم، لذلك تصبح آلامهم مقبولة بسبب النهاية المباركة". اقتبس قول الرسول بولس: " عالمين أن الضيق ينشأ صبرًا. والصبر تزكية. والتزكية رجاء. والرجاء لا يخزي، لأن محبة الله قد انسكبت في

قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا" (روميه٥: ٣-٥). فسّر كلفن فضيلة "الصبر"، على أنها ليست مجرّد الاستسلام السلبي للألم، ولكن المحاولة الفاعلة للتغلّب عليه، بالرجاء المبارك". أسمى تلك الفضيلة، "الروح الوديعة وسط الألم". قال: "عندما تحلّ فينا تلك الوداعة الداخلية التي يمنحها الروح القدس، والتعزية التي يوصلها الينا الروح نفسه، فإن الله يستبدلها بعنادنا. الى جانب الصبر، يوقظ فينا الألم رجاء، واتكالا على الله، ويركّز انظارنا على الحياة الأبدية".

القس سهيل سعود

الصلاة في مفهوم مارتن لوثر

آمن مارتن لوثر بسيادة الله في التاريخ وبعناية الله الفاعلة بحياة الناس. إعتبر نفسه أداة في يدّ الله. يحقّق إرادته في إصلاحه ويمنحه الشجاعة والقوة الجرأة لمواجهة أصعب الظروف. مواجهة السلطات الزمنية والروحية في سبيل نشر الإصلام الإنجيلي وإعلاء رسالة إنجيل الخلاص بالإيمان بواسطة النعمة وحدها. فإيمانه بعناية الله أعطاه نظرة جديدة إلى الحياة. أعطاه إحساس بالتاريخ وبعمل الله في التاريخ. لم يدّعي لوثر أنه فهم كل شيء حول عناية الله. ولكنّه أيضًا وجد في الأسرار التي لم يستطع كنهها وسيلة لتمجيد الله. وضع ل إحتياجاته وتوسّلاته أمام الله ولم يعتقد أن كلّها ستتحقق. لكن كان له الثقة الكاملة أن الله سيمنحه أكثر من توقّعاته ويقدّم ما هو الأفضل له. إن إختبار لوثر الروحي في البرج، كما يسميّه المؤرّخون، عندما فهم بعمق معنى قول الرسول بولس: "أما البار فبالإيمان يحيا" (غلاطيه١: ١٧) ويقينه أن الله غفر خطاياه، ليس لما قد فعله هو وإنما من أجله. فكرّر بشكل دائم في صلواته، إذ يشكر الله لأجل غفرانه لخطاياه في كل طلبة من طلباته.

إعتقد لوثر أن الصلاة تعتمد على تعلنه كلمة الله لأنه بدون إعلان كلمة الله لن يعرف الإنسان ما فعله الله في المسيح لأجله. بدون كلمة الله، التي تنيز قلب الإنسان بالروح القدس، لا يمكن أن ينشأ وينمو الإيمان في الإنسان. وبدون إيمان، لن يكون هناك صلاة. إعترف لوثر أنه في الصلاة نثبّت أنظارنا على بعض الإحتياجات الضاغطة ونرفعها إلى الله بكل شغف كيما يستجيب لنا. ويصرّ لوثر على أنه يجب ألاّ نشكّ أبدًا أن الله سيحقّقها لنا. قال لوثر: "إن لم نجلب شيء أمام الله ولا نشتهي شيء منه، فإننا لن ندخل في الصلاة معه". قال: "لا نستطيع أن نعرف متى أو كيف سيستجيب لنا. لكن إذا ما كنّا نثق أن أبينا السماوي لن يعطي عقربًا عندما نسأله ليعطينا بيضة. أو لن يعطينا حجرًا بدلاً عن رغيف خبز".

قال لوثر، حتى لو كان إيماننا ضعيفًا في بعض الأوقات، فإنه يجب علينا الإستمرار في الصلاة. يجب علينا أن نقرّ بضعفاتنا أمام الله. فصلواتنا تلك سوف تمنحنا القوة أكثر فأكثر.

فإنه حتى الرسل قالوا: "يا ربّ زدّ إيماننا". فبدلاً من أن نيأس من قلّة إيماننا، يجب أن نشكر الله أنه أعلن لنا ذلك كيما نستمر في الصلاة.

قال لوثر، يجب علينا أن نصلّي دون توقّف. وأضاف قائلاً: "لا أقصد أنه يجب علينا أن نتكلّم باستمرار. بل أن نكون في حالة صلاة في مواقفنا وحياتنا اليومية".

من الممكن في بعض وقات أن نشعر أننا غير جديرين وغير مستحقّين أن نصلّي. لكن علينا دائمًا أن نتذكّر أنه أوصانا أن ندعوه ووعدنا أن يصغي لصلواتنا. ليس بسبب استحقاقاتنا، وإنما بفضل نعمته التي غفرت خطايانا. قال لوثر، علينا أن نبدأ صلواتنا، ليس بالإعتزاز بأنفسنا أو الإفتخار بأعمالنا وإنجازاتنا، وإنما بإيمان وثقة في مراحم الله وأمانته. فإذا ما أردنا أن نشفى من خطايانا يجب ألّا نركض من الله، بل نركض إليه. سنكون في حالة مزرية إذا ما شعرنا أننا مستحقون أمام الله وأننا لا نشعر بحاجتنا إليه. فالله يرفض أن يسمع صلوات الذين لا يشعرون في حاجتهم إلى نعمته الإلهية.

بعد صراع لوثر النفسي وشعوره بالإضطراب والناس واختباره ليقينية غفران الله لخطاياه في اختبار البرج وإدراكه أن حمله الكبير قد رُفِع عنه، فقد أصبحت صلواته تنبض بالمشاعر الداخلية. هذا العنصر الشخصي أعطت صلوات لوثر بُعداً جديداً. فقد آمن أن ثقته في عناية الله تستند على الإيمان. والإيمان ينشأ وينمو عندما يعلن الله بالروح القدس رحمته للإنسان في المسيح.

إعتقد لوثر أن كلمة الله هي الأساس الوحيد للصلاة. فلن تكون الصلاة حقيقية إن لم تصدر عن الإيمان المتمحور حول كلمة الله. قال لوثر، علينا أن نواظب على الصلاة بالرغم من الآلام والتجارب والصعوبات الكبيرة والكثيرة التي قد يسمح الله أن تصيبنا. فيجب علينا ألا نهجر الرجاء أن الله ينظر إلينا وسوف يضع حدًّا ونهاية لشرورنا الحاضرة.

المفهوم المصلح للتعيين المسبق والاختيار

سوء فهم التعيين المسبق

قال لوثر، "إذا ما كان أحدٌ معيّن سابقًا للخلاص، فإنه كان من الممكن ان يخلص دون الحاجة: الى تجسد الابن، والكتاب المقدس، والأسرار؟ وأضاف: "ما نفع تأسيس الاسرار اذا ما كانت لا تفيد خلاصنا؟

لم يميّز لوثر بين معرفة الله المسبقة وارادة الله. قال: "ارادة الله ومعرفته المسبقة، هما الشيء نفسه".

قال لوثر: "الارادة الحرّة دون نعمة، هي خطية بالضرورة". آمن لوثر ان حرية الارادة تفرض النعمة قبلاً. ان الانسجام وتوافق العامل الالهي مع العامل الانساني هي نقطة الانطلاق وليس النتيجة التي يجب الدفاع عنها".

فأساس العلاقة بين الله والانسان المؤمن هي برّ المسيح الذي ينقل برّه الينا عندما نؤمن به وهكذا نتبرّر به".

ليس الهدف من عقيدة "التعيين المسبق" الحكم على الناس، وإنما تمجيد الله

جان كلفن، مارتن لوثر

من أكثر المواضيع التي هوجم بها المصلحين، لا سيما جان كلفن، هو موضوع "التعيين المسبق" أو "الاختيار". االواعظ التلفزيوني الأميركي جيمي سواغرت، قال مرة عنه: "أعتقد أن كلفن سبّب بهلاك الملايين من الناس بعقيدته "التعيين المسبق". الاّ، أنه ما غفل عن ذهن سوغارت، أن الهدف من عقيدة كلفن لم تكن اهلاك الناس بالحكم المسبق عليهم، وإنما

تعزيتهم وحثّهم على تمجيد الله. لم يكن موضوع "التعيين المسبق" حديث التداول، ولم يبدأ مع كلفن، بل كان متداولا بين لاهوتيي الكنيسة عشر قرون قبل كلفن.اعتقد كلفن أن عقيدة التعيين المسبق، هي عقيدة كتابية. يقول الرسول بولس في رسالته الى اهل رومية: "لأن الذين سبق فعرفهم، سبق فعيّنهم، ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكرا بين اخوة كثيرين. والذين سبق فعيّنهم، فهؤلاء دعاهم أيضا. والذين دعاهم فهؤلاء برّرهم أيضا. والذين برّره فهؤلاء مجّدهم أيضا" (رومية ٨ : ٢٩-٣٠). كرّر بولس عبارات التعيين المسبق ثلاث مرات في قوله هذا: سبق فعرفهم، سبق فعيّنهم...سبق فعيّنهم. شارك الرسول بولس اختباره، حول اختيار الله له مع الغلاطيين، وفرز الله له لخدمته من بطن أمه، مع أنه كان من أكثر المضطهدين للمسيحيين. قال، "فانكم سمعتم بسيرتي قبلا في الديانة اليهودية، أني كنت أضطهد كنيسة الله بافراط وأتلفها. وكنت أتقدّم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي، اذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي. ولكن لما سرّ الله، الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته، أن يعلن ابنه فيّ لأبشّر به بين الأمم" (غلاطية ١: ١٣-١٦).

كان كلفن مدركا أن ردة فعل الناس ضد عقيدة "التعيين المسبق أو الاختيار"، ستكون صاعقة وقاسية، لأنهم لن يستوعبوا للوهلة الأولى ما المقصود منها. قال: "عندما يسمع الفكر الانساني بهذه العقيدة، فإنه سوف يغلي ويغتاظ ويعصف، وكأنه سمع صوت بوق عالْ". وأضاف: "عندما يسمع الناس بعقيدة "التعيين المسبق أو الاختيار"، سيسألون مباشرة: لماذا قد يرغب الله ان يختار البعض ولا يختار البعض الآخر؟ قال كلفن، "لا يفهم عقيدة التعيين المسبق إلاّ من اختبر عمل المسيح لأجله بالروح القدس". طلب من مستمعيه، أن يثقوا بشكل كامل بارادة الله الصالحة، لأن ارادة الله هي موقع راحتنا. قال: "ارادة الله هي القاعدة الأعلى للبرّ. كل شيء يريده الله، يجب أن يكون صالحًا لمجرد انها ارادته". اقتبس كلفن، قول الرسول بولس، "كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قدّيسين وبلا لوم قدّامه في المحبة. إذ سبق فعيّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرّة مشيئته، لمدح مجد نعمته، التي أنعم بها علينا في المحبوب، الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا، حسب غنى نعمته التي أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة" (أفسس١: ٤-٨)، ليذكّر جماعة الايمان لأي هدف هم مختارون ومعيّنون سابقًا. قال "الله اختارنا، وعيّنا سابقًا، للقداسة وللتّبني بيسوع المسيح. لهذا، فإن هذا الاختيار والتعيين المسبق يجب

أن يقودنا الى مخافة الله بشكل أكبر. آمن أن عقيدة الاختيار والتعيين المسبق لها بعد رعوي روحي هام جدًا. قال: "هذه العقيدة: تجعل المتكبّر متواضعًا، والمتواضع متعزيًا". آمن انها سوف يعزّينا، لا سيّما في أوقاتنا الصعبة". خاطب كلفن أحد الآباء الذي فقد ابنه بالموت، قائلاً له: "إخضع لإرادة الله الخفية عن عينيك، لتصبح أكثر حكمة وأقلّ ضعفًا. ثق بالله، مهما كان اعلانه قليلاً لك حول هذا الأمر".

لم يهدف كلفن من وراء عقيدة التعيين المسبق أو الاختيار، أن يدبّ الذعر والخوف في صدور الناس، وانما تهدئة اضطراب ضمائرهم، وملأها بالراحة والتعزية والسلام. قال كلفن: " بهذه العقيدة، حرّرنا الله من القلق". يقول المصلح الانجيلي فيليب ميلنكثون، "أن هدف اللاهوت هو تهدئة الضمائر المضطربة". قال كلفن، "ان عقيدة "الاختيار"، تؤكد لنا أن خلاصنا هو بالنعمة وحدها. وهذا ما يجب أن يجعل منا أناسا متواضعين، لأنها تواجهنا بحقيقة أنه ليس لدينا أي شيء نقدّمه للمساهمة في خلاصنا، فالله اختارنا قبل أن نختاره. هذه العقيدة يجب أن تقودنا الى تمجيد الله، من أجل هذه الهبة العظيمة التي أغدقها علينا.

أيضا اعتقد المصلح مارتن لوثر، ان عقيدة الاختيار والتعيين المسبق هي عقيدة مفرحة جدًا تدعو لتمجيد الله ، لأنها تؤكد أن خلاص الانسان ويقينية خلاصه، لا تعتمد على الارادة الانسانية الضعيفة والمتذبّذبة، وإنما على نعمة الله. رأى لوثر أن الجدالات التي تنبثق عن موضوع الاختيار تصدر من حكمة جسدية، اذ يحاول الانسان أن يرفع نفسه فوق الله ويخضعه للتحقيق والمساءلة، الأمر الذي يجب أن يرفض. اقتبس قول الرسول بولس ، "بل من أنت أيها الانسان الذي تجاوب الله؟ ألعل الجبلة تقول لجابلها، لماذا صنعتني هكذا"؟ (رومية ٩: ٢٠). لم يعتقد لوثر، أن "معرفة الله المسبقة" تتعارض مع حرية الانسان. آمن أن للناس حريتهم وارادتهم التي تقرّر، ما يعرفه الله مسبقًا. آمن لوثر، أن معرفة الله المسبقة غير مؤسسة على قدرية أبدية، لكنها مؤسسة على ارادة الله الصالحة. فسّر معرفة الله المسبقة، قائلا: "ليست معرفة الله المسبقة، رؤية وانما فعل. ليست مراقبة، وانما مشاركة". اعتبر لوثر، أن الشكوك في أسرار الله هو من الشيطان، والاستقصاء عن الدوافع وراء أحكامه، هي من مهام الشيطان وليس من مهام المؤمنين. قال: "يتداول الناس كثيرًا، في موضوع التعيين المسبق، وكيف أن الله يريد أن يكون البعض مخلّصين والبعض هالكين. الاّ أننا يجب أن نحذر، لأن إرادة الله هذه هي ليست للإستقصاء والتحقيق،

وإنما للوقار والعبادة. هذه العقيدة، هي من أكثر الأسرار الإلهية التي حفظها الله لنفسه وحده، ومنعنا من البحث فيها والغوص في كنهها. فانه في هذا الامر، يحجب الله نفسه وارادته عنا، لكي لا نعرفها. انه أمر ليس من شأننا، كما يذكر القول المأثور: "الأمور التي هي أعلى منا، ليست عملنا". وأضاف، "يجب علينا أن نترك الله وشأنه في جلاله، لأنه لا عمل لدينا مع الله في هذا الامر. ولم يرد الله ان يكون لنا أي شأن بهذا الامر. إن شأننا مع الله هو في الحقائق المعلنة في كلمته التي فيها قدّم نفسه لنا". ميّز لوثر، بين: الله المعلن في الكتاب المقدس الذي نعظ به، والله المحجوب. بين: الله نفسه، وبين كلمته. قال، "علينا أن نشغل أنفسنا بما هو معلن لنا فقط، لكن ما ليس معلن هو غامض. انّ سرّ الله غير المعلن، هو موضوع عبادة.

يذكر "اعتراف الايمان البلجيكي المصلح"، الذي كتب عام ١٥٦١ ، والذي دوّن فيه اعتراف الايمان الانجيلي المصلح، ما يلي: "يجب أن نعبد أحكام الله بتواضع ووقار. يجب أن ندرك، أن عقيدة الاختيار تقدّم لنا عزاء، لا يعبّر عنه. هذه العقيدة، تعلّمنا أنه لا يحدث لنا أي شيء بالصدفة، لهذا يمكننا أن نطمئن أن الله يراقب الشياطين وأعداؤنا الذين يتربصون بنا، وأنهم لا يستطيعون أن يسبّبوا لنا الأذية، دون موافقته وارادته". وأما اعتراف ايمان هايدلبرغ الانجيلي المصلح الذي كتب عام ١٥٦٣، فقد ذكر، "ان تطبيق هذه العقيدة المسيحية على الاختبارات والحياة المسيحية، يدخل الى نفس المؤمن: مشاعر الراحة والاطمئنان، ويقين الخلاص، وتثمر فيه موقف الامتنان لله، للخلاص من الخطية والبؤس الروحي".

الاخوة والأخوات القرّاء، لا يجب أن نتّخذ موضوع "التعيين المسبق، والاختيار"، حجة لعدم كرازتنا بكلمة الله، (كما يعتقد بعض الكلفينيين المتطرفين) منتظرين أن يحقّق الله أحكامه التي سنّها منذ تأسيس العالم. فإنه لو كان هذا الفكر، فكر المصلحين، الذين آمنوا بكتابية وصوابية هذه العقيدة، لما حدثت كل حركة الاصلاح الانجيلي. فأكثر الذين آمنوا بهذه العقيدة (وفهموا خطأً من الناس)، هم الذين أوصلوا الانجيل الى أوروبا والعالم. واجه المصلحون أية تعاليم اعتبروا أنها تسبّب الهلاك للنفوس. آمنوا، أن الله لا يسرّ في موت الخاطىء، بل يريد أن جميع الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون.

الكلفينية المتطرّفة أساءت الى كلفن

في كتابه: "بروز الكلفينية المتطرّفة بين الانكليز الذين لا ينتمون الى كنيسة انكلترا" "The Emergence of Hyper-Calvinism in England Non-Conformity (1689-1765)، يُعرّف اللاهوتي الانكليزي بيتر ثورن، الكلفينية المتطرّفة، على أنها منظومة من الاستنتاجات والممارسات اللاهوتية، حول الله والانسان والنعمة، التي برزت بين القرنين السابع والثامن عشر في انكلترا، والتي ترفع من شأن مجد الله وسيادته على حساب التقليل من المسؤولية الروحية والاخلاقية أمامه. تنشغف هذه المنظومة في تشديدها على أحكام الله المسبقة والنعمة الالهية التي لا تقاوم، وتميل الى اظهار الانسان المؤمن خاملا في تديّنه. وبتشديدها هذا، فانها جعلت من يقينية الخلاص لدى المؤمن نوعًا من الاحساس الداخلي. وكرّست استبطان الانسان لنفسه ليبحث في أعماقه علّه يكتشف ان كان مختارًا من الله أم لا.

أوضح ثورن، كيف أن كلفينية كتابية تحوّلت الى كلفينية متطرّفة، مقدما بعض الأسباب التاريخية لبروزها. من الأمور التي ذكرها، أنه بعد العام ١٦٦٠، أي بعد حوالي قرن من موت كلفن، حوصرت الكلفينية الأرثوذكسية، بانتقال القيادة الدينية في انكلترا الى أيدي أناس أرمينيين في اعتقادهم بدور الانسان الأساسي في خلاصه، وسط وجود قلة من الكلفينيين المعتدلين في لاهوتهم. هذا التغيير جعل من الكلفينيين المعتدلين، يتبعون ما أُسمي "عقلية القبو"، بمعنى تخزين عقيدتهم والاقفال عليها. أضف الى ذلك، شهد القرن السابع عشر، تشديدا كبيرا على العقلنة في كل شيء ومن ضمنها مسائل الايمان. وقد ساهمت تلك المعطيات التاريخية والسياسية، بتبنّي الكلفينيين لعقيدة كلفينية جامدة، اعتمدت على تحليلات واستنتاجات غير كتابية، قادت الى تغييرات متطرّفة في لاهوتهم، فانزلقوا الى الاحادية في تفكيرهم في عقائد، مثل: سيادة الله، التعيين المسبق، الاختيار، والنعمة الالهية، مما أوصلهم الى القناعة: بأن البعض مختارين منذ الازل للخلاص، والبعض الآخر مختارين للهلاك. ان مشكلة الكلفينية المتطرّفة، انها لا تميّز بين ارادة الله المعلنة، وارادة الله الخفية. ولدت الكلفينية المتطرّفة من الاسترسال والتمادي في الاستنتاجات العقلية لعقائد كلفن الى حدّ أنها تجاوزت تعاليمه. ركّزت على ابراز سمة من سمات الله، على حساب سمة ثانية. شدّدت على سيادة الله، وقلّلت من االتشديد على محبته. اعتقد الكلفينيون المتطرّفون خطأً أن الله قد يكون ممجّدًا أكثر عندما يعلّون من شأن نعمته

المذهلة، الاّ أنهم أهملوا جانب الكرازة بالانجيل واعلان محبة الله للجميع دون استثناء. قام اللاهوتي فيل جونسون، ببحث مكثّف في موضوع الكلفينية المتطرّفة، فعرّف الكلفيني المتطرّف أنه من ينكر أن الانجيل يطبّق على الذين يسمعونه ولا يقتنع بأن الايمان هو دعوة الله للجميع، ويقلّل من شأن الكرازة بالانجيل.

حذّر كلفن، من الاستخدام الخاطىء لهذه العقيدة، ووضعها في سياق يثير الشكّ والريبة في صلاح الله. قال "عندما يجادل الناس في هذا الموضوع، عليهم أن يحرصوا لكي لا يتسلّلوا الى أسرار الحكمة الالهية ليرضوا فضولهم، لأنهم سيدخلون عندها في متاهة لا يمكنهم الخروج منها. سيعلقون في متاهة فكرية ويصابون بحيرة كبيرة، في محاولاتهم معرفة أسرار تتجاوز فهمهم الانساني". اقتبس قول سفر التثنية، "السرائر للرب الهنا، والمعلنات لنا ولبنينا الى الابد" (تثنية٢٩: ٢٩). قال، "عندما نسأل لماذا يفعل الله هكذا؟ يجب أن نجيب لأنها مسرّته، لكن اذا ما استرسلنا كثيرا في اسئلتنا في هذا الموضوع، فإننا ندخل في أمر، هو أكبر وأعلى من ارادة الله". رفض اعتراف ايمان الوستمينستر الانجيلي المصلح التقصّي في ارادة الله الخفية وفي الأمور التي تتجاوز الكتاب المقدس، وأصرّ على اعلان كل مشورة الله. يذكر البند الثالث عشر من اعتراف الايمان البلجيكي الانجيلي المصلح ١٥٦١ :"كل ما تركه الله لأحكامه الخاصة، ليس لنا أن نستقصي بها أكثر، مما هو معلن في الكتاب المقدس".

لقد أخرجت الكلفينية المتطرّفة، بتشديدها الكثير على سيادة الله، المسؤولية الانسانية من معادلة الايمان، وأنكرت دعوة الانجيل الجميع الى الايمان. يوازن الكتاب المقدس بين تعيين الله المسبق، والمسؤولية الانسانية، لكن الكلفينية المتطرّفة تطرّفت الى حدّ الغاء المسؤولية الانسانية. يخبرنا البشير لوقا كاتب سفر اعمال الرسل، أنه عندما صلب اليهود المسيح، ومع ان ذلك تمّ بمشورة الله وعلمه المسبق، إلاّ أن الرسول بطرس حمّل اليهود مسؤولية صلب المسيح بالرغم من أن صلبه كان بمشورة الله المحتومة وعلمه المسبق. يذكر النص "هذا أخذتموه مسلّمًا بمشورة الله المحتومة وعلمه المسبق وبأيدي أثمة صلبتموه وقتلتموه" (أعمال الرسل٢: ٢٣). يذكر اعتراف ايمان الوستمينستر الانجيلي المصلح، في الفصل الثالث: "لقد قرّر الله منذ الأزل بمشورته المقدّسة وعلمه المسبق الأكثر ذكاء، كل ما سيحدث. إلاّ أن هذا لا يعني أن الله هو صانع الخطية، ولا أن حرية الانسان مصادرة في الأسباب الثانوية". شدّد كلفن عمليا، كثيرا على

المسؤولية الانسانية في قراءة الانجيل والصلاة وحضور الكنيسة بلا انقطاع. أثناء رعايته لكنيسة جنيف، أصدر قرارا بجعل حضور الكنيسة الزاميا على كل الأعضاء، والذي كان يتغيّب لبعض المرات دون سبب وجيه، كان يفصل من عضوية الكنيسة. لم تتعاط الكلفينية المتطرّفة مع عقائد الكتاب المقدس بشكل متوازن، بل شوّهت تعاليم كلفن التي دعيت على اسمه، ومعها شوّهت التعاليم الانجيلية المصلحة المدوّنة في اعترافات الايمان الانجيلية التاريخية في القرن السادس عشر.

القس سهيل سعود

تعريف لوثر المميز للايمان

قال لوثر "ليست هذه الحياة إلّا توقّع أو بالاحرى بداية للحياة الابدية العتيدة. لهذا، فنحن نحيا بالايمان وليس بالعيان". إن حقيقة الايمان انه يلصق نفسه في امر لا يزال لا شيء وينتظر ان يتحقق كل شيء. فالايمان هو معرفة للأمور التي لم نختبرها بعد. إن ملكوت الله هو حقيقة اسكتولوجية محجوبة عنا تحت كلمة الله والاسرار. فإنه في اللحظة التي يصغي الانسان لحكم الله بغفران خطاياه فإنها تسجّل نهاية ادراكه للزمن وتفتح امامه امكانية جديدة للحياة وتبدأ حقبة جديدة. وتبدأ الحقبة القديمة بالتضاءل في طريقها الى الزوال. علّق لوثر على قصة السلم المنصوب بين الله والسماء الذي رآه يعقوب (تكوين١٨: ١٦-١٧) "فاستيقظ يعقوب من نومه وقال: حقًا إن الرب في هذا المكان وأنا أعلم. وخاف وقال : ما أرهب هذا المكان ما هو الّا بيت الله وهذا باب السماء. قائلاً: مشبّهًا الكنيسة بباب السماء وقائلاً: يسكن الله بيننا كيما يمنحنا فرحة الوصول الى ملكوت السموات. ثم هتف "ما هو اكثر بهجة من ان يأتي اولاً ويظهر الله لنا على السلم وينزل ويعيش بيننا. إنه نزول اورشليم السماوية. حيث أنه من المستحيل علينا ان نصعد نحو الله الابدي. لهذا فإن الله نزل الينا في يسوع المسيح بقوة الروح القدس وبنزول ابدي اقتحم زمننا

او بالأحرى جذب الزمن نحو الابدية. بنزول المسيح نزلت اورشليم السماوية والخليقة الجديدة الموعودة كما تغيّر الحقيقة القديمة السائدة. فيسوع المسيح هو آدم الجديد كما يقول الرسول بولس "فإنه إذ الموت بإنسان، بإنسان أيضًا قيامة الاموات لأنه كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المسيح سيحيا الجميع" (١كورنثوس١٥: ٢١-٢٢) الذي من خلال قيامته يحيا بروحه الانسان المسيحي كخليقة جديدة. الحياة تحت قيادة الروح القدس ليست مجرد توقّع لإكتمال الحياة العتيدة. وإنما، مشاركة باكرة في تلك الحياة التي ننتظرها. فبالرغم من ان الموت لم يبتلع بشكل كامل منسيًا بعد إلاّ أنه يبقى الانتصار الذي ربحناه في المسيح حاضر فينا من خلال الكلمة والاسرار. إن موت وقيامة المسيح في الزمن هو الاعلان الذاتي عن الله المحجوب والكلمة والاسرار هما موضع السمو الالهي.

اعتقد لوثر ان معالجة موضوع الزمن والابدية من الناحيتين الميثاقيتين يسيران بخطٍ موازْ أحدهما للآخر. وإنما ليس دائمًا بانسجام. إحدى تعريفات لوثر لعلم اللاهوت هو القيام بالتمييز الصحيح بين سمو الله السماوي المحصور بالاستقصاءات والتكهنات اللاهوتية والفلسفية، وبين سمو الله المحجوب في موت وقيامة المسيح المفتوح فقط للايمان.

قال لوثر، إن لقاءنا مع الله الابدي متموضع مع حقائق زمنية هي الانجيل الموعوظ والاسرار التي تخترق الله الازلي وتعرّف جوهر طبيعته الثالوثية. فهذا اللقاء مع الله المثلث الاقانيم تمّ في صليب وقيامة المسيح من الموت. فكلمة الصليب تصبح كلمة الوعد الاسكاتولوجية الخلاّقة. الله يعلن عن نفسه في ما يبدو معاكسًا لحقيقته لأنه لا يوجّهنا الى ما هو، وإنما الى ما سوف يأتي. فإنه في عالم تسود فيه الخطيئة والموت، يأتي الينا الله الابدي بكلمته التي تمنح الحياة والرجاء. يأتي بوعد الخليقة الجديدة من العدم لتصبح الكلمة المفتاح لتمييز علاقة الله الابدية مع الزمن. يأتي الله من الزمن الجديد الحاضر ليعمل وسط عالم قديم يسوده الالم والموت كيما يقيم اولاده المؤمنين من قبورهم بالايمان تأتي جماعة الايمان الى محضر السيد الرب الذي يحيا كمنتصر على الموت. يأتي الاله الحقيقي، الرجاء الحي، مغلّفًا نفسه في الكلمة والاسرار كيما يكشف عن سرائر جلال الله. قال لوثر "لا تستطيع عقولنا ان تستوعب ما هو خارج الزمن". وأضاف "لم يكن الله مفهومًا قبل خلقه العالم. لأن الله لا يعلن عن نفسه إلاّ من خلال اعماله وكلمته. من الجهالة ان نجادل حول الله الذي هو خارج الزمن وقبل الزمن. فإن جهودنا الفكرية لمحاولة فهم الله الثالوثي لا يوصلنا

الى شيء. وإذا ما خرجنا خارج الكلمة والاسرار لنفهم الله، فإننا قد نصل الى مكان لا زمن له ولا قياس ولا مساحة وإنما فقط العدم".

"نحن دائمًا على الطريق": المصلح جان كلفن

"لأنه كان ينتظر المدينة التي لها الأساسات التي صانعها وبارئها الله"
(عبرانيين ١١: ١٠)

في كتابه "جان كلفن، واصلاح اللاجئين" ، أطلق المؤرخ واللاهوتي المتخصص في دراسة زمن الاصلاح الإنجيلي في القرن السادس عشر، "هايكو أوبرمان" (٢٠٠١-١٩٣٠)،على عمل جان كلفن الاصلاحي المميز مع لاجئي عصره، تسمية "إصلاح اللاجئين" . وقد سلّط الضوء على خبرة كلفن الشخصية في اللجوء، من فرنسا إلى جنيف، والتي طبعت لاهوته ومواقفه وخدمته للاجئين في جنيف. ويسمّي الكاتب عمل كلفن هذا ، "بالإصلاح الثالث"، وذلك بعد "الإصلاح الأول" لمارتن لوثر في ألمانيا، "والإصلاح الثاني" لجان كلفن في جنيف. وفي تحليل الكاتب لكتابات وأعمال كلفن، ذكر ما يلي: "نستطيع أن نتكلم عن اصلاح كلفن الروحي والعقائدي منذ انضمامه إلى حركة الاصلاح منذ العام ١٥٣٣ وحتى العام ١٥٤٨. ولكن بعد هذه المرحلة ، والى حين موته في العام ١٥٦٤، نستطيع أن نسميها بمرحلة الاصلاح الثالث، أو "اصلاح اللاجئين" اذ يتعاطى كلفن بشكل أكبر مع المسائل الاجتماعية، ويضع لاهوتًا عمليًا يحاكي احتياجات تلك المرحلة ، التي تميزت بدخول أعداد كبيرة من اللاجئين الى مدينة جنيف، حيث كان راعيا لكنائسها". كما يؤكد الكاتب: "أنه بالرغم من أن المبادئ الأساسية للإصلاح الانجيلي ، وهي "الكتاب المقدس وحده"، "النعمة وحدها" ،"والايمان وحده"، كانت أسسا مشتركة للاصلاحات الثلاثة. لكن، بينما ، الاصلاح الأول والاصلاح الثاني، شدّدا أكثر على أهمية الخضوع لسلطة الكتاب المقدس، الدستور الوحيد للعقيدة والإيمان والحياة، إلا أن الاصلاح الثالث، تمّ في ظروف مختلفة فرضت نفسها على كلفن الراعي واللاهوتي، مما دفعه لتعديل مساره اللاهوتي والرعوي، والتشديد في كتاباته وتفسيراته لأسفار الكتاب المقدس، على

اختبارات وحاجات الفقراء بشكل عام ، فقراء جنيف وفقراء اللاجئين، والذي اعتبره الكاتب "هايكو أوبرمان" ، اصلاح من نوع جديد، لم يلوح فيه بعمق باقي المصلحين الانجيليين.

وفي كتابه "لاهوت كلفن، في اختباره بأن يكون غريباً"، يقول االكاتب "هرمان سيلدرهام"، "إن اختبار كلفن للغربة، وإيمانه بأن السماء هي موطنه الأصلي، قلّل من ارتباطاته القوية بالأرض وانتج عقلية سبّاقة". فكلفن بقي غريبا في جنيف معظم فترة خدمته، وهو لم يحصل على الجنسية إلاّ قبل ٩ سنوات من موته. في كثير من الأحيان، كان يقرأ كلفن الكتاب المقدس، من وجهة نظر انسان غريب لاجئ . قال كلفن: "نحن دائماً على الطريق". وبالتالي، كما فعل كاتب الرسالة الى العبرانيين، يذكرنا كلفن، بأن مسكننا الحقيقي ووطننا النهائي هو "المدينة التي لها الأساسات التي صانعها وبارئها الله" (عبرانيين ١١: ١٠). نظر كلفن إلى الحياة ، على أنها "نهر جارف " ، تقود الإنسان في مسالك وطرق لا يختارها. كما شبّه الحياة، بمجموعة متداخلة من الطرق، تضع الانسان في ضياع وتيهان، لصعوبة إيجاد الطريق الصحيح للخروج منه. هذه الصور، قد أولع كلفن في استخدامها، ليشير إلى عدم ضمانات الحياة وإحباطات التجربة البشرية. لكن كلفن يذكر، بأن االحل الوحيد للخروج من هذا الضياع والتيهان، لا يتحقق إلا بالايمان بالرب يسوع المسيح والعيش تحت سيادته، لأنه هو الذي يعطي المعنى للحياة . لقد نظر كلفن الى اختبارات اللجوء التي اختبرها ، في ضوء أمانة الله وليس أمانته هو. وبالتالي، في عالم مليء باللاجئين والمتألمين، في الماضي وفي يومنا هذا، فإن عقيدة كلفن حول سيادة الله، لم تكن تنفصل عن اختبارات الآلام الإنسانية، إذ وسط الألم، يستطيع المؤمن أن يختبر العناية الالهية، ويختبر بأن الله الكلي السيادة ،هو إلهًا صديقًا ومحبًا ومخلصًا له يرافقه وسط آلامه. فعقيدة سيادة الله، كانت سبب تعزية قوية لكلفن وسط اختباراته كلاجيء. يستشهد الكاتب "أوبرمان" ، بالتمهيد إلى الكتاب المقدس باللغة الفرنسية ، الذي دوّنه كلفن في مقدمة الكتاب عام ١٥٣٥، والذي يُظهر مدى تأثر كلفن، باختبار الشعب العبري، في السير والتيهان في صحراء سيناء لمدة ٤٠ سنة. وأيضا اختبارهم للغربة، خلال السبي. ثم يتوقف كلفن، عند مشاركة الله للشعب في اختبار اللجوء والحضور الدائم معهم ومرافقتهم والتنقل معهم ليلاً نهارً، وتزويدهم باحتياجاتهم.

القس سهيل سعود

في كتابه، "الأفكار"، ذكر الفيلسوف واللاهوتي الفرنسي بلايز باسكال، " أن إله المسيحيين ليس مجرّد إله مؤلف للحقائق الرياضية، وليس إله يمارس عنايته على الحياة ومصائر الناس، لكي يمنح الذين يعبدونه حياة سعيدة ومديدة، لكنه: إله ابراهيم، واسحق، ويعقوب. إله المسيحيين هو الاله الذي يملأ قلوب ونفوس الذين يمتلكهم. إنه إله يجعلهم يدركون شرّهم الداخلي، ورحمته اللامتناهية. إنه الإله الذي يتّحد في أعماق نفوسهم، ويملأها بالتواضع والفرح والتقوى والمحبة. إنه الإله الذي يجعلهم غير قادرين على فعل شيء، إلاّ من خلاله".

التجسد في مفهوم المصلحين

نؤمن أن يسوع المسيح، هو "الابن الأبدي لله، وليس ابن الله الأبدي"
في القرن الخامس قبل الميلاد، عرّف الفيلسوف، بوثيوس، "الأبدية"، على أنها: "الامتلاك التلقائي الكامل للحياة ،التي لا حدود لها". أطلق تسمية "الأبدي" على "من يفهم ويمتلك دفعة واحدة كل ملء الحياة التي لا حدود لها، ولا ينتقص منه أي شيء، لا في المستقبل ولا من الماضي". قال: "يقتضي على الأبدي، بالضرورة أن يكون حاضر دائمًا بذاته، ويملك حركة الزمن في الحاضر. ويعرف كل أحداث الماضي والمستقبل، وكأنها تحدث مباشرة أمام عينيه. انها معرفة اللحظة التي لا تنتهي."
صلى القديس أوغسطينوس الى الله قائلا، "سنيك هي يوم. ويومك هو اليوم. لا يخضع يومك للغد، ولا يتبع البارحة. فيومك هو الأبدية. في سمو الأبدية الدائمة أنت حاضر، أنت هو قبل كل الأشياء الماضية، وتتسامى على كل الأمور المستقبلية. فكل سنيك متزامنة في وقت واحد". تناول القديس أوغسطينوس في كتابه "إعترافات"، مسألة الزمن والأبدية. قال :" خلق الله الزمن، الذي هو بحكم التعريف، يسمح بالتغيير وتتابع الأمور المخلوقة. وُجد الزمن في سياق الخلق، لأن الله بطبيعته لا يتغيّر ولا يخضع لتأثير الزمن. فلا يمكن أن يكون أبديًا، ما قد يخضع للتغيير".
اعتقد أوغسطينوس أن الله ينظر الى الكون، فيرى كل شيء في لحظة واحدة، ويفهم كل ما يحدث في الزمن، في حاضر سرمدي ثابت. إن كان سيحدث في المستقبل، أو ان كان قد حدث في الماضي، لأنه ليس لدى الله سوى ما هو، أي الحاضر. وصف، رؤية الله لكل الزمن بنظرة واحدة في الحاضر، بالنظر الى شجرة طويلة، في العرض وليس في الطول. لأن النظر بالطول الى شجرة طويلة، لا يمكّنك

رؤية أولها وآخرها بنظرة واحدة. قال: "لا ينظر الله الى الزمن بالطول وإنما بالعرض، وكأنه ينظر الى شجرة طويلة أمامه. يرى أولها وآخرها في وقت واحد". أما القديس توما الأكويني، فقد قال: " الله في أبديته، يرى كل شيء في الحاضر، بشكل غير منقسم ولا مجزّأ. في نظرة واحدة يرى امامه كل مسار الزمن". قال أوغسطينوس، "يحتسب الزمن، بداية من آدم، سنة فسنة حتى اليوم الاخير الذي ينتهي فيه الزمن، لكن الله ينظر الى الزمن ككتلة واحدة دفعة واحدة. فما هو طويل بالنسبة لنا، هو قصير بالنسبة لله، وبالعكس. فليس هناك قياسات ولا أرقام في احتساب الله للزمن. لا فرق عند الله، بين الذين عاشوا في الماضي، والذين يعيشون في الحاضر وسيعيشون في المستقبل. الكل سيّان بالنسبة له. إن بداية العالم، ونصفه، ونهايته، ماثل أمامه في لحظة واحدة". عرّف أوغسطينوس "أبدية الله"، على أنها الفهم التلقائي للماضي والحاضر والمستقبل. فأبدية الله، هي الحاضر الأبدي الذي يعلو فوق الزمن". قال: "لا يمكن قياس الزمن من ما لم يوجد بعد. يقصرالمستقبل عندما يتمدّد الماضي، الى أن يكتمل المستقبل وكل شيء في الماضي". بعد هذه التعريفات، اعترف القديس اوغسطينوس، قائلاً : "لا زلت أجهل ما هو الزمن". في هذا السياق، تتوضّح لنا بعض الأقوال في الكتاب المقدس التي تتحدّث عن علاقة الله بالزمن، منها: قول الرسول بطرس، "ولكن لا يخف عليك هذا الشيء الواحد أن يوماً واحداً عند الرب كألف سنة. وألف سنة كيوم واحد" (٢بطرس٣: ٨). وقول المرنّم، "لأن ألف سنة في عينيك، مثل يوم أمس بعدما عبر" (مزمور٩٠: ٤ .).

فسّر المصلح مارتن لوثر، قول البشير يوحنا في بداية انجيله، "في البدء كان الكلمة. والكلمة كان عند الله. وكان الكلمة الله" (يوحنا١: ١) بالقول: "لا يمكن تصنيف "الكلمة" (اللوغوس)، ضمن تصنيف الزمن والخليقة. لأن كل ما هو غير مؤقت وغير زمني، فإنه يجب أن يكون من طبيعة أزلية. وكل ما لا بداية له، لا يمكن أن يكون في الزمن". سرد عملية "التجسّد" بقوله: "أقام الله في الازل، حواراً مع الكلمة، أي مع نفسه. لهذا، تبقى الكلمة ضمن الله، ولا تنفصل عنه أبداً. فالكلمة التي وجدت قبل بداية الزمن، ليست مجرّد صوت مزعج، لكنّها تحمل في كيانها طبيعة الجوهر الالهي، كونها كائنا روحيا خارج الزمن". علّمت البدعة الأريوسية التي ظهرت في القرن الرابع، بأن الكلمة الابن هي مخلوقة وليست أزلية. وبالتالي، انكرت أزلية المسيح، واعتبرته مخلوقا في زمن لاحق. علّم أريوس أن يسوع، هو "ابن الله الأبدي. وليس الابن الأبدي لله". الاّ أن الكنيسة بكل

تفرّعاتها نؤمن: أن يسوع المسيح، هو "الابن الأبدي لله. وليس ابن الله الأبدي ". يذكر قانون الايمان النيقاوي عن الكلمة الابن، الذي صاغه آباء الكنيسة ردا على البدعة الأريوسية، "نحن نؤمن...برب واحد يسوع المسيح. ابن الله الوحيد. المولود من الآب قبل كل الدهور... مولود غير مخلوق. ذو جوهر واحد مع الآب". وفي هذا المفهوم، للزمن الابدي الحاضر، فسّر مارتن لوثر قول المرنم في المزمور الثاني الذي وجده يتحدث عن المسيح: "أني أخبر من جهة قضاء الرب. قال لي: أنت ابني، أنا اليوم ولدتك" (مزمور٢: ٧). قال لوثر: يسوع هو الابن الأبدي، الذي لا بداية ولا نهاية له. وُلد في اليوم الأبدي. وأضاف، "ولادة الابن لها وجهين: الأول، خارج الزمن أي أبدي. والثاني، داخل الزمن، أي في التاريخ وفي الميلاد. شدّد على هذين الوجهين، للتأكيد على ايمان الكنيسة، أن يسوع المسيح، هو إلهًا حقيقيًا وانساناً حقيقيًا .

التجسّد: دخول الله الى الميزان

المصلح مارتن لوثر

شبّه المصلح الانجيلي مارتن لوثر، حدث التجسّد بدخول الله الى الميزان كيما يرجّح كفّة خلاصنا، بمواجهة ثقل كفّة خطايانا. قال، "يجب علينا نحن المسيحيين أن نعلم، أنه لو لم يكن الله في كفة الميزان ليعطيه وزناً، لكنّا سننزل الى تحت ونغرق في الكفّة الثانية. إن لم نؤمن ونقرّ أن الذي مات لأجلنا هو الله، وليس فقط إنسان، فإننا سنكون ضالّين. أما إذا ما وضعنا موت الله لأجلنا في الميزان، فإن كفّة الله تغرق وتنخفض، لكن كفّتنا نحن تعلو كالنور". أضاف، " كان من الممكن، أن يختار الله أن يكون خارج الميزان ولا يتجسّد، لكنه اختار أن يكون بشرا مثلنا في الميزان، كيما يخلّصنا من خطايانا". اعتقد لوثر، أنه حيث أن الله تجسّد في ابنه يسوع المسيح الذي مات لأجلنا على الصليب، فاننا نستطيع استخدام تعابير، مثل: "موت الله، دم الله، او ما شابه ذلك قال، "صحيح ان الله في طبيعته لا يمكن أن يموت، لكن بما أن الطبيعتين الالهية والانسانية متّحدتين في شخص المسيح، يمكننا أن نستخدم تلك التعابير، لأن الذي مات هو الانسان، الذي هو في جوهر الآب مع الله". ينشغف لوثر فرحًا عند اقتراب الاحتفال بعيد الميلاد. يقول، "إن قصّة الميلاد، تأتي بالخبر السار لنا، أن الله قد صعد الى الميزان من أجلنا، في الطفل يسوع الذي وُلد بالروح القدس من مريم العذراء".

في إحدى عظاته عن الميلاد، التي وعظها عام ١٥٣٠، سلّط لوثر الضوء على فقر وتواضع، عائلة يوسف ومريم وأنسبائهم. نظر الى التجسّد، على أنه ليس فقط حدثًا مغيّرًا للحياة، لكنه أمرًا يمكن أن تخسره، اذا ما كنت الى جانب الاغنياء والجشعين والمستبدين في هذا العالم. قال: "إذا ما أتى المسيح بصوت الأبواق، ووضع في مذود من ذهب، فانه من الممكن أن يكون ميلاده أمرًا فاخرًا ومميزًا، لكن لن يكون سبب تعزية لي. فاني أفضّل أن يأتي ويرتمي يسوع في حضن تلك العذراء التي لم يعطها العالم أية أهمية، لأنه بطريقة ميلاده هذه، أستطيع الآن أن آتي إليه، لأنه أعلن عن نفسه لي وللبؤساء، لكي لا يعطي انطباعًا أنه يأتي بقوة كبيرة وبهاء وحنكة على الطريقة الارستقراطية". تحدّث لوثر عن الطبيعية والتواضع التي ظهرت في ميلاد المسيح. قال، "في

الميلاد، نرى مدى عظمة صلاح الله الذي سعى قبل أي شيء آخر كيما يجعلنا لا نشعر باليأس، بل نثق ونتيقّن به. فليس هناك من عزاء أعطي للبشر أعظم من هذا العزاء، أن يصير الله إنساناً، طفلاً رضيعًا، يلعب في حضن تلك الأم التي أنعم الله عليها. فمن يمكنه أن يرى هذا المشهد دون أن يمتلئ بالعزاء؟ يضيف لوثر، "ألبس الله نفسه جسدنا، كيما نقترب منه دون خوف، ونؤمن أن هذا الطفل هو إله السماء والأرض، وهو يخلّصنا ويحبّنا، وهو واحد منّا". لقد ألبس الله نفسه جسدنا في المسيح، كيما يضع نفسه في كفة الميزان بمقابل خطايانا التي تقبع في كفة الميزان الأخرى، حتى به نخلص ونتبرّر. اعتقد لوثر، أن الذين يختبرون روح وفرح الميلاد هم الذين يعرفون هذه العقيدة جيدًا، ويعيشونها عمليا في حياتهم.

لم ير مارتن لوثر انفصالا بين، حدثي: المذود، والصليب". عُرف عن الواعظ الألماني الشهير هيلميت، قوله "إن المذود والصليب، مصنوعان من نفس نوع الخشب". قال لوثر، "ولد يسوع، وسط مآسينا وآلامنا، وعدم قدرتنا على فداء أنفسنا، الاّ أنه عندما تفشل قوة الانسان، تبدأ قوة الله. قال، "بالرغم من أن المسيح بدى وكأنه دون قوة على الصليب، إلاّ أنه كان قويًا وهزم الخطية والموت والعالم والجحيم بموته عليه". آمن لوثر، أن الله ولد في جسد بشريتنا في المسيح، كيما يخلّصنا ويرمّم ثغرة جسر العبور، بين الانسان الخاطىء والإله القدوس. تحدّث لوثر، عن اهمية تجسد الله في طفل المذود وتبعات هذا التجسّد له شخصيا. قال، "أن يكون يسوع ربا لي، يعني أن أؤمن، أنه فداني من خطاياي ومن إبليس والموت وكل شرّ. فالله الذي لبس جسدنا ودمنا، قد مات ميتة ملعونة على الصليب لأجلنا، وانتصر على قوة الخطيئة والموت والجحيم والشعور بالذنب، وقام في اليوم الثالث، وصعد الى السماء في الجسد. تمسّك لوثر، بالعقيدة الخلقدونية للتجسّد، التي أعلنت انه في شخص المسيح، طبيعتين غير منقسمتين، إلهية وإنسانية. فهو إله كامل وإنسان كامل. قال، "فقد حتّم الله على المسيح أن يكون له تلك الطبيعتين، لأنه يجب أن يكون إنساناً ليتألّم ويموت عنّا. وحتى يعتبر موته فداء لخطايانا، يجب أن يكون إلهًا. قال "إني أؤمن، أن يسوع المسيح، الإله الحقيقي، المولود من الآب قبل الدهور، الذي هو أيضًا إنساناً حقيقيًا، والذي وُلد من مريم العذراء، هو ربي والهي". أعلن لوثر، أنه على هذا الايمان تقوم الكنيسة أو تسقط فالايمان بعقيدة التجسّد، بأن الله أصبح إنساناً في المسيح، هو في صلب الايمان المسيحي. اعتقد إن انسانية المسيح، فتحت لنا الباب ليقترب الله منا ونقترب نحن منه. تحدّث عن تواصل سمات

الطبيعتين الالهية والانسانية في شخص المسيح. قال، "هذا التواصل بالسمات، لم يكن فقط مجرّد تواصل كلامي، بل قد حدث حقيقة في التجسّد". فكّر في تجسّد الله، في سياق ثالوثي للتشديد على أزلية وجود المسيح مع الآب والروح القدس. قال، "هناك تبادلاً مشتركًا بين طبيعتي المسيح الإلهية والإنسانية. فحقيقة وطريقة اتحاد الطبيعتين، لهما تبعات خلاصية على الانسان. فقد تألّم الله نفسه، ومات على الصليب في المسيح، لأجل خليقته التي ترزح تحت حمل الخطية الثقيل، وقام منتصرا من الموت، كيما ينال كل من يؤمن به الحياة الابدية". آمن، أن هذا الحدث المخلّص للانسان من خطاياه، قد تأسّس على محبة الله التي تفوق كل عقل. واعتقد، ان جماعة الايمان، هي التي تعيش في محبة الله، لأن محبة الله أعلنت في المسيح يسوع.

من الرسائل الميلادية المؤثّرة التي كتبها مارتن لوثر، رسالته الى الأمير يواكيم. فيواكيم كان في السادسة والعشرين من عمره، وكان يعاني، حالة من الكآبة واليأس والقنوط صرف لوثر بعض الوقت معه في الصلاة والحوار، وكلّمه بكلمات الانجيل المعزّية. ثم كتب له رسالة في يوم عيد الميلاد في ٢٥ كانون الأول عام ١٥٣٥. أظهر فيها أن عقيدة التجسّد، ليست جامدة ومنفصلة عن أمراض الحياة الانسانية، بل حيوية تصنع فرقا في الحياة، وتمنح فرحًا وراحة لمن يؤمن بها، أمثال الأمير يواكيم، الذي كان معذّبا في ضميره ومثقلاً باليأس والقنوط. جاء في الرسالة، "أيها الأمير يواكيم، ليعزك إلهنا القدير يسوع المسيح، برحمته في تجسّده. لقد تجسّد الله، ليمنحك التعزية، ويظهر ارادته الصالحة لبني البشر، كما رنّمت الملائكة، الوعّاظ الأوائل الذين بشّروا بولادة المسيح، قائلين: "المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرّة". فقد رضعت الرحمة في مذود. ليس الميلاد دعوة لإخلاء هذا العالم، نحو نوع من أنواع الخيال. ليس الميلاد صعودنا نحن الى السماء، لكنه نزول الله الينا من السماء. وحيث أن الله أتى الينا في المسيح، نحن لا نحتاج لسلالم، كسلم يعقوب، لنتسلّق الى السماء ونوجد في محضر الله، لكنه هو أتى إلينا. لم يأتِ الينا كإله غريب، وبحضور سحري يخيفنا ويرعبنا. ليس الله عدوًا لنا، لكنه أخونا". سأل لوثر الأمير يواكيم، "هل أنت خائف؟ اذن، تعال إليه وشاهده في حضن أمه مريم، تلك الأم الأكثر حلاوة وعدلاً، سترى كم هو عظيم صلاح الله. يجب أن تؤمن أن هذا الطفل لم يأت ليدينك، بل ليخلّصك". وأكمل لوثر، "لقد وضع الله عليه انسانيتنا ولبس جسدنا ودمنا، كيما يخلّصنا من خطايانا. لو كان الله عدوّنا يريد تدميرنا، فإنه ما كان انحنى نحونا، وأتى إلينا بمثل هذه

الطريقة. فمن خلال هذا الطفل، نحن أدركنا كيفية تعامل الله معنا. فالطفل يسوع هو عمّانوئيل، كيما يكون إلهًا لنا في الجلجثة. لن يتركك هذا الطفل أيها الأمير، منفيًا في حزنك ويأسك". حاول لوثر أن يخرج الأمير، من أزمة التركيز فقط على مشاعره ويأسه والانطواء على ذاته واحباطه، كيما يوجّهه الى الله الذي هو حاضر لاستقباله في طفل يسوع المسيح. توقف، عند اهمية حصوله على هذه المعرفة من الانجيل فقط ذكر في الرسالة، "هذا النوع من المعرفة لا يمكن أن يحصل الانسان عليها من الطبيعة أو العقلنة الانسانية. ليست المسألة فقط الإقرار بحضور الله، لأن حضور الله بدون الصليب وكلمة الوعد، سيرعبنا ويدمّرنا. فانه عندما نتمسّك بهذه المعرفة والعقيدة المسيحية، فإنه لن يهمّنا شيئًا، حتى لو سقط علينا الجحيم والشياطين". وأضاف، "نحن نؤمن ونتيقّن بهذا التعليم، لأنه لا ينبع من نظرية انسانية لكن من حقيقة أن الله معنا. فما الذي يمكنه أن يقلقنا ويؤثر علينا؟ إنه فقط الخطية والضمير المظلم، لكن يسوع قد خلّصنا من الخطية، لهذا لن يستطيع ابليس اخافتنا، لأن الأعظم من إبليس هو فينا. فمع أن ايماننا في بعض الاوقات يضعف، الاّ إن طفل بيت لحم ورجل الجلجثة، هو ابن الله، الذي أتى في الجسد كيما يدمّر أعمال إبليس. مما أورده أيضا لوثر في الرسالة، "نعم من الممكن أن يهاجم هذا العدو القديم ابليس ضمائرنا، ويحرّك علينا خطايانا التي كنا قد اعترفنا بها سابقا وغفرت لنا، كيما تعود وتقلقنا. نعم يمكنه أن يسكن ابليس فينا ، بأشباح الذكريات التي قد صنعناها بأنفسنا، إلاّ أنه لن يتمكن من التغلّب علينا، ولن يستطيع أن يؤذنا لأن لدينا ربا رضع من صدر مريم العذراء وعلّق على الصليب لأجلنا. دعا لوثر الأمير يواكيم، لكي لا يعتمد على قوته وقدراته الفكرية، وإنما على قوة يسوع المسيح، ومواعيده بواسطة الانجيل، كيما يعيش في ملكوته في برّ أبدي وطهارة وبركات سماوية. سعى لوثر أن يوصل للأمير هذه الرسالة القوية، "أنه اذا ما حاولت أن تفتّش عن الله خارج يسوع المسيح، فإنك ستنتهي مع إبليس فقط". دعاه الى الاعتراف لله بضعفه كيما تظهر فيه قوة المسيح . قال له: "يجب أن تعترف بضعفك، كيما تسكن فيك قوة الله. ففي ضعف طفل الميلاد ووضاعة المذود، وخزي الصليب، استخدم الله قوّته لإنقاذك لقد جعل المسيح نفسه صديقًا للخطاة، وإنضم الى ضعفنا وبؤسنا في التجسّد. فالمسيح يقف الى جانبنا حتى لو بدى لنا في بعض الاوقات أننا لم نعد قادرين لنجد القوة لنتمسك بها. ذكّره بقول الرسول بولس، "تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل"(٢ كورنثوس ١٢: ٩). ثم علّق قائلا ، "لم يكن

بولس يقدّم لنا تشجيعًا سطحيًا عندما نطق بتلك الكلمات، فهي ليست كلمات عاطفية، لكنها كلمات حقيقة. يمكن أن يكون ايماننا ضعيفًا ومهتزًا، لكن قوة المسيح هي مؤكدة ويقينية". وأضاف، "فقط بهذ الطريقة، يستطيع الله أن يطرد من فكرك وحياتك قوة الشك الشيطانية. لهذا، أن يكون هذا الطفل يسوع ربّا لك، يعني أنك تصالحت مع الله الذي يحبّك، ويدعوك لتطلبه من كل القلب، ويسمع لصلواتك ويجيبك لأجل المسيح ابنه، الذي يزوّدك بكل احتياجاتك ويخلّصك في يوم ضيقك". رأى لوثر، أن الكرازة بالله المتجسّد، هي حاجة ضرورية للكنيسة كيما بالاعتماد على الروح القدس، يمكن أن يتعرّف الناس على حقيقة معنى الحدث المعلن، ويختبروا الايمان الحقيقي بابن الله، الذي صار انسانا لأجلهم، وكيما يعيشوا العلاقة الأكثر حميمية مع المسيح.

عقيدة كلفن حول التجسد، تعكس لاهوتًا شرقيًا يشدّد على شفاء انسانيتنا بالمسيح

في كتابه "أسس الايمان المسيحي" يصف كلفن، بطريقة خلّاقة وسحر لا مثيل له، السبب الذي لأجله تجسّد الله وصار إنساناً في المسيح. قال "لم يكن المسيح متفرّجًا على حالتنا البشرية، بل كان مشاركًا فيها. في عظة ألقاها في كنيسة جينيف، عام ١٥٥٨، قال كلفن "لا شيء فينا، سوى الفساد والبرص الروحي. فماذا نفعل؟ والى اين نذهب؟ وممن نطلب المساعدة؟ فهل نطلبها من الملائكة؟ كلا. إنهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئًا من أجلنا. لهذا، يجب أن نسرع الى ربنا يسوع المسيح الذي أظهر استعداده، لأن يخسر جمال صورته، من رأسه الى أخمص قدميه. كان مستعداً أن يجرح، ويجلد، ويتوّج بالشوك، ويسمّر على الصليب، ويطعن بحربة في جنبه. فإننا بجلدته شفينا. في المسيح دواءنا الحقيقي، لهذا يجب أن نحتضنه بكل ما أوتينا من قوة، لأننا بدونه لن نعيش بسلام داخلي. وانما في المسيح، لدينا كل سبب كيما نعيش له، ونمجّده كل أيام حياتنا.

يمكننا تقسيم تعليم المصلح جان كلفن عن التجسّد، تحت ثلاثة عناوين رئيسية:

أولا، ضرورة التجسد.

ثانيا، طبيعة التجسد.

ثالثا، العلاقة بين التجسد والفداء.

ضرورة التجسّد

يقول كلفن، "حيث أن الانسان قد أخطأ الآن وسقط من النعمة الالهية، أصبح هناك ضرورة ماسة للتجسد. ومع أن الله لم يكن مجبراً على فعل ذلك، الاّ أنه صمّم أن يخلّص الانسان الساقط فالتجسد هو عمل حرية محبة الله. لقد أخلى الله نفسه، في جسد بشريتنا في المسيح، كيما يسد احتياجاتنا. علّق كلفن، على قول الرسول بولس، "لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح" (١تيموثاوس٢: ٥)، قائلا، "كان يمكن للرسول بولس أن يستبدل كلمة "الانسان"، عندما كتب "الإنسان يسوع المسيح"، بكلمة "الله"، لكن الروح القدس الذي كلّمه، أدرك أهمية ملائمة كلمة "الانسان"، لأنها العلاج المناسب لحالتنا الخاطئة. فاستخدام بولس لكلمة "الانسان"،

هو كيما يعلّمنا الروح القدس، أن الله قريب منّا، بل يلمسنا، كونه من حقيقة نسيج جسد بشريتنا. فقد تجسّد ابن الله بيننا وصار كواحد منا، كي لا يرتبك أحد حول سبيل الوصول اليه". وأكمل قائلا، "إن لم ندرك معنى انسانية المسيح، فإننا مثل اليهود، سوف نجدها حجر عثرة كبير". في تفسيره لقول البشير يوحنا، "والكلمة صار جسداً" (يوحنا١: ٣)، قال كلفن، "تحمل كلمة "جسدا"، "Sarks" "ساركس" باللغة اليونانية معنى قوياً جدا، فهي ترينا الى أية حالة وضيعة نزل ابن الله من أعالي مجده السماوي، وتجسّد من أجلنا. تصف الكلمة "ساركس"، المسافة الكبيرة الفاصلة بين المجد الروحي للكلمة التي صار جسدا، وقذارة جسد بشريتنا. لكن، بالرغم من ذلك، انحنى ابن الانسان انحناء كبيراً نحونا، كيما يتّخذ جسد بشريتنا المعتاد على الشرور الكثيرة، وضمّ في جسده: مجد الله غير المحدود، بجسدنا الملوّث بالخطية، كيما يخلّصنا ويفدينا على الصليب".

قال كلفن، "اقتضت الضرورة القصوى، على الذي سيكون وسيطنا، أن يكون إلهًا حقيقيًا وإنساناً حقيقيا. فآثامنا فصلت كالغيم بيننا وبين الله، وأبعدتنا بشكل كامل عن ملكوته. فالحالة البشرية الخاطئة التي تسكن الانسان، لن تمكّنه من الوصول الى الله دون وسيط إلهي إنساني. فالانسان مجبول بالخطية، ومغموس بفسادها القاتل، وهي لن تعده إلاّ بالموت والجحيم. فمَنْ من أولاد آدم، يمكنه الوصول الى الله؟ فإنهم، مثل أبيهم، يرتعبون من رؤية الله أو الملائكة؟ فلا يمكن لأي كان أن يكون قادرًا أن يتوسّط ويعيد السلام بيننا، إن لم ينتمي لله؟ لكن، حيث أنه ليس بمقدورنا أن نصعد الى الله في السماء، فقد كان من الضروري ان ينزل الله بنفسه إلينا الى الأرض في شخص ابنه يسوع المسيح، وأن يصبح واحداً منّا، يصبح عمانوئيل الله معنا، كيما بهذه الطريقة، تتصل بشكل متبادل ألوهيته بإنسانيتنا. لأنه لو لم يفعل الله هكذا، فإن قربه لن يكون كافياً، لنرجو أن يسكن هو بنفسه معنا، وذلك لأن الفرق كبير جدا، بين كثرة نجاستنا ودنسنا، ونقاء وقداسة الله الكاملة. فالمسيح المتجسّد لمس طبيعتنا الفاسدة، بقداسته المعدية.

قال كلفن، "ان خدمة يسوع في الاناجيل، تظهر لنا حقيقة انسانيته، لأنه يفهم انسانيتنا. إن معظم ما قام به على الارض، هدف الى اظهار كم هو قريب منا". شدّد، على أن الفداء الذي أتمّه على الصليب، قد حقّقه لنا بواسطة انسانيته. قال، "نحن نعلم أن طبيعتي المسيح الالهية

والانسانية، تشكّلتا في شخص واحد. وكل طبيعة حافظت على سماتها. فقد كانت الطبيعة الالهية صامتة، عندما كان على الطبيعة الانسانية أن تعمل لوحدها، كيما تحقق ما يتطلبه عمل الوسيط". في تعليقه على حياة وعمل المخلّص، قال كلفن "لم يحتج المسيح أن يختبر ما نختبره، ليقنعنا أنه يعرفنا ويهمنا ويتعاطف مع ضعفاتنا، لكنه قام بذلك لنتيقّن أنه يشجعنا في أوقات ظلمتنا. لم يكن يحتج ابن الله أن يعتاد على المشاعر الانسانية، الاّ أنه لن يتمكّن من اقناعنا إن لم يكن مستعداً لذلك، حتى عندما تضغط الآلام علينا، فإنه سيكون عزاؤنا المباشر، لأنه قد اختبر هذه الآلام قبلنا. وهكذا، يمكنه أن يتعاطف معنا وسط آلامنا وكأنه يتألّم معنا. لقد ذاق المسيح اختبارنا الانساني من الداخل، وبادلنا قوته وثقته، بمخاوفنا وضعفاتنا. لقد تحمّل المسيح حالتنا الانسانية الملعونة، كما هي في داخلنا. وبالتالي، فكل ما ينقصنا نجده في المسيح، وخلاصنا بكامل أجزاءه نفهمه في المسيح. لا يمكن أن نحصل على خلاصنا خارجاً عنه، فخلاصنا هو فقط في المسيح، كما قال الرسول بولس "ومنه أنتم بالمسيح يسوع، الذي صار لنا حكمة من الله، وبرًّا وقداسة وفداء" (١كورنثوس١: ٣٠). إذا ما أردنا قوة، فهي ضمن سلطانه. وإذا ما فتشنا عن نقاء، نجده في طريقة حبل أمه مريم العذراء به بالروح القدس. وإذا ما سعينا وراء لطف، نجده في ميلاده. لأنه في ولادته، صار شبيهاً لنا في كل شيء، كما يذكر كاتب الرسالة الى العبرانيين، "من ثم كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء، لكي يكون رحيماً، ورئيس كهنة أميناً في ما لله، حتى يكفّر عن خطايا الشعب. لأنه في ما هو قد تألّم مجرّباً، يقدر أن يعين المجرّبين" (عبرانيين٢: ١٧-١٨).

طبيعة التجسّد

تعكس عقيدة المصلح جان كلفن، حول التجسد، لاهوتاً شرقياً يشدّد على شفاء انسانيتنا بالمسيح. شارك كلفن، القديس أنسلم وآباء آخرين، في اعتقادهم أن تصحيح حالة الانسان الخاطئة، يجب أن تتمّ من قبل من يملك هذه الانسانية. الاّ أن الانسانية تفتقر لهذه الامكانية لتقوم بذلك، "لأن الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله" (رومية ٣: ٢٣). لكن هذه المعضلة التي لا حل لها، قد حلّت بشكل الهي من خلال التجسد. فالإبن أتى من الأعالي الى انسانيتنا، ليقوم لنا بما لا نستطيع نحن أن نقوم به بأنفسنا. أيضا شارك كلفن، القديس أثناسيوس اعتقاده، أن عقيدة التجسد يجب أن تُصاغ بشكل خلاصي. فقد ظهر المسيح في اسم وشخص الخطاة، كيما يحقق ما لم

نستطع أن نحققه. قدّم نفسه كذبيحة، ليس فقط كيما يهدىء غضب الله أبيه، وإنما أيضاً، كيما نصير حقيقة أولاده. لم يكتف المسيح بتقديم جسده ودمه على الصليب، لكنه أظهر استعداده، ليقف امام عرش دينونة الله باسم كل الخطاة، وأن يدان لأجلهم. فقد حمل المسيح ثقل آثامنا وخطايانا، لأنه يحمل اسمنا وطبيعتنا. فحتى أضعف المؤمنين، يمكنه أن ينظر الى المسيح ويجد فيه يقين النعمة والخلاص.

يأخذنا المصلح جان كلفن، بشكل مدهش في عمق أعماق سرّ التجسّد، ليقول، "أصبح الله واحداً منّا. أصبح جسدنا ولحمنا وعظامنا، فلا حاجة لنا لأن نسعى لهذا الوسيط، لأنه هو الذي سعى نحونا ووجدنا. لم يأت إلينا الله، بطريقة خارجة عنّا، بل من داخلنا، من جسد بشريتنا. يقول كلفن، "إن ما حققه المسيح لنا، ليس أمراً عادياً يستطيع أن يحققه آخرون. فقد كانت غاية المسيح، أن يعيدنا الى نعمة الله، وأن يجعل من أولاد البشر اولاداً لله، ومن ورثة الجحيم، ورثة لملكوته السماوي. فمن يستطع القيام بهذا، إن لم يكن، نفس شخص ابن الله هو ابن الانسان؟ فيأخذ ما لنا وينقله إليه، ويعطنا ما له وينقله إلينا، يجعل بنعمته ما هو من طبيعته، جزءاً من طبيعتنا. فيسوع ابن الله، اتّخذ لنفسه جسدا من جسدنا، ولحماً من لحمنا، وعظاماً من عظامنا، ليصبح واحداً منا. أخذ طبيعتنا لينقل الينا طبيعته، كيما نصبح بالمسيح أولاد الله وأولاد الانسان. فلا يمكن لله أن يكون أكثر قرباً من ذلك منا، أن يلبس جسد بشريتنا. لقد إتّخذ المسيح على عاتقه، مهمة أن يبتلع الموت. فمن غيره الذي هو الحياة، يمكنه أن يقوم بذلك؟ فمن غير البِرّ نفسه، يمكنه أن ينتصر على الخطية وقوات العالم والهواء؟ فأية قوة تستطيع أن تفعل هذا، إن لم تكن أقوى من قوة العالم والهواء؟ فلا وجود للحياة والبِرّ والسيادة والسلطان في السماء، إلاّ في الله وحده".

قال كلفن، "لم تكن مريم العذراء، مجرد وسيلة لانسانية كانت قد صنعت قبلاً في السماء، كما قال أحد الراديكاليين الأنابتست. لم يصبح المسيح انساناً من رحم العذراء، وانما في رحم العذراء. وهذا تضمن اختباره كل المشاعر التي يشعر بها البشر مع بعضهم البعض". علّق كلفن، على بكاء يسوع على لعازر عند القبر، قائلاً "عندما لبس ابن الله جسد بشريتنا، فإنه ارتضى أيضاً أن يلبس مشاعرنا الانسانية. فهو لم يختلف شيئاً عن إخوته، ما عدا الخطية. تصبح مشاعرنا خاطئة، عندما تتدفّق منا في بعض الاوقات دون حدود، لكن مشاعر المسيح لم تخطىء".

في تعليقه، على الصراع المرير الذي اختبره المسيح في بستان جثيماني، في ليلة القبض عليه (متى ٢٦: ٣٨-٤٦)، قال كلفن "إن الذين آمنوا بألوهية المسيح المطلقة، كان لديهم مشكلة مع اختبار المسيح في بستان جثماني. بدى لهم أن ما ذكره المسيح، "نفسي حزينة جدا حتى الموت" (متى ٢٦: ٣٨)، انتقاصاً من مجد ألوهيته. لم يتقبّلوا تأثّره بهذا الشكل الكبير، بالخوف والحزن أمام الموت. لهذا، فإنهم يحاولون ايجاد طريقة ما، للخروج بتفسير مقنع لما حدث". لكن اجابة كلفن لهم، إن محاولاتهم هي غير مجدية وغير ذكية. قال كلفن، "لقد جرّب المسيح بالخوف والقلق والحزن، فتنقّل في صلواته من صلاة الى اخرى، بين ارادة الله وارادته. صلّى أن يعبر كأس الموت عنه، إلاّ أنه عاد وامتحن نفسه وخضع لارادة الله. فغالباً ما يخلق الحزن والخوف الشديد ضباباً على عيوننا، فلا نرى الأمور دفعة واحدة. لكن صحّح المسيح موقفه وتراجع عن رغبته، أن يعبر هذا الكأس عنه، وخضع لارادة الله". اعتقد كلفن، أنه لم يكن خوف ورعب الموت الذي شعر فيه المسيح بقوة في بستان جثيماني، وإنما الخوف والرعب من هول الوقوف أمام محكمة الله الحقيقية. لهذا، لا عجب أن يشعر بما شعر به المسيح من الخوف الشديد والحزن، لأنه ليس هناك أمراً مخيفاً أكثر من الوقوع تحت غضب الله القاضي العادل، الذي غضبه هو أشد وطأة، من كل أنواع الموت. قال كلفن، "لم يتدرّب المسيح على تلك الصلوات، لكن قوة الحزن والخوف أطلقت فيه هذه الصلاة، بأن تعبر عنه هذه الكأس. إلاّ أنه عاد وصحّحها مباشرة، قائلا، "يا أبتاه، ان لم يكن أن تعبر عني هذه الكأس الاّ أن أشربها، فلتكن مشيئتك" (متى ٢٦: ٤٢). قال كلفن، "إذا ما كنا نخجل من خوف وحزن المسيح الذي شعر به، فإننا سوف نفقد فداءنا وخلاصنا. فالذين يدّعون أن ابن الله كان مجرّد من المشاعر الانسانية، فإنهم لا يعتبرونه انساناً بشكل جدي". في حين أنه في بعض الاوقات، تتمايز الارادتان الالهية والانسانية في المسيح عن بعضهما، لكن دون حصول تناقض او صراع بينهما. الاّ أنهما تعودان لتتناغما مع بعضهما، لتشكّلا سيمفونية الهية متناسقة.

العلاقة بين التجسّد والفداء

أن يتّخذ ابن الله جسد طبيعتنا البشرية، كيما يفدينا، هو أمرا محوريا بالنسبة للمصلح جان كلفن. سأل كلفن: "ماذا يعني أن الكلمة صار جسداً؟". ثم أجاب، "إن الدافع وراء ابن الله لاتّخاذ جسد بشريتنا، هو كيما يخلّصنا ويفدينا". في كتابه "أسس الايمان المسيحي"، ذكر كلفن، أن

المسيح صالحنا مع الله بمسيرة طاعته. فانه منذ أن، اتّخذ صورة عبد، وصار في شبه الناس (فيلبي٢: ٧) ابتدأ يدفع كلفة تحريرنا وفداءنا من الخطية، بقبوله أن يتعرّض لضعف الانسان وتجاربه. فمع ان المسيح، كان بلا خطية ولم يوجد في فمه غش، الاّ أنه أخذ ارادتنا المتمردة ثانية الى الله، وتحمّل نتائج قول آدم "سوف أحقق ارادتي" بارادته الطائعة لله، وقوله له "لتكن ارادتك يا الله". فالانسان الساقط غير مؤهل أن يقوم بالفداء. فقط الله المتجسد الذي وحده لم يعرف خطية، قادر أن يقدم نفسه ذبيحة فداء لأجلنا. لقد حمل المسيح كل ما هو خاطىء فينا. حمل كل الدينونة التي نستحقها، بموته على الصليب.

قال كلفن، "اتّخذ الابن اسمنا ومكاننا، وصار لعنة لأجلنا، كما قال الرسول بولس "المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا" (غلاطية٣: ١٣). خضع المسيح للّعنة، ليس في نفسه وانما فينا، على الصليب. حمل المسيح دينونة لعنة الموت، لأن أجرة الخطية هي موت". قدّم كلفن قصة آلام وموت المسيح، كدراما لاهوتية وتاريخية. قال، "حمل المسيح جريمة خطيتين: الأولى، التجديف، لأنه جعل نفسه معادلاً لله. والثانية، الخيانة: لأنه تمرّد على السلطات الشرعية. الاّ أن حقيقة الأمر أن المسيح لم يجدّف ولم يخن. تحمّل المسيح قصاص الله العادل على خطايانا، بالرغم من أنه أعلن بريئًا أمام المحكمة الانسانية، وهو كذلك أمام كل محكمة في السماء وعلى الار ض. حوكم وكأنه الانسان الخاطىء تحت شريعة الله. فمهما كانت غاية بيلاطس أثناء محاكمة المسيح، أراد الله أن تظهر برائته بهذه الطريقة، لينّضم لنا بشكل جلي، أن خطايانا قد دينت فيه". تحدّث كلفن، عن مدى الخزي الكبير، الذي تعرّض له المسيح أثناء آلامه وصلبه. قال "لكم، وبصق على وجهه، كيما يعيد الينا صورة الله التي أفسدتها بل دمّرتها الخطية. اعتبر أشدُ سوءًا من اللصوص، كيما يأتي بنا الى صحبة الملائكة. جرّد من ملابسه كيما نظهر مع الملائكة متسربلين بلباس برّه وملء صلاحه. صمت ولم يتفوّه بكلمة، عندما كانت تدفعه الكهنة ورؤساء الشعب من كل صوب وناحية، وذلك كيما بصمته، يفتح أفواهنا حتى نستطيع أن نصرخ بملء أصواتنا "يا أبّا الآب". قبل بصمت دينونة المحكمة السماوية التي أعلنت أنه مذنبًا، كيما يخلّصنا من ذنوبنا ويحمل دينونة الخطية عنّا. احتمل البشاعة على الأرض، كيما يقودنا بنعمته الى السماء، ويشرق لنا رحمته اللامتناهية. قال كلفن "على هذا الاساس الصلب يستند خلاصنا. هنا تظهر قمة، بل منتهى محبة المسيح لنا، "أحبّ خاصته الى المنتهى" (يوحنا١٣: ١) إنها أوضح شهادة عن محبة الله لنا، إذ

أنه لم يشفق على ابنه الحبيب، بل بذله على الصليب لأجلنا أجمعين. فالمسيح قدّم لنا كل ما هو ضروري لخلاصنا.

قال كلفن "لا أحد يستطيع أن يقرأ قصة الآلام في الأناجيل، دون أن يرى التبعات الخلاصية لهذه الآلام على الانسان. فعلى مسرح التاريخ، حصل التبادل بين ألوهية المسيح وإنسانيتنا. لأنه لو لم يفعل الله هكذا، فإن قربه لن يكون كافياً، لنرجو أن يسكن هو بنفسه معنا، وذلك لأن الفرق كبير جدا، بين كثرة نجاستنا ودنسنا، ونقاء وقداسة الله الكاملة. فالمسيح المتجسّد لمس طبيعتنا الفاسدة، بقداسته المعدية.

بعد تقديمه عقيدة التجسّد، يقول كلفن، "الايمان الصحيح، يستقى من ينابيع نعمة التجسّد. الايمان الصحيح، يوحّدنا بشكل مباشر بالمسيح الذي يعلن الانجيل تجسّده لأجل خلاصنا. لا يستطيع الانسان أن يسعى وراء يقين خلاصه، بشكل منفصل عن هذا الايمان الصحيح. الايمان الصحيح، لا يرى أن المسيح فقط مؤهل بشكل كامل ليكون مخلّص العالم، بل ليكون مخلّصيّ أنا". آمين.

"لا يمكن أن يكون أحد مسيحياً ان لم يقدّم نفسه ذبيحة لله"

المصلم جان كلفن

آمن كلفن، بسيادة الله على كل شيء في هذه الحياة. قال: "نحن لسنا متروكين في يدي الشيطان، فكل شيء هو تحت عيني الله". عرّف "العناية الالهية"، على أنها معرفة الله المسبقة، مقرونة باهتمامه بأولاده. إن ادراك كلفن لحقيقة الألم وتفسيره له بشكل ايجابي وليس سلبي، انسجم مع مفهومه للعناية الالهية. قال "نحن مدعوون لحمل الصليب بشكل مستمر، لأننا متبنّون من قبل الله في المسيح. نحن محسوبون مثل غنم للذبح. هل لا نشرب الكأس الذي أعدّه الله لنا". قال، "لا يمكن أن يكون أحد مسيحياً ان لم يقدّم نفسه ذبيحة لله. ليست عناية الله مجرّد تلطيف لآلامنا، وانما هي أيضاً حمل الصليب". وصف طبيعة العناية الالهية بقوله: "لا تعني العناية الالهية، مراقبة الله لآلامنا وضيقاتنا بشكل حيادي، وكأنه حارس يحفظ المفاتيح. وانما تعني انخراطه بشكل فاعل معنا، من خلال تعزيتنا وتقويتنا وتشجيعنا. فالله يتحكّم بكل الاحداث بعينيه ويديه". اعتقد كلفن أن الفهم الصحيح لعناية الله، مرفقا بثقة كاملة به، تحوّل الضيقات الى انتصارات للمؤمن. آمن كلفن، أن عناية الله تعني حفاظ الله على أرواح أولاده المؤمنين، وهم يمرّون في ضيقات وآلام التجارب. لم يفهم كلفن، العناية الالهية بشكل قدري. قال: "الله في كل نجاح وفي كل ضيقة. ليس هناك مكاناً للصدفة أو الحظ في شؤون الانسان". قال: "مع أن الاسباب الحقيقية للآلام والضيقات هي مخبأة عن عيوننا، إلّا انها معروفة لدى الله وتسير بناء لخطته ومعرفته المسبقة". وأضاف: "مع أن الأحداث المستقبلية، هي مجهولة لدينا وتميل بين جهة واخرى. إلّا أنه يبقى في قلوبنا يقين ثابت، أنه لا يحدث شيء ان لم يكن قد رآه الله وعرفه سابقاً". قال: "نحن لا نصاب بالآلام والضيقات بالصدفة وإنما بمعرفة الله، مع ذلك فالانسان غير معفي من مسؤولياته كإنسان. لأنه اذا ما كنا معفيين من مسؤولياتنا، تتحول العناية الالهية الى قدرية". قال، " يجب ألّا نتذمّر عندما تصيبنا الضيقات. الله يسرّ أن يخبّىء الأحداث المستقبلية عنا، كيما نقاومها وكأنها مشكّك في حدوثها. المطلوب منا، ألّا نتوقف عن معارضتها بعلاجات حاضرة. فعناية الله لا تلاقينا بطريقة مجرّدة، انما يغلّفها الله بطريقة ما".

حذّر كلفن من قصر الرؤية في النظر الى عناية الله، ورؤيتها بشكل سلبي. قال: "عناية الله سوف تساعد جماعة الايمان في ضيقاتهم وآلامهم ومصائبهم. يجب أن ينظر الانسان المؤمن، الى ما وراء الظروف المباشرة، التي تجعلنا: نغضب، ونقلق، ونفقد صبرنا، وتجعلنا نصاب باليأس والاحباط. على المسيحي، أن يتأمّل بعناية الله التى تشمل كل الحياة والكون. على المسيحيين أن يحتملوا الضيقات ويؤمنوا ان الله يريد الافضل لهم، مهما يبدو ذلك معاكسا للواقع المرئي. يجب علينا أن يدرك، أنّ ما نصبه لنا عدونا ابليس قد سمح به الله". اعتقد كلفن، أن الايمان بعناية الله يولّد الثقة ويحرّر جماعة الايمان، ليس فقط من القلق والخوف الشديد، وانما يحرّرهم أيضا من شعورهم أنهم ضحية الحظ والصدفة. وهكذا، يسلّمون أنفسهم بشكل كامل الى الله. فالتسليم الكامل لله، لا سيما في أوقات الضيقات هو دليل على حقيقة ايماننا المسيحي.

القس سهيل سعود

اهربوا الى الله، وليس منه

المصلح مارتن لوثر

في مقالة بعنوان "مارتن لوثر: الصلاة تواصل أصيل مع الله"، ركّزت الكاتبة ماري هامينغ على موضوع الصلاة في حياة وكتابات وتفاسير المصلح مارتن لوثر. تذكر الكاتبة هامينغ، أن الاكثرية الساحقة من الابحاث حول كتابات لوثر، ركّزت على عقيدة الكلمة، وعن تكلّم الله الينا. لكن ابحاثًا قليلة ركّزت على تكلّمنا نحن الى الله في الصلاة، مع أنه اعطى اهتمامًا كبيرًا لهذا الموضوع في وعظه وتفاسيره وكتاباته وتعاليمه وأحاديثه. آمن لوثر، أن الصلاة والشكر لله وتمجيده، هي من سمات: الكنيسة الحقيقية، والمسيحي الحقيقي. صاغت نظرته الى الصلاة، نظرته الى الله والحياة المسيحية.

هاجم لوثر عام ١٥٢٣ ، كتب الصلوات الكنسية الرائجة في كنيسة القرون الوسطى، معتبرًا أنها تقدّم تعاليم وعقائد مضرّة، تضلّل وتخدع المسيحي، وتزرع في اذهان البسطاء افكارًا خاطئة

عن الصلاة. وصفها قائلا، أنها: تعلّم ان الله سيسمع للمصلّين اذا ما كانوا مستحقّين. تشجّع الصلاة للقديسة مريم والقديسين. تعتبر الصلوات أعمالا صالحة. تعطي قيمة للتكرار. تحصر الصلوات فقط في الكهنة، معتبرة ان الصلوات هي بالدرجة الاولى مهمة الكاهن. دعا لوثر الجميع الى الصلاة قائلا، "على جميع المسيحيين، وليس الكهنة فقط أن يصلّوا. عليهم أن يرفعوا طلباتهم بإصرار الى الله، دون أن يكرّروا صلواتهم، بلا تفكير". شدّد، على ضرورة ادراك معنى الكلمات التي نرفعها، ومعرفة ماذا نصلّي لأجله. قال، "لم نكن نعلم في الماضي، كيف نصلّي. كنا فقط، نقرأ ونردّد الصلوات المدوّنة في كتب الصلوات الكنسية، دون تفكير. لكن يجب علينا أن نفكّر جيدا في كلماتنا، لكي لا تكون صلواتنا بشكل ميكانيكي.

قدّم لوثر في كتابه "الكاتخيسم الكبير"، ثلاثة أسباب موجبة للصلاة: الأول، الله يوصينا. الثاني، الله يعدنا بأن يصغي الينا. الثالث، الله يعطنا الكلمات. وبالتالي، آمن لوثر أن الله هو العامل الأول في صلواتنا. فكلمات الله، تعطي القوة لكلماتنا. اعتقد لوثر، أن الحوار مع الله، هو جزء اساسي من مفهوم الصلاة. قبل أن يعلّق لوثر، بنوده الاصلاحية الخمسة والتسعين على باب كنيسة جامعة ويتنبرغ في ٣١ تشرين الاول، من العام ١٥١٧، وعظ سلسلة من العظات حول الصلاة. جاء في بعضها: الله يبدأ الحوار، لكن يجب ألّا يبقى هذا الحوار أحاديًا. الله يفتح الباب لإقامة علاقة روحية مع أولاده. والضرورة الروحية تقتضي منهم التجاوب مع دعوة الله والدخول في الحوار معه". في تعليقه على صلاة المرنّم، "من الضيق دعوت الرب، فأجابني من الرحب" (مزمور١١٨: ٥)، خاطب لوثر الانسان المسيحي، قائلاً له، "يجب ألّا نشكّ ابدًا أن الله لا يعرف بضيقاتنا، لكنه يدعونا لنضع ثقتنا بشكل كامل فيه". وأضاف، "يجب أن تتعلّم أن تدعو الله. لا تجلس او تستلقي على أريكتك مهمومًا، تهزّ رأسك لا تدمّر نفسك بافكار القلق، أو تتقوقع في آلامك وبؤسك إرجع الى رشدك وارفع عينيك نحو السماء. إقرأ مزمورا ، أو إدع الله. القي بدموع اضطراباتك أمام الله وصلّي". وأكمل قائلا، "ان رغبة الله وارادته، أن تضع أمامه اضطراباتك وضيقك. إنه لا يريدك ان تضيف على ضيقاتك ضيقات أخرى، وترهق نفسك بحملها. فأنت أضعف من أن تحملها وتتغلّب عليها. انه يريدك ان تتقوّى بقوته ويتمجّد فيك ليعلم الجميع جيدًا، أن الله لا يرسل الضيقات ليدمّرنا، وانما ليدفعنا الى الصلاة حتى نتصارع مع ابليس والخطية، ونكون منتصرين بنعمة الله. فبدون هكذا اختبارات، لن نتعلّم ابدًا معنى: الايمان والنعمة والعبادة. في الصلاة، ورفع ايدينا نحو الله،

تكمن الذبائح الروحية الأكثر إرضاء له. وبمثل هكذا اختبارات، يصبح الناس مسيحيين حقيقيين".

اعتقد لوثر، أن قيمة الصلاة لا تكمن في كون أن الله سيسمعنا أم لا، لكن تكمن قيمتها في كونها وصية الله ووعده". قال "بالرغم من شعورنا بعدم استحقاقنا بسبب شرورنا، الأمر الذي يجعلنا مترددين في الصلاة. إلاّ أنه يجب ألا ننظر الى عدم استحقاقاتنا بل الى رغبة الله. فلا نجادل ان كنا مستحقين أم لا". وأضاف، "كما أن الله: يخلقنا، ويحفظنا، ويقوينا، ويقدسنا، دون أي استحقاق فينا، هكذا ايضاً فانه يسمع صلواتنا دون اي استحقاق فينا. كما أن علاقتنا مع المسيح هي هبة منه، هكذا ايضاً تواصلنا معه في الصلاة. فليس المطلوب منا ان نكون مستحقين، كيما نرفع صلواتنا الى الله. فليس الصلاة عملاً صالحً، يؤهلنا للاستحقاق امام الله، لكنه تواصلاً صادقًا معه". نصح الجميع، أن يهربوا الى الله وليس من الله. وصف الجحيم، على انها حالة الهروب من الله. قال، "لا تأتي الصلاة الى الانسان بشكل طبيعي. فنحن بالطبيعة، لا نحب أن ندعو الله، لا سيما انه في بعض الأوقات، يبدو وكأنه اله مستبدا. إلاّ أن تغيّرا مفاجئًا يحدث عندما نهرب الى الله بالصلاة. فعندما نهرب اليه، فبالرغم من أنه يبدو لنا اله غاضبًا ومنتقمًا، الاّ أننا نجد هناك اله رحوما يهتم بنا".

شدّد لوثر، على ضرورة تحديد موضوع الطلبات والصلوات، وعدم الاكتفاء باطلاق عبارات عامة. رفض روحنة طلبة، "أعطنا خبزنا كفاف يومنا" في الصلاة الربانية، وحصرها فقط بالصلاة من أجل الامور الروحية، الأمر الذي كان يحدث في تفسيرات الكنيسة في تلك المرحلة. قال، "هذه الطلبة، تدعونا لأن نصلّي لله من اجل حاجاتنا المادية والروحية، وليس فقط الروحية". وأضاف، " تحثّنا هذه الطلبة، للصلاة الى الله، من أجل: الغذاء، والماء، والمال، واختيار الشريك المناسب، والاولاد، والحاكم الصالح، والطقس الجيد، والسلام، والاصدقاء الأوفياء، والجيران الأمناء، وغير ذلك".

القس سهيل سعود

"حتى لو لم يستجب الله لصلواتنا، فانه يقوّينا"

المصلح مارتن لوثر

وصف لوثر الصلاة على انها ضرورة قصوى. دعا لوثر المسيحيين الى عدم الانخداع، بأقوال وإدعاءات شريرة، تفيد أنه لا حاجة للصلاة كون أن الله يمنحنا ما نريده لأنه يعرف احتياجاتنا. قال، "لماذا قد يوصينا الله بالصلاة، إن لم يكن لها فائدة لنا؟" اعتقد لوثر، أن طلبات جماعة الايمان يمكن أن تغيّر خطة الله. قال، "صلواتنا تحاول تغيير خطة الله، وتنجح بعض الأحيان في ذلك". اقتبس اختبار لوط عندما كان يعدّ نفسه للخروج من سدوم مع عائلته، وكيف أن ملاك الرب استجاب لرغبته بأن يهرب الى مدينة قريبة منه، بدلا من الهروب الى الجبل. يذكر النص أنه بينما كانت مدينة سدوم على وشك الاحتراق لتعاظم خطاياها، فإن الملاك طلب من لوط وعائلته أن يهربا الى الجبل، لكن لوط اجابه قائلاً: "لا يا سيد. هوذا عبدك قد وجد نعمة في عينيك، وعظّمت لطفك الذي صنعت اليّ باستبقاء نفسي. وأنا لا أقدر أن أهرب الى الجبل، ولعلّ الشر يدركني فأموت. هوذا المدينة هذه قريبة للهرب اليها. وهي صغيرة، أهرب الى هناك اليست هي صغيرة فتحيا نفسي؟ فقال له، إني قد رفعت وجهك في هذا الامر أيضاً، أن لا أقلب المدينة التي تكلّمت عنها. اسرع. أهرب الى هناك، لأني لا استطيع ان افعل شيئًا حتى تجيء الى هناك"(تكوين١٩: ١٨-٢٢). علّق لوثر على النص قائلا، "إن طلبة لوط قد غيّرت خطة الله ونيّته. فليتّخذوا من لوط مثالاً ويصلّوا. الاّ أنه عليهم، ألا يجادلوا حول تغيير الله السري لطلبته أم لا. اقتبس قول المرنّم "يعمل (الله) رضى خائفيه، ويسمع تضرّعهم فيخلّصهم" (مزمور١٤٥: ١٩). قال، "نحن لم نعلّم فقط بالوعود، وانما ايضاً بالمثال. وجد لوثر، ان طلبة لوط تتضمن ثلاثة ركائز أساسية للصلاة : الأولى، أعطت الشكر لله وذكرت البركات التي اختبرها لوط من الله، "هوذا عبدك قد وجد نعمة في عينيك وعظّمت لطفك الذي صنعت، باستبقاء نفسي" (تكوين١٩: ١٩). الثانية، ذكرت الحاجة. قال لوط، "أنا لا اقدر أن أهرب الى الجبل، لعل الشر يدركني فأموت" (تكوين١٩: ١٩). الثالثة، حدّدت الطلب. "هوذا المدينة هذه قريبة للهرب اليها وهي صغيرة" (تكوين١٩: ٢٠). ذكر لوثر في كتابه "الكاتخيسم

الكبير"، قائلا: "علينا أن نصلّي لله دون توقّف. علينا أن ننقر بأذنيه بصلواتنا، لأنه لا بد أن يكون هناك فائدة روحية لنا عندما نتواصل معه.

ميّز لوثر، بين أمور مؤكدة يقوم بها الله لنا، وأمور أخرى قد يصغي أو لا يصغي اليها الله. الأمور المؤكدة هي: أن الله يحفظنا في كلمته. يغفر خطايانا. يخلّصنا. يمنحنا الروح القدس. قال لوثر، "ارادة الله حول هذه الأمور، هي معلنة لنا سابقًا ومؤكدة. إلّا انه لا يمكن ان يكون لنا اليقين نفسه، حول معرفة ارادة الله في أمورنا المادية. مثلا، لا نعرف اذا ما كان الله يريدنا أن نختبر الفقر أو الغنى ولا ان كان وضعنا هذا يخدم مجد الله وخلاصنا". دعا لوثر، جماعة الايمان الى الصلاة الى الله وتحديد حاجاتنا، وترك رغبتنا لإرادته. قال، "في هذه الحالة، لن تكون الصلاة بلا فائدة كما يدّعي البعض، لأنه إن كان الله لا يساعدنا بحسب طلباتنا، إلّا أنه في نفس الوقت يقوّينا ويمنحنا النعمة والصبر، لكي نحتمل ضعفاتنا وفي النهاية نتغلب عليها. رأى لوثر، هذه الحقيقة الروحية في صلاة يسوع في بستان جثيماني. قال، "عندما صلّى يسوع الى الله كيما يرفع عنه كأس الموت، قائلاً: يا ابتاه إن امكن فلتعبر عني هذه الكأس" (متى٢٦: ٣٩). وبالرغم من أن الله لم يستجب لصلاته. الّا أنه ارسل ملاكه لكي يقوّيه بعدما صلّى، قائلا "ولكن ليس كما أريد أنا، بل كما تريد انت". اذ يذكر النص "وظهر له ملاك من السماء يقوّيه" (لوقا٢٢: ٤٣). توقف لوثر عند اختبار المسيح قائلا: "هذا ما سيحدث، اذا ما تأخر الله في الاستجابة لصلواتنا، أو ان لم يستجب. من الممكن أو غير الممكن أن يغيّر الله ارادته، لكن علينا المواظبة على الصلاة، لأنه سيقّوينا لنتحمّل كأس صعوباتنا". أيضا توقّف لوثر عند اختبار النبي موسى، الذي يظهر أنه بالرغم من أن موسى طلب من الله، بأن يسمح له بالدخول الى أرض الموعد، ولم يستجب الله لطلبته (لأنه لم يطعه في أمر ما)، الّا أنه سمح له أن يصعد الى الجبل وينظر الى فوق الاردن، ويرى أرض الموعد. كما طلب منه، أن يشجّع خليفته النبي يشوع الذي سيدخل الأرض بدلا عنه، ويعطيه أوامره (تثنية ٣: ٢٤-٢٨). علّق لوثر على النص قائلا، "مع أن الله لم يستجب لطلبة موسى الذي صلّى له في الروح (لأنه كان غاطبًا منه). الّا أنه لم يهجره، بل عاد واستجاب له بطريقة أخرى اذ أراه أرض الموعد. أكمل لوثر قائلا: "كتب هذا، ليكون مثالاً لتعزيتنا. فانه حتى وان كان لا يستجيب الله لصلواتنا في بعض الاوقات، إلّا انه يقوم بأمر ما كيما يقوّينا. نصح لوثر جماعة الايمان قائلا، "دعونا لا نشك، بأننا أعزاء على قلب الله.

لننظر الى عمل الله المخبأ تحت غضبه، لئلا نحبّط عندما لا يستجيب لصلواتنا. الله يسمع لصلواتنا بطريقة مختلفة عن رغبتنا، وانما بطريقة قد تريحنا".

القس سهيل سعود

ماذا يعني أن تؤمن من القلب؟ المصلح مارتن لوثر

"لأن القلب يؤمن به للبرّ، والفم يعترف به للخلاص"

(رومية ١٠: ٩-١٠)

آمن مارتن لوثر، أنه ليس هناك ايماناً حقيقياً بالله، إن لم ينخرط فيه كامل كيان الانسان. اعتقد أن اللاهوت والتعبّد، هما وجهان للايمان المسيحي. الأول، يتناول الأفكار والعقائد. والثاني، يتناول الممارسة والقلب. أعطى مساحة كبيرة، للقلب في علاقته مع الله، وفي حياته التعبدية. "القلب" في الكتاب المقدس، هو محور شخصية الانسان وموطن كل قواه: الذكاء، والمشاعر، والارادة، والشهوة. إلاّ أننا اليوم، نتحدّث عن الدماغ موطن التفكير. والقلب موطن المشاعر. إن التوجه الحديث لفصل المشاعر عن الافكار، والقلب عن الفكر هو مصطنع. بالنسبة للوثر، ليست المشاعر خالية من التفكير. القلب بالنسبة له، ليس فقط مشاعر دافئة، لكنه، قلباً ذكياً ومفكّراً.

شبّه لوثر "القلب"، بقارب في بحر هائج تضربه الرياح والعواصف الهائجة من زوايا العالم الأربعة. تحدّث لوثر عن العلاقة الحميمة بين الأفكار والمشاعر، في مقدمة كتابه "تفسير المزامير". قال "الافكار والمشاعر مترابطة، وهو تولّدُ بعضها البعض".وصف غنى المشاعر الموجودة في سفر المزامير، بقوله "يضع سفر المزامير أمامنا، قلوب القديسين وكنوز نفوسهم العميقة، لنتمكن من النظر اليها والتأمل بها". قارن قلوب القديسين بالحدائق الجميلة، التي تنبت فيها أزهار الافكار الساحرة والمفرحة حول الله. ذكر قائلا، "يتيح لنا سفر المزامير، امكانية النظر الى قلوبهم ورؤية نوعية الأفكار التي يفتكرون بها. فنعرف كيف كانت مواقفهم، ومشاعر قلوبهم في مختلف الاحوال والظروف التي مرّوا بها، وكيف وثقوا بالله: ان كان في أوقات الفرح والرجاء، أو في أوقات الخطر والضيق. فقلوب القديسين هي نبع كلماتهم وتصرفاتهم". قال، "كتبت كتابات كافية في الكتب، لكنها، لم ترَ طريقها الى القلوب".

قال لوثر،" أن نتكلم الى الله، يعني أن نفتح قلوبنا وننشر أمامه، ما يحتويه في أعماقه". وأضاف، "ليس هناك ايماناً بالله، دون أن تشعر به في القلب. فسماع الكلمة ومعرفتها لا يكفيان". عندما وعظ عن "قانون ايمان الرسل"، ردّد كلمة "القلب" ليس أقل من خمسة عشرة مرة، عند تفسيره عبارة: "وأؤمن بالروح القدس". قال "لا يمكن للنفس الكسولة، أن تشعر من

تلقاء ذاتها بما تقوله. إنه عمل الروح القدس، الذي يسكبه الله في قلوبنا، ويؤّهلها لتقبل الانجيل. لأن الذين يسمعون كلة الله، تنضرم قلوبهم بنار الروح القدس، فتشهد ان الايمان حقيقة فعلية". اقتبس قول الرسول بولس: "لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع. وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات، خلصت. لأن القلب يؤمن به للبر، والفم يعترف به للخلاص" (رومية ١٠: ٩-١٠).

أوضح لوثر، ما معنى "أن نؤمن بالقلب"، في كتابه، "ترتيب خدمة العبادة باللغة الالمانية". ان الأسلوب الذي اتّبعه في هذا الكتاب، هو أسلوب: السؤال والجواب. سأل "ماذا يعني أن تؤمن بالله؟". أجاب "يعني ان تثق به من كل قلبك، وأن تتوقّع من الله كل النعم والاحسان والمساعدة والتعزية، اليوم والى الابد". وعلى سؤال آخر، "ماذا يعني أن نؤمن بابنه يسوع المسيح؟". أجاب، "يعني أن نؤمن من القلب، أننا سنكون ضالين الى الابد، ان لم يمت المسيح من أجلنا".

كان لوثر رجل مشاعر في حياته وموهوبًا في التعبير عنها. لأهمية المشاعر في اختبار الايمان، عمل لوثر على ابراز المشاعر، عند ترجمته للكتاب المقدس من اللغتين العبرية واليونانية، الى لغة شعبه الألمانية. اعتقد أن مترجميّ الكتاب المقدس ينبغي أن يكونوا مؤهلين لهذا العمل الكبير. قال، "ليست الترجمة مهارة كل انسان. إنها تتطلب قلبًا متدرّبًا، مختبرًا، عالمًا، مستقيمًا، مكرّسًا، صادقًا، يخاف الله". أراد لوثر أن تصل كلمة الله، ليس فقط الى العقول، وإنما، أيضًا الى القلوب. عند تفسيره لقول المرنّم "أذبح لك (أقدّم ذبيحة) منتدبا. أحمد اسمك يا رب" (مزمور٥٤: ٦)، ذكر قائلاً: "يطلب النبي داود في هذا المزمور، مساعدة الله للمرنّم ضد أعدائه. ويعده بتقديم ذبيحة له". ترجم العدد الى اللغة الالمانية، على الشكل التالي: "سوف أقدّم لك ذبيحة فرح". وفسّره قائلا، "يرغب الله أن نفرح فيه، لأنه صالح، يملأنا قلوبنا بالسعادة والعزاء". هذا هو الله الذي اختبره لوثر. إنه أبًا محبًا ولطيفا ومعزّيًا ومعطي الفرح.

القس سهيل سعود

"اصلاح الروحانية"

المصلح مارتن لوثر

في مقالته "اصلاح مارتن لوثر للروحانية"، للكاتب سكوت هاندركس. يسلّط الكاتب الضوء على مفهوم "الروحانية" لدى المصلح مارتن لوثر. يقول، أن لوثر نادرا ما استخدم مصطلح "روحانية"، لأن هذا المفهوم ارتبط بالعديد من الطقوس والممارسات الكنسية السائدة، التي كان يرفضها لأنها لم تعكس المضمون الحقيقي للايمان المعلن في الانجيل. لهذا فضّل استخدام تعبير "الحياة الروحية". كتب العالم الكاثوليكي، جارد ريكس، عام ١٩٨٣، كتاباً بعنوان: "مارتن لوثر وتأثيره الروحي". قصد بتعبير "تأثير لوثر الروحي"، كل كتابات لوثر التي تخاطب الانسان المسيحي وتقوده الى حياة مسيحية اصيلة". بعده، كتب، الكاتب إريك غريتش، كتاباً بعنوان "الايمان في المسيح والانجيل: مجموعة مختارة من كتابات لوثر الروحية". استخدم في كتابه مصطلح "روحية"، للاشارة الى كتابات لوثر التي تزوّد الانسان المؤمن بدليل للعيش المسيحي، ولتمييز تلك الكتابات، عن كتابات لوثر الهجومية والاجتماعية والسياسية.

نظر لوثر الى الروحانية التي كانت سائدة في كنيسة القرون الوسطى، والتي قصد بها الممارسات والنشاطات الروحية التي كان يقوم بها رجال الدين، على انها لا تقدّم شيئًا للايمان المسيحي. وصفها أنها نشاطات مختارة من قبل الانسان، وليست موحى بها من الله. بعد اختباره كراهب في الدير لمدة عشرين سنة، والتزمه بصرامة وجدّية بكل طقوس ونشاطات الدير، أدرك لوثر أنه لم يكن لها قيمة في نظر الله. لهذا لم يعتبرها جوهرية للحياة المسيحية، ولا تقدّم شيئًا للحياة الروحية. قال: "لأكثر من عشرين سنة، كنت راهباً تقياً. قرأت القدّاس يومياً. أضعفت جسدي بالصوم والصلاة، حتى اعتقدت ان قواي لن تسعفني اذا ما اكملت على هذا النحو. لكن بالرغم من ذلك، لم تساعدني تلك الروحانية في حل أزمة صغيرة. كنت أقول للرب: تطلّع وكن منعماً يا رب. لكن، بعد بداية الاصلاح، صرت أرتعب عندما أفكّر في كل هذه الأمور". اعتبر لوثر، أن روحانية القداديس الكثيرة وسهرات الصلوات حتى منتصف الليل للقدّيسين، وتكريس الحياة لقديس معيّن، ورحلات الحج، ونظام التوبة مع صكوك غفرانها. لم تبرّر لوثر أمام الله، ولم تجلب له السلام وراحة الضمير.

بعد أربع سنوات من بدء حركة الاصلاح، دأب مارتن لوثر على تأسيس ما أسماه، "تقوى جديدة" أو اسلوب روحي جديد لممارسة الايمان المسيحي. لم يرد لوثر أن يؤسس كنيسة جديدة، وإنما روحانية جديدة. وفي غضون عشرة سنوات على اطلاقه حركة الاصلاح، كان لوثر قد الغى معظم تلك الممارسات والطقوس، في الكنائس التي تحوّلت الى الايمان الانجيلي في منطقة سكسوني. طبعا مع ابقاءه على بعض الممارسات التي اعتقد انها انسجمت مع مفهوم الكنيسة في الكتاب المقدس، مثل المعمودية وليتورجياتها. واهمية الاعتراف بالخطايا وتأكيد الغفران في الشكل الفردي والشكل الجماعي. تبنّى فقط سرّين للكنيسة: المعمودية والعشاء الرباني، ورفض اعتبار، الاسرار الخمسة الباقية، على أنها اسرار، واضعًا مفهومًا جديدًا للسرّ.أيضا، استمرّ في اتباع روزنامة الفصول الكنسية، وانما ابقى على الاعياد المسيحية الأكثر اهمية. كان توقّف الطقوس والممارسات التي لم يقتنع بانسجامها مع مفهومه للايمان، عملية تدريجية. مثلا، توقف في مدينته ويتنبرغ التي أطلق منها حركة الاصلاح، عادة جمع ذخائر القديسين، والقداديس الخاصة بحدود العام ١٥٢٥ أي بعد حوالي ثمانية سنوات من بدء الاصلاح. كما توقفت بشكل علني، ممارسات: التكريس الخاص لقديس معيّن، صلاة المسبحة، الماء المقدسة، وغيرها. لكن، استمرت لبعض الوقت، بعض الطقوس والممارسات بشكل خفي داخل الابواب المغلقة في منازل انجيلية. وهذا ما كشفه "سجلّ الزيارات" إذ شكّل قادة الاصلاح، مجموعات لزيارة البيوت الانجيلية، للتأكّد إن كان لا يزال فيها بعض مخلّفات الروحانية التقوية القديمة. الاّ أنه بمرور الزمن، توقّفت تلك الممارسات بشكل كامل في مدينة ويتنبرغ التي انطلق منها الاصلاح.

اعتقد لوثر ان الروحانية الحقيقية هي الارتباط الوثيق بشخص المسيح. إحدى النصوص الكتابية التي اختارها، للتحدّث عن الروحانية بمفهومه الجديد، هو نص انجيل يوحنا، حول الكرمة والأغصان (يوحنا ١٥: ١-١١)، اعتقد أن المسيح في هذا النص، يتكلم بشكل حصري عن ملكوته الروحي، لأنه بدون المسيح وبدون الثبات فيه، لا يستطيع الانسان أن يفعل شيئًا. دعا هذه الروحانية "الملكوت الروحي" أو "حقل الله". توقّف لوثر عند قول يسوع: "أنا الكرمة وأنتم الاغصان. الذي يثبت فيّ وأنا فيه، هذا يأتي بثمر كثير. لأنكم بدوني، لا تقدرون أن تفعلوا شيئًا" (يوحنا١٥: ٥)، قائلا: "يجب أن يولد في داخلنا، شخصًا جديدًا. يجب أن تحدث فينا ولادة جديدة. ليست المسيحية ثوبًا نلبسه، ولا تبنّي اسلوب جديد للعيش، كأسلوب الرهبنة الذي هو "قداسة ذاتية

مختارة"، لكنها ولادة جديدة بكل ما في الكلمة من معنى، ولادة روحية تحدثها كلمة الله وروحه فينا. وهذا يتحقق عندما يولد القلب في المسيح ويخرج منه ثمارًا صالحة، مثل: الوعظ والكرازة بالانجيل، سرّي الكنيسة، وأعمال المحبة والرحمة، وتصرفات مرئية تعكس ملكوت الله الروحي. ليست الحياة المسيحية شكلاً نحن نختاره للقداسة، لكنها تنبعث تلقائيًا من الولادة الجديدة التي اختبرناها في المسيح. فمن هذا التغيير الداخلي، تخرج كل الممارسات والنشاطات الخارجية التي تنسجم مع الايمان، وتمجدّ الله . عندما لا تغذّى الحياة المسيحية بسلوك وتصرفات وثمار تليق بمجد الله، فإنها تنشف".

ميّز لوثر، بين: الاعمال الصالحة التي يقوم بها الانسان المسيحي مدفوعًا بايمانه بالمسيح، والأعمال الصالحة التي يقوم بها غير المسيحي. قال، "أعمال المسيحي الصالحة، هي ثمرة ايمانه لانها تنبع من ارتباطه الوثيق بشخص المسيح، كارتباط وثبات الغصن في الكرمة. فالمسيحي الغصن في الكرمة يستمد حياته، من الحياة التي يضخّها فيه الكرمة المسيح، كما تضخّ الكرمة الخصوبة والحياة في الأغصان. عرّف الروحانية، قائلاً: " الروحانية هي: أن تعبد، وتعظ، وتشجّع، وتقوّي الضمائر المضطربة، وتعاقب المخطئين بحرمانهم من الاشتراك في العشاء الرباني، وتقوم بأعمال المحبة والرحمة، وتحمل الصليب". كتب قائلاً، "يصبح المسيحيون ثمارًا صالحة. ليس بجهودهم الذاتية، وإنما، بفضل المسيح. ويتحقق ذلك عندما يعظون بالكلمة ويشجّعون، ويتألّمون ويعزّون. وتابع قائلا: "الشفاه هي شفّتي المسيح. الألسن هي لسان المسيح. الأيادي الخادمة هي يديّ المسيح. لا يفعلون هذا، كأولاد آدم، وإنما كأولاد المسيح، لأن المسيح هو العامل فيهم أن يريدوا وأن يعملوا من أجل المسرّة".

اعتقد لوثر، أن العيش في ملكوت المسيح الروحي، يجعل الانسان المسيحي مميّزا عن الآخرين، لارتباطه الوثيق في شخص المسيح. لهذا، شدّد على أهمية الارتباط الوثيق بالمسيح بل التطعيم في المسيح، كما يطعّم الغصن في الكرمة. تحدث عن مدى وثاقة هذا الارتباط، بقوله: "يصبح المسيحيون الحقيقيون، رغيفًا واحدًا وجسدًا واحدًا مع المسيح، مشاركين في ملكوته الروحي. اعتقد لوثر، أن الروح القدس يلعب دورًا محوريًا في الروحانية المسيحية. قال "لا يستطيع الروح القدس أن ينقلنا الى الحياة الجديدة خارجًا عن المسيح". تحدّث عن اختباره قائلا: "عندما آمنت بالمسيح، اختبرت حلول الروح القدس. فأخذني مثل الطين والخزف وصاغني خليقة جديدة. تضمّنت

هذه الحياة الجديدة، قلباً جديداً، وفهماً جديداً، ومعرفة حقيقية جديدة عن الله، وثقة صادقة في نعمته. أن أولد من جديد يعني أن يكون قلبي، قد: تجدّد، وتغيّر، وثبت فيّ نبتة جديدة طعمّت في المسيح كالغصن في الكرمة، لأنمو فيه.

في بداية كتابه "الروح الخالق: تعاليم لوثر عن الروح القدس"، ذكر الكاتب ريجن برنتر "أن مفهوم الروح القدس يسود بشكل كامل على لاهوت لوثر".

ان جوهر روحانية الاصلاح الجديدة، التي جاء بها المصلح مارتن لوثر، هي الارتباط الوثيق في شخص المسيح. قال، "انه عمل الروح القدس الذي يخلق هذا الارتباط من خلال كلمة الله وسريّ الكنيسة. فلن يكون هناك عملاً حقيقياً للروح القدس فينا، إن لم يربطنا في المسيح".

القس سهيل سعود

الممارسات التقشفية هي نتيجة عمل الايمان، وليست السبيل لاختبار الايمان

المصلح مارتن لوثر

من أكثر المسائل التي صبغت لاهوت المصلح مارتن لوثر، عقيدة التبرير بالنعمة وحدها بواسطة الايمان وحده. اعتقد لوثر أن موقع حدث التبرير هو في عمق قلب الانسان وفي ادراكه، الأمر الذي يخرج خارجا دور أعمال الانسان الصالحة في السعي نحو خلاصه. كان تعليم الكنيسة أن الممارسات التقشفية الرهبانية، تخفّف من هول الضيقات الروحية والاحساس بالذنب والقلق والشعور بالخطية. الاّ أنه كراهب أوغسطيني التزم بكل الممارسات التقشفية التي فرضها نظام الرهبنة، اكتشف أنها لم تخفّف أبدا من صراعه الروحي الداخلي. عاش لوثر، في رعب من عبارة "برّ الله"، والتي تعني "عدالة الله"، التي نطق بها بولس "لأنه فيه معلن (برّ الله) بايمان لإيمان، كما هو مكتوب أما البار فبالايمان يحيا" (روميه١: ١٧). أزعجت تلك العبارة ضميره. قال "لقد كرهت هذه العبارة، لأني اعتقدت أن هذا الإله يريد أن يدفع بالخطاة خارجًا". تساءل: "ما هذه المهمة الشاقة، أن نأتي الى الله ونخترقه وسط غضبه؟ إنه مثل السير على طريق من الشوك، أو بين السهام والسيوف". تلك العبارة، جعلت لوثر ينظر الى الله على أنه إله غاضبا وديّانا يحاسبنا ويعاقبنا على آثامنا وخطايانا. الاّ أن اختباره لتبرير أو قبول الله له بالايمان وحده، غيّر نظرته الى الله من إله ديّان وغاضب الى إله رحمة ونعمة. أصرّ أن مشاعر: اليأس والرجاء، والغضب والرحمة، تحدث كلها في القلب والادراك الداخلي، حيث لا تستطيع ان تدخل اليها الممارسات التقشّفية والاعمال الصالحة لتعينها. قال، "هذه الازمة هي أزمة داخلية، والهنا يعمل في وقت الازمات والتوترات والصراعات التي لا تحتمل، فيفدينا وينقذنا بنعمته". ان هذا الاختبار الشخصي الروحي لتبرير الله له بالايمان وحده، غيّر كامل حياة مارتن لوثر، وصاغ جدول أعماله لحركة الاصلاح الانجيلي. لم يشعر لوثر بالراحة وسلام الضمير، إلاّ عندما أدرك بعمق معنى تلك العبارة. قال "بدأت أفهم أن برّ الله، الذي يحيا به الانسان، إنما هو عطية الروح القدس، التي هي الايمان. هذا الفهم جعلني أشعر وكأني ولدت من جديد. وكأني دخلت عبر بوابة كبيرة الى الجنة نفسها". لوثر "لا علاج للضمير المضطرب واليأس والموت الروحي، إلاّ اذا ما تمسّك بوعد النعمة المقدّم في

المسيح. هذا هو برّ الايمان. هذا هو برّ المسيحي. إنه برّ أقوى من أي برّ ذاتي أو شرائعي التي تعطيه الشريعة الموسوية. لأنه برّ النعمة والرحمة وغفران الخطايا. وصف لوثر تأثير هذا الاختبار الروحي عليه قائلاً، "من ذلك الوقت، تغيّر كل وجه الكتاب المقدس بالنسبة لي. فما قاله بولس في رسائله عن برّ الله، قد اكتسب معنى جديداً بالنسبة لي". قال

لا يقدّم لوثر دليلاً، أنه يفهم قدرة الممارسات التقشّفية على تغيير تصرفات وسلوك الانسان المعتاد عليها، لكنه اعتقد أنها تحجب عن الانسان ادراكه لخطاياه. كان اعتقاده هذا مخالفًا لاعتقاد القديس أوغسطينوس بأن الممارسات التقشفية تنتج ايماناً حقيقيًا. إن خبرة لوثر كراهب إتّبع كل الممارسات التقشفية وأنظمة الدير بالتدقيق، لم تؤثر على توبته واختباره لحدث التبرير بالايمان، وعلى قناعته بأن الانسان هو فاسد ومفلس روحيًا أمام الله. قال لوثر، "للقلب عيون ثاقبة، يجب ألا يستهن أحد بها. لهذا، يجب على القلب أن يكون مستعداً ليرى ويشعر بنعمة وصلاح الله، بالرغم من كون هذا مخفيّاً بشكل كامل عن العيون. يجب أن تشعر بصرخة الايمان في عمق قلبك، لأنه من هناك تتصل بالله". توافق لوثر مع لاهوت الكنيسة الذي نظر الى الجسم كممر للعبور الى نفس وروح الانسان. إلاّ أنه لم يتوافق معها، بأن هذا العبور يتم من خلال الممارسات التقشفية. قال لوثر، "إذا ما كانت الروح دون ايمان، فإن النفس ومعها كل الحياة، لا يمكن إلاّ أن تسقط في الآثام والشرور. وهكذا، تصبح كل أعمال الانسان شريرة ومدانة، حتى لو قتل نفسه بالصوم والممارسات التقشفية، وقام بكل الأعمال التي يقوم بها القديسون، فإنها كلها لن تنفعه شيئًا". وأضاف، "كيما نصبح حقيقة قديسين، من الضروري أن يحفظ الله، أولاً أرواحنا، ومن ثم نفوسنا واجسادنا، ليس فقط من الخطايا الظاهرة، وإنما أيضًا من الأعمال الزائفة التي قد تبدو صالحة".

وجد لوثر أن كلمة الله هي التي فعلت بقوة، في تكثيف ادراكه بأنه انسانا خاطئًا بحاجة الى نعمة الله. وأن الممارسات التقشفية وحياة القداسة والعفة هي نتيجة عمل الايمان، وليست السبيل لاختبار الايمان الحقيقي. إن تركيز لوثر على الادراك والوعي في حدث التبرير بالايمان، حوّل النظر عن اعتقاده السابق أن إخضاع الجسم بالممارسات التقشفية يوصل الى الايمان. قال لوثر، "الله الذي نؤمن به، ينظر الى أعماق قلوبنا، ويعين فقط المتألمين والمحتقرين، والبؤساء، والمساكين الذين يقرّون انهم مفلسون، وأن لا شيء لديهم. وهناك يولّد فيهم بالروح القدس

محبة قلبية له، فتفيض قلوبهم فرحا، وتقفز وترقص مختبرة السعادة الكبيرة التي وجدتها في الله". قال، "يجب أن نشعر أن طبيعة صراخنا الى الله، هي من نفس الطبيعة التي يستجيب لها الله. وهذا يقتضي منا أن نصرخ اليه، بصوت الايمان القلبي الحقيقي، لأننا لا نستطيع أن نتعزّى أو أن نرفع أيدينا بالصلاة الى الله، إن لم يتعزّى القلب أولا. والقلب يجد عزاؤه، عندما يسرع بالروح القدس الى إله غاضب ويطلب منه الرحمة والغفران وسط غضبه. يطلب منه أن يقاصصه، وفي نفس الوقت يتجرّأ أن يجد العزاء والسلام في صلاحه.

اعتقد لوثر، أن قوة كلمة الله، تكشف إفلاس الانسان الأخلاقي والروحي وفشل جهوده في اختبار الخلاص. كما أن تلازم الخوف والرعب الذي يرافق معرفته أن جهوده عاجزة عن تبريره أمام الله، هي التي تعدّه للايمان. قال، "تصبح كلمات الكتاب المقدس كلمة الله، فقط عندما تواجهنا، وتجعلنا ندرك عجز جهودنا البشرية في تبريرنا أمام الله". وأضاف: "ليست كلمة الله اعلاناً عاماً، لكنها الكلمة التي تواجه الانسان في حياته وظروفه لكي تصبح كلمة الله بالنسبة له تحديداً". تحدّث عن قوة كلمة الله المخلّصة. قال، "كلمة الله تواجه الانسان مباشرة، وتخلق فيه حدث التبرير بالايمان". وأضاف، "تكشف قوة كلمة الله، منظومة المخبّئات التي يجمعها الانسان معتقداً أنها تحميه من ادراكه لعجزه. إلاّ أنها ليست إلاّ غطاء النوم، الذي يغطّي به الولد الصغير وجهه عندما يخاف من العتمة. فلا تنكشف ظلمتنا وعتمة حياتنا إلاّ عندما تواجهنا كلمة الله، التي تمزّق ذلك الغطاء الذي نغطّي به ونخبّيء تحته مخبّئاتنا وشرورنا وخطايانا. ومن ثم تخلّصنا، وتغطّينا بغطاء برّ المسيح". رأى لوثر أن قوة كلمة الله هي محور قصة يونان. فكرازة يونان النبي بكلمة الله، لقادة وسكان مدينة نينوى، وثمار التوبة الجماعية، هي مثال رائع عن قوة كلمة الله وفعّاليتها في التغيير الكبير الذي تجريه في الحياة. وبدون التركيز على قوة الكلمة، تبدو قصة يونان بدون معنى. قال لوثر "الايمان الصحيح هو الذي يتمسّك ويتبع كلمة الله بعيون مغلقة ويؤمن بقدرتها على التغيير حتى لو كان كل الناس ضدها. حتى لو بدى أن السماء والارض ذاهبتان الى الزوال.

القس سهيل سعود

الأذن وليس العين، هي السبيل الى الايمان

لاهوت المصلح مارتن لوثر الانتربولوجي

في مقالتها، "مارتن لوثر:حول الجسم، والادراك، والكلمة"، ركّزت الكاتبة مارغريت مايلس، على إظهار لاهوت لوثر الانتربولوجي، النابع من ايمانه بعقيدة "التبرير بالايمان وحده" ، الأمر الذي كان لديه تبعات على تغيير نظرته الى دور بعض اجزاء جسم الانسان في ايصال الايمان الى الانسان. تبنّى لوثر، تقسيم الرسول بولس للانسان، على أنه مكوّن من: روح، ونفس، وجسم. عرّف "الروح"، على أنها الجزء الأسمى والأكثر نبلاً في الانسان، لأنها هي التي تؤمن. قال: "الروح هي موقع سكن الايمان وسكن كلمة الله. أما النفس، فمع أنها تتطابق في طبيعتها مع طبيعة الروح، لكنها تختلف عنها في المهمة. فالنفس، تعطي الحياة للجسم وتعمل من خلاله". وأضاف، "يمكن للنفس أن تعيش دون الجسم، الاّ أنه لا حياة للجسم دون النفس. أما الجسم، فتختلف طبيعته عن طبيعتي الروح والنفس. ومهمته تطبيق وتنفيذ ما تعرفه النفس. وهنا للتوضيح، أود شخصيا أن أميّز بين كلمتين متشابهتين نستخدمها باللغة العربية للاشارة الى نفس الشيء، هما: الجسم والجسد، اللتين تميّز بينهما اللغة اليونانية، وأيضا فعل لوثر. المقصود بالجسم، هو الجسم البشري بأعضائه وحواسه. أما الجسد، فبالرغم من أنه في بعض الأوقات، يقصد به أعضاء الجسم. الاّ أنه في كثير من الأوقات، يشير الى انعكاسات مجازية سلبية على الحياة المسيحية.

توقف لوثر، عند حالة الطبيعة البشرية، ما قبل وما بعد السقوط في الخطيئة، ليظهر التدمير الهائل الذي حصل لقوى الانسان بسببها، وليقدّم ديناميات عقيدة التبرير بالايمان وحده. آمن أن صورة الله في الانسان، كانت قبل السقوط، صورة البرّ والقداسة والحق. وبالتالي، كان الانسان ذو طبيعة اخلاقية سامية. قال لوثر، "قبل السقوط، كانت قدرات الانسان كاملة. كانت صورة الله التي خلق عليها آدم مميّزة ورائعة، لأنه لم يكن قد طالها بعد، برص الخطية: لا في الفكر

ولا في الارادة ولا في المشاعر. كانت جميعها من النوع الأكثر نقاء. كان فكره الأكثر وضوحا، وذاكرته الافضل، وارادته الاكثر استقامة. كان ينعم بسلام الضمير. لم يعرف القلق، ولا الخوف من الموت. أضف الى ذلك، فاقت قواه الجسدية، قوى المخلوقات الاخرى: كانت عيناه ثاقبتين، ضاهت عينيّ النسر. كان أقوى من الأسود والدببة، وتعامل معها كما يتعامل مع الجراء الصغار. لكن الخطية دمّرته وأثّرت على فكره وارادته ومشاعره وكل جسده. جعلته الخطية عاجزًا أن يسرع بنفسه الى المسيح". قال، "فقدت صورة الله في الانسان بشكل راديكالي في السقوط، حتى أنه لم يعد قادرًا حتى على معرفة كيف كانت تلك الصورة الالهية فيه قبلاً". وأضاف، "عندما نتحدّث عن صورة الله الأساسية في الانسان، فإننا نتكلّم عن شيء لا نعرفه، مع أننا نحب ذلك كثيرا، الاّ أننا نجد أن كلماتنا تفرغ للتحدث عن هذا الموضوع. فمن يستطيع أن يفهم معنى أن نعيش أحراراً من القلق والخوف والرعب أو ان نكون متحرّرين من الكوارث الروحية والجسدية؟ وبالتالي، لأننا لم نختبر سمات حالة الكمال الانساني التي كانت لنا قبل السقوط، فإننا نتوق لكي نحقق تلك الصورة في القيامة ولبس الجسد الممجّد التي وعدنا بها المسيح. وهذا سيتحقّق بالايمان بوعود الله لنا في الكتاب المقدس. أظهر لوثر الفرق بين الحالتين، كيما يجعل الانسان يأسف على حالته الحاضرة، ويبرز فيه الشوق العميق للإرتماء في أحضان المسيح، طبيب الانسان الأعظم.

اعتمد لوثر تصنيف الرسول بولس، في اعتبار أي جزء من الانسان، إما جسد أو روح. قال، في مقدمة تفسيره لرسالة روميه، " الجسد بحكم التعريف، هو ذلك الجانب من الانسان الذي لا يستطيع بحكم طبيعته أن يؤمن بكلمة الله ويقدّم نفسه لله. يجب أن نتعلّم أن ندعو "جسدي"، كل من: يفكّر ويعلّم ويتكلّم عن أمور طبيعتها روحية، لكن دون نعمة. فالجسد لا يشير فقط الى عدم القداسة، وإنما يشير أيضا الى كل الخطايا، وفوقها خطية عدم الايمان، التي هي الأسوأ بين كل الرذائل. فالانسان الجسدي، هو الذي يعمل ويعيش من الداخل والخارج في خدمة الجسد، ليستفيد منه في هذه الحياة المؤقتة". اعتقد لوثر أن الروح، لها علاقة بما يحدث داخل الانسان. قال: "الانسان الروحي، هو الذي يسكن في داخله روح الله الروح القدس، ويطلقه خارجا من أجل خدمة ملكوت الله والحياة الابدية. الانسان الروحي، هو الذي يوجّه محبته نحو الله، وينصرف بروح النعمة. رأى لوثر، أن الروح والجسد، يتنافسان بينهما على امتلاك الانسان. فعندما تنسجم النفس مع

الروح، يعمل الجسد كأداة لروح الله. وعندما لا تنسجم النفس مع الروح يعمل الانسان كأداة لابليس.

رفض لوثر اعتبار لاهوتيي القرون الوسطى، أن "العين" هي السبيل الى الايمان، وأنها العضو الجسدي الاكثر قدرة على فهم العمق الديني، واعتقد أن "الأذن" هي العضو الأكثر قدرة على فهم العمق الديني. كان لهذا الأمر، تأثيرا بالغ الاهمية على لاهوته الانتربولوجي. توافق مع لاهوت الكنيسة الذي نظر الى الجسم كممر للعبور الى نفس وروح الانسان. إلاّ أنه لم يتوافق معها، في التشديد على العيون لفهم العمق الديني. شدّدت الكنيسة على أهمية العيون التي ترى الصور الدينية والأيقونات والتماثيل الدينية لتستلهم منها الايمان، لكن لوثر اعتقد ان الأذن هو العضو المهم في نقل الايمان الصحيح. ان اهتمام لوثر في وعي وادراك الانسان الداخلي، يسبق ويحكم على كل النشاطات والتصرفات الخارجية التي تصدر عنه. كان اهتمامه بما يحدث في عمق قلب الانسان، ولم يهتّم كثيرًا للأمور الخارجية المرئية بالعين. اعتقد أن التصرفات الخارجية، إنما هي انعكاس وتعبير عن ما في داخل الانسان. مع أن لوثر لم يدعو الى التحطيم العنفي للصور الدينية من الكنائس أثناء حركة الاصلاح، إلاّ أنه كان مدركًا للمنطق الذي استخدمه بعض المصلحين الذي دعوا الى ازالتها. قال "لقد تعاملت مع موضوع تحطيم الصور، بتحطيمها وازالتها أولاً من القلب بواسطة كلمة الله، فصارت لا قيمة لها، لأنه عندما تزال الصور أولاً من القلب، فإنها لا تعود تؤذي العينين عندما تراها". انتقد بشدة المصلح كارلستادت، الذي عمل الى جانبه عند انطلاق حركة الاصلاح، الاّ أنه انفصل عنه، لبعض الأسباب ومنها، أنه كان من الداعين بقوة الى ازالة الصور من الكنائس. قال "إن كارلستادت قلب الترتيب الصحيح للامور. فأزال صور القديسين من العيون، لكنه تركها في قلوب المصلّين".

ميّز لوثر بين: كلمة الله المرئية بالعيون أو المكتوبة، وكلمة الله المسموعة بالأذن، أو الموعوظة. قال الرسول بولس، "فكيف يدعون بمن لم يؤمنوا به؟ وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به؟ وكيف يسمعون بلا كارز؟" (رومية ١٠: ١٤). قال، "ينقص النص المكتوب الموحى به من الله، قوة المخاطبة المباشرة للانسان، والتي هي سمة الكلمة الموعوظة والمسموعة، التي تتزامن مع العمل الروحي الداخلي للكلمة في التغيير". وأضاف، "يحدث الاصغاء لكلمة الله، عندما تصغي أذن السامع بصوت الواعظ، فتصبح أكثر تأثيرًا من الكلمة المكتوبة. فالكلمة المكتوبة، لا تنقل حدث

التبرير بالايمان، مثلما تنقله الكلمة المسموعة بالوعظ قال لوثر، "لم يوصِ المسيح الرسل بالكتابة، وإنما بالوعظ فالكلمة الموعوظة تواجه السامع: تسأله. تبكّته. تدينه. وتخلّصه". لهذا، يجب أن يوعظ بالانجيل بقوة. فمهمة الوعظ هي تحديدًا، ترجمة كلمة الله المكتوبة الى كلمات حيّة، تنقل السامع الى محضر الله. عندما يتأمّل السامع بالكلمة الموعوظة باندهاش وانتباه، تعمل النعمة الالهية في أعماق قلبه، والروح يحّيها ويخلق لها يدين ورجلين لتعمل عملها فينا.

القس سهيل سعود

صليب الألم

المصلح جان كلفن

في مقالته، "تفسير كلفن للآلام الانسانية"، Calvin`s Interpretations for Human Sufferings يبيّن اللاهوتي ثيودور مينيما، رأي المصلح جان كلفن، بأن الاسئلة التي تطرح عن الألم من الصعب جدا الاجابة عنها. قال كلفن: "لا نستطيع في بعض الأوقات، أن نجد سببًا مباشرًا للألم. لكن الواقع يعلّمنا، أن الألم يفرض نفسه علينا، ولا أحد يختاره. لهذا، يجب ألّا نتفاجأ من الآلام والضيقات التي تصيبنا، بل علينا أن نتوقّعها، لأن الآلام جزء من الحياة". وأضاف: "تجعلنا الضيقات والآلام، نشعر بالقلق والارباك والخوف، وتدفعنا لنسأل الكثير من الاسئلة الوجودية. لكن نعلم أن الله من خلال تلك الآلام، يقودنا الى امتحان الذات، ويجعلنا متواضعين وطائعين له". كان كلفن مدركًا لقساوة الألم، حتى على أكثر الناس قداسة. شبّهه، بالنار الحارقة. عند تفسيره لقول البشير متى في سفر أعمال الرسل، "ولما كملت أربعون سنة، ظهر له ملاك الرب في برية جبل سيناء، في لهيب نار عليقة" (أعمال الرسل٧: ٣٠). قال كلفن، "تحتاج النار لأن تضرم، لكي تحرقنا في هذه الحياة. إلّا أننا نؤمن أن الله في وسطنا، وسوف يحفظنا لكي لا تؤثر علينا الضيقات". قال كلفن: "حتى الرسول بولس نفسه، كاد أن يسقط في اليأس تحت وطأة الضيقات والآلام التي واجهته، لكن الله عضده وشجّعه حتى لا يسقط أقرّ بولس بصعوبة تحمّل الألم، حين قال: " أننا تثقّلنا جدًا فوق الطاقة حتى أيسنا من الحياة أيضا. لكن كان لنا في أنفسنا حكم الموت، لكي لا

نكون متّكلين على أنفسنا، بل على الله الذي يقيم الأموات، الذي نجّانا من موت مثل هذا. وهو ينجّي، الذي لنا الرجاء فيه أنه سينجّي فيما بعد" (٢كورنثوس١: ٦-٨). لكن بالرغم من حرق الألم لنا بناره، رأى كلفن، أن الألم يجعلنا، نلتفت الى الله. اقتبس قول النبي إشعياء: "ويكون في ذلك الوقت، أن مجد يعقوب يذلّ... في ذلك اليوم، يلتفت الانسان الى صانعه، وتنظر عيناه الى قدوس اسرائيل" (إشعياء١٧: ٤و٧).

حرص كلفن، أن يعرّف الألم وعلاقته بالعناية الالهية، بعبارات تضع الصدفة والحظّ خارجًا. اعتقد، أن الله في سيادته، يسمح بالألم، ويتحكّم به في حياة أولاده. قال، "الله يسمح للبعض بآلام لطيفة، والبعض الآخر بآلام قاسية. وعلينا أن نصلّي الى الله، كيما يلطّف آلامنا القاسية، وسيلطّفها إن كان بموجب إرادته. الاّ أن الله يرغب في النهاية، ان يزوّد الجميع بالصحة الروحية". لم يعط كلفن مساحة كبيرة للتساؤلات حول أسباب الآلام والضيقات، التي يصاب فيها جماعة الايمان وغيرهم. لكن كان همّه الأساسي، أن تصيغ تلك الآلام شخصيات مسيحية ناضجة، فلا ينعزلون عن الله والآخرين، وانما ينمون روحيًا في معرفته والعلاقة به. اعتقد ان النتيجة النهائية للألم، هي أهم من معرفة المتألّم للأسباب التي أدّت الى آلامه. آمن كلفن، مع القديس أوغسطينوس وباقي المصلحين، أن منبع آلام البشرية من بدء التكوين، هو حقيقة السقوط في الخطية، وما نشهده من آلام وضيقات هو النتائج المدمّرة للخطية على الحياة والكون.

أطلق كلفن على آلام المسيحي تسمية "صليب". ونظر الى صليب وآلام المسيح، كدواء لآلام البشرية من أمراض الخطيئة. وجد، في آلام وصليب المسيح، قيمة روحية شفائية للانسان. وهو السبب الذي دفع بالمسيح أن يتألم ويصلب من أجل خلاص الانسان. عندما حاول بطرس، أن يمنع الألم والصليب عن المسيح، بقطعه اذن ملخس عبد رئيس الكهنة، ليلة القبض عليه. قال يسوع لبطرس "اجعل سيفك في الغمد. الكأس التي اعطاني الآب، ألا أشربها؟" (يوحنا١٨: ١١). قارن بين صليب المسيح وصليب جماعة الايمان، قائلا:" يمكننا أن نختبر عزاء المسيح، حتى وان كنا نمرّ في ظروف صعبة وقاسية. فنحن نشارك المسيح في آلامه، حتى كما هو عبر من شرور هذا العالم الى المجد السماوي قبلنا، هكذا نعبر نحن ايضًا مثله، من الضيقات الى المجد نفسه".

آمن كلفن أن الانسان المسيحي يشارك من خلال شدائده وآلامه وصليبه، في آلام وشدائد صليب المسيح. قال: "البعض يجرّبون بصليب، والبعض بصليب آخر". اقتبس قول بولس: "الآن أفرح في

آلامي لأجلكم. وأكمّل نقائص شدائد المسيح في جسمي، لأجل جسده الذي هو الكنيسة" (كولوسي١: ٢٤). اعتقد، أنه كما تألم المسيح مرة في شخصه على الصليب، فإنه يتألم يومياً في آلام أولاده. قال، "ان مشاركتنا المسيح في حمل الصليب، تمتد أيضا الى آلامنا. وبهذه الطريقة نشارك في تلك الشدائد والآلام عينها التي اختبرها المسيح في جسمه".

استطاع كلفن، أن يستنبط بعض الأفكار الايجابية المعزيّة للانسان المسيحي المتألم. آمن أن النتائج الايجابية للألم على الصعيد الروحي، تطغى على النتائج السلبية. اقتبس قول بولس: "فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر، لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن" (روميه٨: ١٨). رأى في الألم قوة روحية شفائية. أعطى من اختبار النبي يونان، مثالا على ذلك قال، "الآلام التي اختبرها يونان، عند ابتلاع الحوت له وبقاءه في جوفه، ثلاثة أيام وثلاث ليال أنتجت له شفاء روحياً. فصلّى يونان من جوف الحوت قائلاً : "دعوت من ضيقي الرب، فاستجاب لي. صرخت من الهاوية، فسمعت صوتي" (يونان٢: ٢). وبالتالي، بعد أن كان يرفض طاعة الله بالكرازة بالتوبة لسكان مدينة نينوى، فانه بعد اختباره الألم، عاد وأطاع وصية الله وكرز للنينويين فتابوا. اعتقد كلفن أن آلام المسيحي تقوده في النهاية الى الخضوع لله بشكل اكبر، وتجعل منه وديعاً ومتواضعاً، وهكذا يسقط منه افتخار الجسد. فالتواضع يمنح في المحصّلة انتصاراً. اعتقد أن الألم يزيل الجهل الروحي. رأى أن المؤمنين والمؤمنات غير يائسين في ضيقاتهم، لأن ضميراً صالحاً يرافقهم ونهاية مباركة تنتظرهم. لذلك، تصبح الآلام مقبولة بسبب النهاية المباركة". اقتبس، قول الرسول بولس: " عالمين أن الضيق ينشأ صبراً. والصبر تزكية. والتزكية رجاء. والرجاء لا يخزي، لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا" (روميه٥: ٣-٥). فسّر فضيلة "الصبر"، على أنها ليست مجرّد الاستسلام السلبي للألم، ولكن المحاولة الفاعلة للتغلّب عليه، بالرجاء". عرّف تلك الفضيلة، على أنها "الروح الوديعة وسط الألم". قال: "عندما تحلّ فينا تلك الوداعة الداخلية التي يمنحها الروح القدس. والتعزية التي يوصلها الينا الروح نفسه، فإن الله يستبدلها بعنادنا". أكمل كلفن، "الى جانب الصبر، يوقظ فينا الألم رجاء، واتكالا على الله، ويركّز انظارنا على الحياة الأبدية".

القس سهيل سعود

آلام الاضطهاد لأجل المسيح

تحدّث كلفن عن آلام الاضطهاد لأجل المسيح. قال، "بالرغم من أن الألم يزيل السعادة ويجلب الأوجاع والاضطراب والعذاب، إلاّ ان العناية الالهية تساعدنا لتقبله". وأضاف، "بالرغم من مرارة هذا الألم، إلاّ أنه من خلاله نأتي الى ملكوت الله. فهناك نهاية سعيدة للآلام، حتى لو أدّت الى الموت". اقتبس قول بولس، "والضيقات التي تحتملونها بيّنة على قضاء الله العادل، أنكم تؤهّلون لملكوت الله الذي لأجله تتألمون أيضاً" (٢تسالونيكي١: ٤-٥). قال: "كلما كانت ضيقاتنا أكثر، كلما حثّتنا أكثر لأن نرفع رؤوسنا الى العلاء، الى أن يجمعنا الله في شركة مجده". في رسالته عام ١٥٥٩ الى السجناء الانجيليين في باريس "الهوغونوتس"، الذين سجنوا بسبب ايمانهم الانجيلي، وكانوا على طريق الاعدام، ذكر كلفن قائلاً: "لن تسوء حالتنا في موتنا، بل على العكس. فانه حتى لو كانت ارادة الله أن نختبر اقسى الآلام، فإنه سيحوّل آلامنا الى بركة وربح لنا". وأضاف: "يستغرب العقل الانساني، أن أولاد الله يصابون بالآلام والضيقات والذلّ، بينما الاشرار يتنعّمون بالراحة. والأكثر غرابة، أن خدّام الشيطان يدوسوننا تحت الأرجل، وينتصرون علينا. إلاّ أن عزاءنا أننا ننظر الى الرجاء الذي لنا في المسيح، ووعده أنه ليس فقط سيخلّصنا من آلامنا ،وانما أيضاً سيمسح الدموع من عيوننا". كتب عام ١٥٤٩، رسالة الى صديقه الصلم بيتر فيرميغلي مارتيز، حول الاضطهاد الذي يتعرّض له الانجيليون الهوغونوتس في فرنسا، قائلاً: "يجب ان ننتظر بصبر وهدوء الذي سينتقم لنا، والذي سيأتي في الوقت المعيّن". وفي رسالة عام ١٥٥٥ شجّع الكنيسة المضطهدة في باريس، قائلاً: "صحيح، يبدو الوقت طويلاً، خلال هذه الضيقات والآلام القاسية التي يمرّ بها أولاد الله في فرنسا، إلاّ أننا عندما نرفع عيوننا الى السماء، وندرك ان مخلصنا يسوع قد أعدّ لنا فيها منازل فيها، ونتذوّق الفرح السماوي، فإن هذا الامر يعزّينا". كتب رسالة تعزية، الى اللورد الانجيلي الانكليزي جان غراي، الذي اضطهدته الملكة الدموية ماري تودور، بذبح عائلته بوحشية، قائلاً له: "يصدم الناس الأتقياء بضربات وآلام قاسية بسبب ضعف الجسد، لكن الله يسمح بتلك الآلام، لكي تضرم الفضائل المسيحية التي أغدقها الله علينا". وأضاف، "يقسو الألم كثيراً علينا، عندما لا ننظر اليه من منظار أبدي".

هل كان لوثر يخطط للانفصال عن الكنيسة؟

.سؤال طُرِحَ في زمن الاصلام الانجيلي في القرن السادس عشر ولا يزال يُطْرَح حتى اليوم. هل أراد مارتن لوثر عندما علّق بنوده الاصلاحية الـ ٩٥ على باب كنيسة جامعة ويتنبرغ ، أن يعلن عن تأسيس كنيسة جديدة؟ وهل أراد أن يترك كنيسة حياته الى كان فيها راهبًا ورُسِمَ فيها كاهنًا؟ ساد تقليد اجتماعي زمن الاصلام أنه اذا ما أراد إنسان ما ، أن يعرض أفكاره أو يعلّقها كما فعل لوثر، فقد كانت تُفْهَم، على أنها دعوة للحوار والمناقشة اللاهوتية. وبالتالي، أراد لوثر من السلطات الكنسية، الدخول في حوار معه حول أرائه ووجهات نظره في بعض التعاليم والممارسات التي رآها لوثر خاطئة ، كيما يبدأ إصلاحًا من داخل الكنيسة الكاثوليكية .

لم يكتفِ لوثر بتعليق بنوده الاصلاحية، وإنما كتبها على رسالة وأرسلها الى رئيس أبرشيته ورئيس الأساقفة والكرسي البابوي في روما، داعيًا الجميع الى المناقشة والحوار من أجل خير الكنيسة. وبالتالي، هل من يقوم بكل هذه المحاولات كان يخطط للانفصال عن كنيسة روما وتأسيس كنيسة جديدة؟ لكن للأسف، لم يعطى أية فرصة للدفاع عن أرائه وأفكاره، بل كل مواقف وجهود السلطات الكنسية وعلى جميع المستويات، انصبت على محاولات إسكاته واخضاعه، والطلب منه التراجع والخضوع للسلطة الكنسية وإحراق كتبه والتخلّي عن آراءه ورؤيته للإصلام في الكنيسة.إن ردات فعل السلطات الكنيسة آنذاك، عندما أرسل بنوده الاصلاحية، كانت:

-1إرسال رسالة الى رئيس الدير الذي عاش فيه لوثر لمدة ست سنوات، بالطلب منه الزام لوثر: إما الخضوع والتراجع، أو الطرد من الدير. لكن رئيس الدير لم يرد أن يقوم بذلك، فاستقال من رئاسة الدير.

-2الطلب الى لوثر الحضور الى روما في مدة ستين يومًا للإجابة عن اتهامات الهرطقة الموجهة إليه.

-3طلب البابا من الامبراطور الروماني المقدس، شارل الخامس، استدعاء لوثر لمحاكمته في مجمع وارمس وعندما حضر لوثر الى مدينة ورمس عام ١٥٢١. طلب منه الامبراطور، بحضور الأمراء والسلطات الكنسية، حرق كتبه والتراجع عن أقواله وايقاف إصلاحه. أجاب لوثر بحضور كل السلاطين الروحية والزمنية وبجرأة بالغة، قائلا: "إن لم أقتنع في الكتاب المقدس والعقل السليم، لماذا علي أن

أتراجع، فاني لن أقبل أن أتراجع. ضميري أسير لكلمة الله. هنا أقف. لن أتراجع. فليساعدني الله".
وبعد هذا التصريح التاريخي، صدر القرار البابوي باخراج لوثر خارج الكنيسة واعلانه هرطوقيا، وصدر القرار الامبراطوري باعتبار لوثر خارجًا عن القانون .

يعتبر المؤرخون، أن تأسيس كنيسة جديدة أو كنائس انجيلية جديدة. تمّت بعد اخراج لوثر من الكنيسة والقانون. فكل محاولات لوثر للسعي للحوار من أجل إصلاح الكنيسة من الداخل، قد فشلت. وضع لوثرأمام خيار واحد وحيد، لا بدّ منه، فرأى نفسه مرغمًا على الشروع بتأسيس كنيسة جديدة، يحقّق فيها رؤيته لإصلاح، لتشبه الكنيسة الأولى كنيسة الرسل الذي يتحدث عنها كتاب أعمال الرسل، تستند الى تعاليم الكتاب المقدس وحده، وإنما هذه الرؤية الروحية ستتحقق الآن خارج الكنيسة. يرى بعض المؤرخين أن خروج كلفن الى خارج الكنيسة، كانت عملية مؤلمة وتدريجية، لكن السلطات الكنسية لم تكن مستعدة للإصغاء لما لديه ليقوله. ولم تظهر أي استعداد لتغيير موقفها.

قام الباحث الكاثوليكي "مكسورولي" عام ١٩٧٠، بدراسة لاهوتية لكتابات ومواقف، مصلحو الاصلاح الانجيلي في القرن السادس عشر. فاستنتج بأن الاصلاح الانجيلي، تضمّن الكثير من العناصر الايجابية لتجديد الكنيسة. البعض منها تم تقديره وتبنيه من قبل الكنيسة الكاثوليكية في المجمع الفاتيكاني الثاني في القرن العشرين. الا أن الأمر المأساوي، هو أن المصلحين لم يستطيعوا تنفيذ برنامجهم الاصلاحي في الكنيسة، بل فصلوا عن الشركة الكاملة عنها، وذلك بسبب إهمال بعض البابوات والأساقفة إطعام قطيعهم من غذاء كلمة الله. لهذا، يحلو لبعض المؤرخين الكاثوليك، أن يطلقوا على لوثر لقب المصلح الكاثوليكي.

لم يكن لوثر المصلح الوحيد الذي عملت الكنيسة على إسكاته وعدم الاصغاء لما لديه. بل مرّ على الكنيسة، لا سيما ، بين القرن الثاني عشر والخامس عشر، على الأقل، أربعة مصلحين على الأقل، رفعوا مبادىء اصلاحية مشابهة لمبادىء الاصلاح الانجيلي، وحاولوا اصلاح الكنيسة من الداخل ، هم: المصلح بيتر والدس (١١٧٦-١١٤٠). المصلح جان ويكليف (١٣٨٤-١٣٢٧). المصلح جان هاس (١٣٧٣-١٤١٥). المصلح جيرولامو سافونرولا (١٤٩٨-١٤٥٣). لكن لم يُصغى لهم، بل تمّ إسكاتهم.

من المفكرين واللاهوتيين الكاثوليك الذين برزوا في زمن الاصلاح، وكان معاصرًا لمارتن لوثر، المفكر الكبير ايرسموس، الذي كان راهبًا وعالمًا للكتاب المقدس. عندما ذهب ايرسموس الى

أوروبا، تعرّف على العديد من العلماء وأتباع التيار الأنسنوي الذي يشدّد على البحث العلمي ودراسة اللغات القديمة والفلسفات اليونانية. وقد نهل الكثير من المعرفة والثقافة اللاهوتية والفلسفية، وطوّر نظريته حول المسيح. صار ينتقد الممارسات الخاطئة في الكنيسة، موجها انتقاده الى قادة الكنيسة الذين كانوا يتسابقون على المناصب والنفوذ والسلطة والقوة، قائلا، بموقفهم هذا، هم ينكرون المسيح. اعتقد إن قادة الكنيسة ضحّوا بواجباتهم الروحية، من أجل طمعهم وشهواتهم وهكذا أساؤوا الى المسيحية بتصرفاتهم. هاجم ايرسموس الكهنة الفاسدين، الذين جعلوا من العبادة الدينية مجرّد عادة روتينية. ومن العقائد المسيحية، عقائد معقّدة. حلم ايرسموس بعبادة بسيطة في الكنيسة. قال بأن على الأسرار الكنسية، والكتاب المقدس، أن يكونا الباب الذي يقود الى المسيح، لكن الكهنة قلّلوا من أهميتهما، بالتركيز الزائد على الطقوس. في أحد كتبه، إتهم البابا يوليوس بالفساد.قبل أن يصبح المصلح مارتن لوثر معروفاً، وعظ ايرسموس عن التعلّق الحقيقي بالمسيح، من خلال التعلّق بالكتاب المقدس. قام بترجمة العهد الجديد. وقد استند مارتن لوثر على نسخته، في ترجمة العهد الجديد من اللغة اليونانية الى لغة شعبه الألمانية. دعا العلمانيين ليقرأوا الكتاب المقدس. قال على كل مسيحي أن يدرس حياة المسيح في الأناجيل ليعرف معنى المسيحية. أُعْجِبَ مارتن لوثر بايرسموس وأفكاره الاصلاحية. وفي العام ١٥٣٠، إبتدأ الاثنان يتجادلان في موضوع وكيفية الاصلاح. قال ايرسموس للوثر: "محبّة السلام هي سمة أساسية للمسيحي". لكن لوثر أجاب: "لن تصلح الكنيسة بالسلام". وبعد الكثير من المجادلات، وجد لوثر أن ايرسموس، فضّل أن يحافظ على سلامه ومعتقداته لنفسه، بدلاً من أن يقوم بحركة تغيير اصلاحية كبيرة في الكنيسة. إن مواقف ايرسموس حول ضرورة الاصلاح والتغيير لم تتعدّى الكلمات والانتقادات، لكنّه لم يقم بأي موقف جاد للتغيير، مع أنه رغب فيه. لكن موقف المصلح مارتن لوثر، هو أنه، "من لا يريد أن يضّحي بسلامه، لن يُحْدِث أي تغيير، لا في الكنيسة ولا في خارجها."

الانجيليون وحب الوطن

"عيد الاستقلال"

.قال الفيلسوف الانكليزي، "فريدريك هيجل"، "الشعور بالانتماء الوطني، هو الاسمنت الذي يربط ويثبّت المجتمعات الحديثة ببعضها البعض". فبعد أن كانت الشعوب في العصور السابقة، تقدّم ولاءها، لأشكال متعددة من الحكم والحكومات التي كانت سائدة، كالولاء للملك أو رئيس السلطة الاقطاعية، أو رئيس مجموعة دينية معينة، فقد استبدلت هذه الولاءات للأفراد، بالولاء للدولة الوطن، أرض الأجداد، الذي تحكمه قوانين ودساتير مشتركة. وهكذا لم يعد الوطن، دولة الملوك والأمراء والاقطاعيين، بل دولة الشعب. ومع أن العناصر المكونة للمواطنة أو الوطنية، لم تكن جديدة في التاريخ والتي أهمها: الانتماء، والحضارة المشتركة ،واللغة، وغيرها، التي رافقت الناس عبر التاريخ. إلا أنه تمّت هيكلة وتبويب هذه العناصر، لتصبح المكونات الرئيسية للوطنية الحديثة .

في مقالتها "المواطنة، الحداثة، والاصلاح البروتستانتي" ، للكاتبة السياسية "مارج أندرسون" عام ٢٠٠٨، تذكر الكاتبة ،أن الاصلاح البروتستانتي الذي انطلق في بداية القرن السادس عشر، ساهم في نمو الشعور بالوطنية والمواطنة. ففي كل دولة، دخلها الاصلاح، تأججت المشاعر الوطنية، إذ رفض البروتستانت التدخل الأجنبي في الحياة والممارسات في وطنهم. وحيث انتشر الانجيليون، تأسست كنائس وطنية، وقد كانت نظرتهم للمواطنة نظرة حديثة، تشبه نظرة اليوم."

بالرغم من أنه لا يستطيع أحد أن يشكك في دوافع المصلح الألماني مارتن لوثر الحقيقية للاصلاح، بأنها كانت دوافع: روحية،لاهوتية، وكتابية، إلا أنه لا يستطيع أحد أن ينكر أيضا، أنه رافق مبادئه الروحية، رسائل وطنية وسياسية مختلفة. من أهم هذه الرسائل، رسالته الشهيرة عام ١٥٣٠، "إلى النبلاء المسيحيين في الوطن الألماني"، التي دعا فيها الأمراء الألمان الى تبنّي الاصلاح الانجيلي والعمل على ادخاله في مناطق حكمهم ونفوذهم. كما دعا في رسالته الأمراء الألمان الى اتخاذ عدة تدابير واجراءات، تحافظ على مصالح مقاطعاتهم، التي كانت بمثابة أوطانهم، منها: ١-

إيقاف دفع الضرائب لروما. ٢-رفض أن يكون ولاء الأساقفة الألمان إلى البابا، الذي يعيش في بلد غير بلدهم، داعيا اياهم أن يكون ولاءهم لوطنهم. ٣-عدم تقديم الأساقفة نذورهم أمام البابا في بلاد ليست بلادهم. ٤-عدم رسامة الأساقفة من قبل البابا في روما، مبررًا ذلك بأن الأسقف في نظام المجلس النيقاوي التاريخي، كان يرسم من قبل أسقفين قريبين من المنطقة الجغرافية التي يرعاها الأسقف المنوي رسامته. ٥-عدم أخذ موافقات من الخارج من روما. وغيرها من الأمور الأخرى التي تشدد على أن تكون القرارات قرارات داخلية وطنية.

أما المصلح االسويسري، أولترخ زوينكلي، فقد عرف بعلاقاته الحميمية جدا مع قادة مدينة زوريخ، الذين بعدما اقتنعوا برسالته ووعظه، قرروا إدخال الاصلاح الى المدينة بطريقة عفوية وهادئة. هذا الموقف الايجابي من قبل حكام مدينة زوريخ، قابله موقف وطني من زوينكلي، الذي عمل على وضع دستور وطني: ديني ومدني مختلط، الأمر الذي كان مميزا في حركة الاصلاح الانجيلي في سويسرا. آمن زوينكلي ان الوعظ بالانجيل وطاعة الانجيل تجعل الناس يدركون لمسؤولياتهم وواجباتهم تجاه وطنهم. كما آمن أن الوطنية الحقيقية، لا تتحقق الا بوجود الحرية الدينية، التي لا تنفصل عن التقوى الحقيقية. من السمات التي عكست ولاء وانتماء زوينكلي للوطن، في الدستور الوطني، تعهد رجال الدين بولائهم للدولة الوطن، الأمر الذي كان مطلبا ملزما، لتعيينهم في خدمة الكنائس.

أما المصلح الفرنسي جان كلفن فقد ظهرت وطنيته جلية ،في مقدمة كتابه "أسس الدين المسيحي"، الذي كتبه ، اذ استهله برسالة أرسلها الى ملك وطنه الفرنسي مخاطبا اياه وقائلا، " نحن لسنا مذهبيون. نحن لسنا متمردون. نحن مواطنون مخلصون ومطيعون. نحن نحب بلدنا. ونحن أوفياء لقادتنا". كما ذكر في كتابه قائلا: "إذا ما أزيلت عطية الحاكم والوطن الثمينتين، للبشر، عندها علينا أن نعيش كـ "جرذان في القش". أيضا أضاف "لا يجب أن يشك أحد، بأن الوطن هو عطية من الله. بل هو دعوة منه ليست فقط، مقدسة وشرعية، وإنما دعوة الأكثر قداسة وشرفًا، في الحياة الانسانية". وقد اعتقد كلفن أنه ،احدى المهام الاساسية للكنيسة ،اعداد مواطنين صالحين، لمساعدة الدولة في مهامها .

يذكر أحد المؤرخين، أنه قبل زمن الاصلاح، فان احدى الاهتمامات الرئيسية، لحكام المقاطعات ، كانت جمع الضرائب من الناس، والتشديد على قدرات الناس للعمل. أما بعد الاصلاح الانجيلي، فقد

أصبح من صلب اهتمام الحكام، حضارة الوطن وثقافة مواطنيهم .

بمناسبة عيد الاستقلال ، نتقدم بجميع المواطنين، باحر التهاني القلبية، راجين ان يحفظ الله لنا أوطاننا تحت ستر جناحيه.

محاولة المفكر الكاثوليكي العظيم ايرسموس، اصلاح الكنيسة في زمن مارتن لوثر

من المفكرين واللاهوتيين الكاثوليك الذين برزوا في زمن الاصلاح وكان معاصراً لمارتن لوثر، المفكر ديسيدريوس ايرسموس (١٥٣٦-١٤٦٦)، الذي كان عالمًا في الكتاب المقدس. أعدّ طبعة جديدة للعهد الجديد من الكتاب المقدس، باللغة اليونانية. واقد استند مارتن لوثر عليها بشكل كبير في ترجمته للعهد الجديد الى لغة شعبه الألمانية. عندما ذهب ايرسموس الى أوروبا، تعرّف على العديد من العلماء وأتباع التيار الأنسنوي الذي يشدّد على البحث العلمي ودراسة الفلسفات القوية واللغات. طوّر نظريته حول المسيح. انتقد الممارسات الخاطئة في الكنيسة وقاد حركة لاصلاح الكنيسة. انتقد هذا اللاهوتي الكاثوليكي قادة الكنيسة آنذاك الذين كانوا يتسابقون الى المزيد من السلطة والقوة. وقال أنه بموقفهم هذا ينكرون المسيح. في أحد كتبه إتهم البابا يوليوس بالفساد. قال إن قادة الكنيسة ضحّوا بواجباتهم الروحية من أجل طمعهم وشهواتهم وهكذا أساؤوا الى المسيحية بتصرفاتهم. هاجم ايرسموس الكهنة الفاسدين الذين جعلوا من العبادة الدينية مجرّد عادة، وجعلوا العقائد المسيحية معقّدة. قال بأن على الأسرار والأناجيل أن تكون باباً الى المسيح، لكن الكهنة قلّلوا من أهميتها بالتركيز الزائد على الطقوس. حلم ذلك اللاهوتي الكاثوليكي العظيم ايرسموس الذي عاصر مارتن لوثر بعبادة بسيطة في الكنيسة. وقبل أن يصبح لوثر معروفًا، وعظ ايرسموس عن التعلّق الحقيقي بالمسيح من خلال التعلّق بالكتاب المقدس. وقال على كل مسيحي أن يدرس حياة المسيح في الأناجيل ليعرف معنى المسيحية. أُعْجِبَ لوثر بايرسموس واستخدم بعض تعاليمه. وفي العام ١٥٢٠، إبتدأ الاثنان يتجادلان في موضوع الاصلاح. ايرسموس لم يترك الكنيسة لأنه لم يرد أن يضّحي بمعتقداته لإجراء تغيير في بعض العقائد والممارسات. وقد رأى لوثر أن ايرسموس فضّل أن يحافظ على سلامة معتقداته لنفسه بدلاً من أن يقوم بحركة تغيير ثورية في الكنيسة، لأنه من لا يريد أن يضّحي بسلامه، لن يُحْدِث أي تغيير لا في الكنيسة ولا في خارجها. ايرسموس قال للوثر: "محبّة السلام هو موقف أساسي للمسيحي". لكن لوثر أجاب: "لن تصلح الكنيسة بالسلام". إن مواقف ايرسموس للكنيسة لم تتعدّى الكلمات والانتقادات. لكنّه لم يقم بأي موقف جاد لوقف الفساد مع أنه رغب في التغيير في داخل الكنيسة. وبقي في الكنيسة، ولم يرد أن يشارك لوثر في قيادة حركة اصلاحية مغيّرة.

لم يرد مارتن لوثر عندما علّق بنوده الاصلاحية الـ ٩٥ على باب كنيسة جامعة ويتنبرغ أن يعلن عن تأسيس كنيسة جديدة؟ ويترك كنيسة حياته التي كان فيها راهبًا ورُسِمَ فيها كاهنًا؟ إن عادة طرح إنسان ما لأفكاره أو تعليقها كما فعل لوثر كانت تُفْهَم على أنها دعوة للحوار والمناقشة اللاهوتية. وبالتالي، أراد لوثر من مسؤولي الطنيسة الكاثوليكية آنذاك، الدخول في حوار معهم حول أرائه في بعض التعاليم والممارسات التي رآها لوثر في الكنيسة كيما يبدأ إصلاحًا من داخل الكنيسة. ولم يكتفِ لوثر بتعليق بنوده الاصلاحية وإنما أرسل لنوده هذه الى رئيس أبرشيته ورئيس الأساقفة والكرسي البابوي في روما، داعيًا الجميع الى الحوار من أجل خير الكنيسة. هل من يرسل هذه الدعوات كلّها للمناقشة والحوار كان يخطط للانفصال عن كنيسة روما وتأسيس كنيسة جديدة؟ لكن لوثر، لم يعطى أي فرصة للدفاع عن أرائه وأفكاره. بل كل مواقف مسؤولي الكنيسة آنذاك كانت إسكاته والطلب منه التراجع والخضوع وإحراق كتبه والتخلّي عن آراءه ورؤيته للإصلاح في الكنيسة. إن ردات فعل مسؤولو الكنيسة آنذاك كانت:

-1إرسال رسالة الى رئيس الدير الذي كان فيه بالطلب منه الزام لوثر إما الخضوع لتصليحات الكنيسة والتراجع أو الصرف من الدير

-2الطلب الى لوثر الحضور الى روما في مدة ستين يومًا للإجابة عن اتهامات الهرطقة الموجهة إليه

-3طلب البابا من الامبراطور الروماني المقدس استدعاء لوثر لمحاكمته في مجمع وارمس وعندما حضر لوثر الى مدينة ورمس عام ١٥٢١ وطلب منه الامبراطور بحضور الأمراء والسلاطين والسلطة الكنسية حرق كتبه والتراجع عن أقواله وإصلاحه، أجاب بجرأة بالغة: "إن لم أقتنع في الكتاب المقدس والعقل السليم لن أقبل أن أتراجع. فضميري أسير لكلمة الله. هنا أقف لن أتراجع، فليساعدني الله". وبعد هذا التصريح الجريء صدر القرار البابوي باخراجه خارج الكنيسة والقرار الامبراطوري باعتباره خارجًا عن القانون .

يعتبر المؤرخون الموقف السلبي من لوثر بداية الاصلاح الانجيلي. وموقف لوثر بمثابة الاعلان عن تأسيس

كنيسة جديدة هي الكنيسة أو الكنائس الانجيلية. فلوثر الذي بذل جهوده للحوار من أجل إصلاح الكنيسة من الداخل، وضع أمام خيار واحد وحيد لا بدّ منه. فرأى نفسه مرغمًا على البدء بتأسيس كنيسة جديدة يحقّق فيها رؤيته لإصلاح وإنما الآن خارج الكنيسة. إن خروج كلفن خارج الكنيسة

كانت عملية مؤلمة وتدريجية، لا سيّما عندما أدرك أن الكنيسة آنذاك وضعت سلطتها وتقاليدها فوق الكتاب المقدس ولم تكن مستعدة لإصغاء لما لديه ليقوله. وبالتالي، لم تكن الكنيسة مستعدة آنذاك لتغيير موقفها.

استنتج الباحث الكاثوليكي "ماري مكسورولي" الذي قام بدراسة لاهوتية لمواقف لوثر عام ١٩٧٠، بأن الاصلاح الانجيلي تضمّن الكثير من العناصر الايجابية لتجديد الكنيسة. البعض منها تم تقديره وتبنيه من قبل الكنيسة الكاثوليكية في المجمع الفاتيكاني الثاني. الأمر المأساوي، هو أن المصلحين لم يستطيعوا تنفيذ برنامجهم الاصلاحي في الكنيسة، بل فصلوا عن الشركة الكاملة معها، وذلك بسبب إهمال بعض البابوات والأساقفة إطعام قطيعهم من غذاء كلمة الله.

القس سهيل سعود

من مارتن لوثر الى مارتن لوثر كينغ

تختلط على بعض الناس الأمور، فلا يميزون بين المصلح الألماني مارتن لوثر، والمصلح الأميركي من أصل نيجيري، مارتن لوثر كينغ.

١٦ كانون الثاني، هو يوم ذكرى مارتن لوثر كينغ، الذي برز في حقل اصلاح الحقوق المدنية في أميركا في القرن العشرين. و٣١ تشرين الأول، هو ذكرى بدء المصلح مارتن لوثر اصلاحه الانجيلي في القرن السادس عشر.

بدأت قصة المصلح الألماني مارتن لوثر عندما علّق في ٣١ الأول ١٥١٧ على باب كنيسة جامعة ويتنبرغ ٩٥ بندا اصلاحيا ودعا أساتذة الجامعة وقادة الكنيسة الى مناقشة لاهوتية كتابية لبنوده. فكانت تلك البنود الشرارة التي أطلقت حركة الاصلاح الانجيلي التي غيّرت وجه الكنيسة وبعض الدول الأوروبية وغير الأوروبية ، من نواح عديدة ، ان كان على الصعيد الكنسي أو اللاهوتي أو الاجتماعي أو التربوي أو الاقتصادي، أو غيرها من الأصعدة. أما قصة المصلح الأميركي مارتن لوثر كينغ، فقد بدأت عندما سافر والده القس مايكل كينغ عام ١٩٥٤، برفقة عدد من القساوسة الاميركيين من أصل أفريقي ذوي البشرة السوداء، لحضور مؤتمر كنسي في ألمانيا. أثناء المؤتمر، زار القس مايكل كينغ، المكان الذي ولد وعاش فيه المصلح الانجيلي مارتن لوثر، الذي أطلق حركة اصلاحه. وقد فكر كينغ بشجاعة وجرأة مارتن لوثر الذي ثار على ظلم السلطات الكنسية آنذاك وانتقد بقسوة استغلال الكنيسة الروحي والاقتصادي للناس من خلال بيع صكون الغفران. وعليه قاد حركة تغيير اصلاحية تركت بصماتها في اوروبا والعالم. وما أن عاد مايكل كينغ الى بلاده، حتى قرر تغيير اسمه واسم ابنه الذي كان لا يزال في الخامسة من عمره، ليتبنى الأب والابن اسم مارتن لوثر كينغ، تيمنا باسم المصلح الانجيلي مارتن لوثر.

قال بنيامين مايز، الذي قام بدراسة المعتقدات الدينية للجماعات الاميركية من أصل افريقي ذوي البشرة السوداء، "هناك تراثين وتوجهين لاهوتيين بين تلك الجماعات، حول النظرة الى الله . النظرة الاولى، تحمّل الألم والذل والمشقات بالتكّيف وقبول سوء المعاملة البيض لهم، معتبرين أن هذا الواقع هو مشيئة الله. والنظرة الأخرى، رفض تحمّل سوء معاملة البيض معهم باحتقار واذلال، فيشعرون بدعوة الله لهم، لرفض هكذا تعامل مسيء، ويرون في هذا الموقف الرافض للظلم، تحقيقا

لارادة الله. انتمى مارتن لوثر كينغ، الأب والابن الى النظرة الثانية والتراث اللاهوتي الثائر على الظلم، مع التشديد الكثير على ضرورة الالتزام بحياة الكنيسة وعبادة الله. لوثر كينغ الأب كان يحث زملائه من الرعاة المعمدانيين الذين تبنّوا النظرة الأولى، قائلا لهم "على الكنيسة أن تلمس كل جانب من جوانب حياة الناس. يجب علينا أن نقوم بشيء من أجل مساعدة الفقراء المنكسري القلوب، والأسرى والعميان والجرحى والعاطلين عن العمل. من التراث اللاهوتي الأول، الذي تبناه القس مارتن لوثر كينغ الأب، برز مارتن لوثر كينغ الابن ، الذي ترك بصماته في مجال الحقوق المدنية في أميركا في القرن العشرين.

عانى مارتن لوثر كينغ الابن شخصيا من مسألة التمييز العنصري. فانه عندما كان طفلا، كان صديقا لطفل أبيض البشرة يسكن أهله الى جانبهم. وعندما أصبح الطفل كينغ ستة سنوات أي في سن دخول المدرسة، انفصل الصديقان ليذهب كل منهما الى المدرسة المصنّفة بحسب لون البشرة بناء لقانون الدولة . ثم خسر صديقه لأن والده منعه من اللعب معه بسبب لونه. وفي اختبار اخر، عندما كان كينغ تلميذا ناضجا، استقلّ واستاذه باصا وجلسا على مقاعد شاغرة. وبعد قليل دخل الباص ركاب بيض. وبما أنه لم يعد هناك مقاعد شاغرة، أمره وأستاذه ، سائق الباص بالوقوف كيما يجلس الركاب البيض مكانهما. فغضب كينغ غضبا شديدا ولم يرد في بادئ الامر أن يقف، لكن أستاذه قال له، "هذه هي القوانين"، وهكذا اضطر للتخلي عن مقعده، ووقف في الباص.

يتشارك مارتن لوثر الالماني، ومارتن لوثر كينغ الأميركي، ما هو أهم وأعظم من مجرّد الاسم. الاثنان درسا اللاهوت وحصلا على دكتوره، مارتن لوثر في الكتاب المقدس، ومارتن لوثر كينغ في اللاهوت النظامي. الاثنان كانا راعيان لكنائس. الاثنان وضعا الكتاب المقدس اولوية أولى في حياتهما ومعتقداتهما. الاثنان تحلّا بشجاعة وجرأة كبيرة، لم يكن لها مثيل، متحدّين الموت في سبيل رسالتهما. مما لا شك فيه، أن لوثر الألماني شدد اكثر بكثير، على ضرورة العودة الى الكتاب المقدس ليكون المصدرالأول للعقيدة والايمان والحياة. ونتيجة لذلك طال اصلاحه جوانب متعددة من الحياة ، بينما اصلاح لوثر كينغ الأميركي انحصرفي المجال الاجتماعي، الذي هو الحقوق المدنية، للشعب الأسود والفقراء في أميركا. الا أنه من ضمن البنود الـ ٩٥ التي علّقها الألماني لوثر ، بنود تتعلق بالاهتمام بالفقراء، الأمر الذي كان في صلب اهتمام لوثر كينغ الاميركي. ففي البند رقم ٣٤ ، ذكر لوثر "على المسيحيين أن يدركوا أن من يعطي الفقراء ويقرض المحتاجين، يقوم

بعمل أفضل من الذي يشتري صكوك غفران" وفي النبد رقم ٤٥ ،ذكر "على المسيحيين أن يدركوا أن من يرى جاره في ضيقة (اقتصادية) ويشتري صكوك غفران، فهو لا يشترك في غفرانات البابا، انما يضع نفسه تحت غضب الله". فلوثر الألماني، كتب رسالة الى الحكّام البروتستنت قائلا لهم "ان مسؤولية كل مقاطعة تحكمون فيها، اعانة الفقراء وسد احتياجاتهم، فلا يجب ان يكون هناك فقراء يتسولون لكسب لقمة عيشهم حيث تحكمون".

استخدم لوثر كينغ الأميركي، العديد من الاستراتيجيات والمبادئ الاصلاحية التي استخدمها لوثر الالماني. من هذه المبادىء: مبدأ المساواة بين الناس، الذي نتج عن عقيدة كهنوت جميع المؤمنين، التي اعتبرت ان جميع الناس كهنة، أي متساوين أمام الله وأمام بعضهم البعض. مبدأ حرية الضمير وحرية المسيحي، الذي أبدع مارتن لوثر الالماني في وصفهما. قال لوثر كينغ، "الحرية أمر متكامل. اما أن نحصل عليها كلها، أو لا نحصل عليها". أيضا أضاف كينغ، "نحن ندرك من خلال الاختبارات الأليمة، أن الحرية لا تعطى طوعا من قبل الظالم، بل يجب أن تطلب من المظلوم". كما عرف بعبارته الشهيرة "وأخيرا أنا حر". كان لوثر كينغ يقتبس كثيرا من أقوال المسيح في اجتماعاته ، لا سيما تلك التي تشدد على استخدام أسلوب السلام واللاعنف، أمثال: قول المسيح في العظة على الجبل، "لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن، فحوّل له الآخر أيضا" (متى ٥: ٣٩). وقول المسيح لتلميذه بطرس الذي استخدم السيف وقطع اذن عبد رئيس الكهنة، "رد سيفك الى مكانه، لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون" (٢٦: ٥٢). قال لوثر كينغ في احدى عظاته، "باللاعنف نربح مناوئينا للصداقة معهم، ونتجنب اذلالهم". استند في دعوته الى رفض التمييز العنصري، والمطالبة بحقوق الفقراء والمتألمين، على مفهوم صليب المسيح، الذي رأى فيه اعلان خاص عن محبة الله، لأن الصليب يثبت، أن المحبة سوف يكون لها الكلمة الاخيرة، على الظلم وعدم العدالة. اعتقد كينغ، أن هذه المحبة هي الوحيدة القادرة على التغلب على الكراهية وتغيير عقول وقلوب الناس. أيضا قال لوثر كينغ، "الرحمة الحقيقة هي أكثر من رمي بعض النقود في وجه الفقراء، لكنها تكمن في الحاجة الى وضع بنية أنظمة وقوانين، لا تنتج فقراء يضطرون الى التسول. رأى كينغ في الصليب والقيامة قوة محررة، للانسان المسيحي، تدفعه للانخراط في شؤون حياة الناس.

بدأ لوثر المصلح الانجيلي اصلاحه، باستراتيجية الدعوة الى مناقشة علنية، لبعض الممارسات

والعقائد التي اعتبرها خاطئة في الكنيسة الكاثوليكية، والدعوة الى تصحيحها، من خلال تعليق بنود حولها على باب كنيسة جامعة ويتنبرغ (أي البنود ال ٩٥ الاصلاحية). وهكذا أيضا فعل لوثر كينغ الاميركي، الذي احتج على الممارسات الاجتماعية الخاطئة والظالمة بحق الشعب الأسود، والفقراء. ودعا الى تصحيحها من خلال القاء خطابات علنية، تركز على أخطاء تلك الممارسات، ودعوة مسؤولي قادة البلاد الأميركية الى تصحيحها. ولايصال رسالته الى آذان المسؤولين، نظّم مظاهرات ومسيرات وحملات، سلمية غير عنفية تعدّد عناوينها: من مسيرات رافضة للتمييز العنصري والعرقي، الى مسيرات لدعم الفقراء، ولدعم حقوق العمال، ولخلق فرص عمل، الى مسيرات من اجل الحرية، ومن اجل السلام، ومن أجل سحب القوات الأميركية التي ورّطتها الادارة الأميركية في حرب الفيتنام، وغيرها من العناوين الأخرى. صرف مارتن لوثر كينغ ١٣ سنة من الجهاد والنضال من اجل الحقوق المدنية وسجن ٣٩ مرة. وفي احدى المرات، دفع عنه صديقه الواعظ الانجيلي المشهور بيلي غراهام كفالة مالية لاخراجه من السجن. أسس مع بعض أصدقاءه، ما سمي بـ "مؤتمر القيادة المسيحية الجنوبية"، وهو تجمع من الكنائس الانجيلية التي يرتادها مسيحيون ذوي البشرة السوداء، لتشكيل قوة مجتمعية سلمية غير عنفية ضاغطة للتغيير. استلم قيادة هذا المؤتمر كل مدة حياته القصيرة. كما نسّق مع بعض اتحادات حقوق الانسان لتوسيع دائرة القوة الضاغطة. عندما كانت بعض المسيرات والمظاهرات تخرج عن اطارها السلمي، كان يطلب من الناس الالتزام بالقنوات القانونية للاحتجاج من اجل التغيير.

وسط كل نشاطاته وكفاحه في مجالات الحقوق المدنية وحقوق الانسان، لم يتخلى القس الدكتور مارتن لوثر كينغ عن دعوته الأولى بأن يكون واعظا بالانجيل. قال ، "قبل أن أصبح قائدا في مجال الحقوق المدنية والانسانية، كنت واعظا للانجيل. هذه كانت دعوتي الاولى، ولا تزال التزامي الأعظم في الحياة. ان خدمتي في هذا الحقل، تنبع من كونها جزءا من خدمتي المسيحية. ليس لدي أي طموح آخر في الحياة، الا أن أقدّم الأفضل في سبيل الخدمة المسيحية. لا خطة لدي للوصول الى أي مركز سياسي، بل أن ابقى فقط واعظا. وما أقوم به في هذا المجال، هو بسبب قناعتي، بأن على الواعظ، ان يهتم ليس فقط في الجانب الروحي للانسان، بل في كل جوانب حياة الانسان".

عرف القس الدكتور مارتن لوثر كينغ، بكونه خطيبا بليغا مؤثرا. كان له خطابات عدة أذكر منها خطابين مؤثرين: الأول "لدي حلم"، والثاني، "ذهبت الى أعلى قمة الجبل".

ألقى خطاب "لدي حلم" I have a dream، التاريخي الشهير في حشود كبيرة، أمام النصب التذكاري للمحرّر ابراهيم لينكولن، في مظاهرة من أجل الحرية. من العبارات التي ذكرها كينغ، "لدي حلم أنه في يوم من الأيام، فان هذه الامة سوف تستيقظ لترى بأنها تعيش حقيقة معاني قيمها وعقائدها. لدى حلم انه في يوم من الأيام، فان هذه الامة سوف تستيقظ لتدرك، بأن كل البشر قد خلقوا متساوين. لدى حلم انه في يوم من الأيام، ستستيقظ هذه الأمة لترى أن ولاية المسيسبي، حيث يسود التمييز العنصري والظلم، سوف تتحوّل الى واحة للحرية والعدالة. وأنه في ولاية ألاباما، فان الاطفال السود والبيض سيمسكون بأيدي بعضهم البعض ويسيرون كاخوة واخوات". ان خطاب مارتن لوثر كينغ التاريخي هذا، ساهم في وضع مسألة الحقوق المدنية في أولويات جدول أعمال الادارة الاميركية، وسهّل اقرار قانون الحقوق المدنية عام ١٩٦٤.

أما خطاب، "ذهبت الى أعلى قمة الجبل"، فقد كان خطابه الأخير. وقبل القاء هذا الخطاب، كان كينغ يخطط لحضور حفل ترانيم روحية، وقد طلب من الموسيقي بن برانش الذي سيعزف، أن يعزف له ترنيمة "خذ بيدي الهي العظيم"، بشكل جيّد ومتقن. أما سياق الخطاب، كان معارضة لوثر كينغ بشدة لتدخّل الادارة الاميركية في حرب الفيتنام. ففي وقت أن الكثير من منظمات حقوق الانسان، وأصدقائه، وحتى الرئيس الاميركي طلب منه الصمت في الموضوع ، لكنه رفض، وأصرّ على الانتقاد اللاذع للادارة الأميركية التي أرسلت قواتها للحرب في الفيتنام . استخدم كينغ عدة حجج لتبرير رفضه لهذا التدخل، منها: أولا، ادعاء الادارة الأميركية، بأنها تحارب من أجل الديموقراطية في بلد غريب في الفيتنام، في حين لا وجود للديموقراطية داخل البلاد بين شعبها ومواطنيها. ثانيا، ان المال الكثير الذي يصرف على التسلّح والقتال خارج البلاد، كان يجب أن يصرف على مشاريع اغاثة الفقراء والمحتاجين من أبناء وبنات الوطن. وبسبب موقفه الراسخ هذا، تعرّض لتهديدات كثيرة بقتله. وعندما شعر لوثر كينغ بأن حياته قد تنتهي بأية لحظة، بسبب التهديدات الكثيرة التي يتعرض لها، كتب بعض الأفكار وأوصى بقراءتها، في خدمة جنازته، اذا ما تمّ اغتياله . قال، "أذكروا أني أعطيت حياتي للخدمة. أطعمت الجياع، كسيت العريان، حاولت أن أحب وأخدم الانسانية". لقد كنت مسؤولا عن فرقة موسيقية لقرع الطبول، فاذكروا "أني قرعت طبول: العدالة والسلام والصلاح، وأردت أن أترك حياة مكرسة".

وعندما حان وقت خطابه الأخير،"ذهبت الى أعلى قمة الجبل"، الذي ألقاه في مركز ادارة كنيسة الله

في المسيح، في الليلة الأخيرة قبل اغتياله في ٣ نيسان ١٩٦٨ . فانه من التعابير المؤثرة التي ذكرها، كانت "مما لا شك فيه أني أرغب أن اعيش حياة طويلة. لكن ليس هذا هو همي الأساسي الآن. كل ما أريد الآن، هو أن أصنع ارادة الله. لقد سمح لي الله أن أذهب الى أعلى قمة الجبل، وأعاين من هناك أرض الموعد. ربما لن أصل الى هناك، لكن أريدكم ان تعلموا الليلة، بأننا نحن كشعب سوف نصل الى أرض الموعد. لهذا فأنا سعيد الليلة ولا أكترث لأي شيء آخر. لا أخاف من انسان. لقد رأت عيناي مجد مجيء الرب". وفي اليوم الثاني من الخطاب، في ٤ نيسان ١٩٦٨ أغتيل ومات عن عمر ٣٩ سنة. وقد ذكرت كلماته التي أوصى بقراءتها، وعزفت ترنيمة "خذ بيدي الهي العظيم"، بشكل جيّد ومتقن التي أحبها. بعد موته بأيام قليلة أقرّت الادارة الاميركية، قانون الحقوق المدنية ١٩٦٨ ، الذي نصّ في المادة الثامنة منه، على منع التمييز بين الناس، على أساس العرق أو الدين أو الجنسية. ومن ثم تطوّرهذا القانون لاحقا، ليشمل منع التمييز، على أساس الجنس والوضع العائلي والحالة الجسدية. وقد اعتبر القس الدكتور مارتن لوثر كينغ، قائدا وطنيا خلّد ذكره في ذاكرة التاريخ الأميركي.

القس سهيل سعود

الحلم الذي أنقذ إصلاح مارتن لوثر

بدأ المصلح مارتن لوثر إصلاحه، بعد أن تأثّر كثيرًا بعمل مصلح كان قد سبقه هو يان هاس، الذي عاش بين ١٣٦٩–١٤١٥ في هوسينك في بوهيميا – تشيكوسلوفاكيا. أخذ يان هاس اسمه من بلدته هوسينك، وكلمة "هاس" تعني باللغة البوهيمية "بطّة". عندما بلغ العشرينات من عمره، قرأ يان هس، أعمال مصلح آخر كان أيضا قد سبقه، هو جان ويكليف، الذي حاول بدء الإصلاح في انكلترا قبله، فتأثر فيه. وهكذا قرّر إصلاح الكنيسة في بوهيميا. فدرس، ورُسِمَ كاهناً، وخدم كنيسة بيت لحم في بوهيميا عام ١٤٠٢. ثم بدأ بنشر أفكاره الاصلاحية. وبعد أن لاحظ وجود أخطاء في التعليم والممارسات في الكنيسة، كتب ستة بنود، أسماها "ستة أخطاء"، وعلّقها على باب كنيسة بيت لحم. منها، رفض الاقرار، أن البابا هو ممثّل الله على الأرض، وعليه رفض تقديم الطاعة الكاملة له، داعيا المؤمنين الى طاعة الله وحده. صار يان هاس يعظ عن ضرورة العودة الى الكتاب المقدس والتوبة، ويكتب كتبا عن ضرورة الاصلاح. وقد لقيت مواعظه إقبالاً شديداً، فصار يعرف أتباعه بالهسيين، أي أتباع هاس. وعندما أمرت السلطات الكنسية ببيع صكوك الغفران في براك، دان هاس هذه الممارسة. وقد كانت ردة فعل السلطات الكنيسة احراق بعض كتبه، ووقف تعاليمه والقبض عليه. فهرب من بلاده. وفي المنفى كتب أهم كتبه، التي أعلن فيها أن الكنيسة مؤسسة على شخص يسوع المسيح وليس على شخص بطرس. على أثر ذلك، حرم من شركة الكنيسة عام ١٤١٣. وعندما أُلقِيَ القبض عليه، طُلِبَ منه انكار كتاباته، فأجاب أنا مستعدّ لإنكارها، إذا ما أثبتّم خطأها إستناداً الى الكتاب المقدس. وقدّم إجابات مذهلة عن أسئلة وُجِّهَتْ إليه، وأُعطِيَ فرصًا عديدة للتراجع عن كتاباته، إلاّ أنه رفض، متمسكا بالحقيقة التي وجدها في الكتاب المقدس. وعليه، حُكِمَ بالهرطقة وبالحرق على خشبة. عندما أُشعِلَت النار لحرقه، عام ١٤١٥، قال قولا نبويا، اعتبر بمثابة نبوّة عن اصلاح مارتن لوثر بعده، بحوالي قرن. هناك عدة روايات لهذه النبوّة، أهمها، عندما قال الجلادون له وهم يشعلون النار: "سوف نطهو الان هذه البطة أي "هاس". أجاب: "نعم، لكن سوف يأتي بعدي طير البجع. الذي لن تستطيعوا، أن تطهوه أو تشووه أو تنالوا منه ".

كما أشرت سابقا، يذكر بعض المؤرخين أن قول يان هاس، هو نبوءة عن المصلح مارتن لوثر الذي تأثر كثيرًا به، وقلّد أسلوبه في وضع، ليس ستة بنود أخطاء على باب كنيسة بيت لحم، وإنما ٩٥ بندًا على باب كنيسة جامعة ويتنبرغ، وذلك بعد مئة وسنتين، في العام ١٥١٧.

أوجز أحد المؤرخين، تأثّر المصلح مارتن لوثر، بالمصلح يان هاس، بقوله ما يلي، "عندما كان لوثر راهبًا، وبينما كان يطّلع على ما كانت تحتوي مكتبة الدير من كتب، وقع نظره على مجلّد يتضمّن عظات يان هاس، الذي حُكِمَ عليه بأنه هرطوقي. قال لوثر: "لقد انذهلت بمواعظ هاس. لم أستطع أن أفهم، لماذا يحرق هكذا شخص عظيم، الذي فسّر الكتاب المقدس بهذه المهارة والوضوح".

ولتكلمة القصة غير المعروفة كثيرًا، فإنه في صباح ٣١ تشرين الأول من العام ١٥١٧، أي في نفس يوم تعليق لوثر بنوده الإصلاحية، فإن الأمير فريدريك السكسوني، الذي كان الى جانب لوثر وقدم له الحماية، بعد أن كانت قد حكمت عليه السلطات الكنسية بالهرطقة، والحرمان من الكنيسة. والسلطات المدنية باعتباره خارجا عن القانون في العام ١٥٢١. فان فريديريك أنقذه من الموت، وأخذه الى "وارتبرك" ليكون بعيدا عن الانظار، وبقي متنكرا لحوالي سنة، ترجم فيها الكتاب المقدس الى لغة شعبه الألمانية. وهكذا أكمل الاصلاح الذي بدأه.

وللعودة الى الأمير فريدريك، تذكر مراجع، أن الأمير حلم حلمًا وأخبره الى أخيه قائلا، "حلمت أن الله القدير أرسل لي راهب، الذي كان إبنًا حقيقيًا للرسول بولس. وقد رافقه كل القديسين بتعليمات من الله، كيما يشهد أمامه ويعلن بأنه لم يأتِ ليقوم بمؤامرة ما، بل أن كل ما يقوم به هو بناء لإرادة الله. وقد طلب مني أن أسمح له، أن يكتب شيئًا على باب كنيسة جامعة ويتنبرغ. وكان قلمه طويلاً جدًا، حتى بلغ روما. واخترق أذني أسد كان يربض هناك فاهتزّ التاج الموضوع على رأس البابا. فأسرع الكرادلة والأمراء الى البابا، محاولين ألاّ يقع التاج عن رأسه. وقد رغبنا، أنا وأنت يا أخي، أن نساعد أيضًا في ذلك ومددت يدي نحو التاج. عندها صحوت ووجدت يدي ممتدة في الهواء. وكنت مغتاظًا من الراهب لأنه لم يستطع التحكّم بقلمه. وبعدها عدت الى نفسي وأدركت أنه مجرد حلم. لكن ما أن عدت الى النوم، حتى عاد الحلم ثانية. فالأسد الذي إنزعج من القلم الذي اخترق أذنه، أصبح يزأر بكل قوته، حتى أسرعت كل مدينة روما لترى ماذا يحدث. فطلب البابا مني مقاومة ذلك الراهب، كونه كان ضمن حدود مملكتي. ثمّ بعدها ركض كل أمراء الإمبراطورية، وأنا منهم الى روما. وحاولنا أن نكسر ذلك القلم. ولكن كلّما حاولنا أكثر، كلّما إشتدّت قوة القلم أكثر فأكثر،

وكأنه مصنوع من حديد. ثم سألت الراهب، من أين أتيت بهذا القلم؟ ولماذا هو بهذه القوة؟ فأجاب القلم، أنا أنتمي الى سلالة تلك البطة القديمة في بوهيميا، وعمري مئة سنة. وقوتي تستمد، من قوة مضمونه، الأمر الذي يذهلني أنا أيضاً". وفجأة، سمعت ضجة قوية. اذ أن عددا كبيرا من الأقلام خرجت من قلم ذلك الراهب. وعندما استيقظت، كانت الشمس قد أشرقت".

إن ذلك الحلم، الذي حلمه الأمير فريدريك السكسوني، في الليلة التي سبقت، تعليق الـ ٩٥ بنداً، لم يفهمه الأمير آنذاك لكنه أصبح واضحاً لاحقا. فقلم يان هس، يشير الى الحقائق المقدسة التي كتبها هاس في كتاباته، والتي قرأها لوثر، وتأثر بها واتبع أسلوبه في تنفيذ برنامج الاصلاح الانجيلي في القرن السادس عشر. يبدو أن هذا الحلم، أثّر كثيراً على الأمير، مما دفعه الى تأمين الحماية، للمصلح مارتن لوثر، من السلطات الكنسية والزمنية، التي كانت تطارده. وهكذا بفضل عناية الله وحماية الأمير، فان "بطة بوهيميا" يان هس، الذي تنبأ لجلاديه، منذ أكثر من ١٠٠ سنة، جعلت من لوثر، طير البجع، الذي لم تتمكن السلطات من طهيه وشوائه.

القس سهيل سعود

.

"الخوف من الموت، موت في ذاته "

المصلح مارتن لوثر

من الأمور التي شغلت تفكير المصلح مارتن لوثر، موضوع الخوف من الموت. لهذا، قدّم لاهوتا كتابيا عميقا ليخفّف من وطأة الموت على الانسان المسيحي. أو ربما حتى لا يعدّ يهتّم بالموت، الذي يطارد الانسان أينما يذهب. يخبرنا لوثر، انه قبل أن يختبر عقيدة التبرير بالايمان وحده، فقد مرّ بمرحلة من القلق والرعب والخوف الشديد من الموت الأبدي، بسبب نظرته الى الله على أنه إله غاضبا وديّانا يحاسبنا ويعاقبنا على آثامنا وخطايانا. الاّ أن اختباره لتبرير أو قبول الله له بالايمان وحده، غيّر نظرته الى الله من إله ديّان وغاضب الى إله رحمة ونعمة. هذا الاختبار الشخصي الروحي، غيّر كامل حياة مارتن لوثر. فسّر قصة يونان النبي والخوف الشديد من الموت الذي اختبره عند رميه في البحر وابتلاع الحوت له، ليتحدّث عن اختباره الشخصي من الخوف من الموت، قبل اختباره الله الأب المنعم والرحوم في ايمانه بيسوع المسيح. لهذا قال: "الخوف من الموت، موت بحدّ ذاته، ولا شيء غيره...من تغلّب على الموت في قلبه، لا يعد يخاف من الموت".

قال لوثر، "لن تدرك ما إختبر يونان النبي من غضب الله عليه، إذا ما كنت مجرّد متفرّج على القصة. ولكن، إذا ما كنت مشتركًا في الحدث، عندها ستدرك ما معنى الخوف من الموت بسبب غضب الله عليك كتب قائلا: "عندما رمي يونان في البحر، اعتقد أنه انتهى كليّا جسداً ونفساً. يذكر النص، قول يونان: "لأنك طرحتني في العمق في قلب البحار، فأحاط بي نهر. جازت فوقي جميع تياراتك ولججك، فقلت قد طردت من أمام عينيك" (يونان ٢: ٣-٤). علّق قائلا: "هذه الكلمات ليست كلمات فارغة، لكن لا يستطيع أن يفهمها، إلاّ الذي مرّ في هذا النوع من اختبار الخوف من الموت الصعب. فانه سيشعر، أن الله ضدّه وضميره أيضا ضدّه". وأضاف، "من المستحيل أن تتصرّف الطبيعة البشرية بشكل معاكس لما تشعر به. فلا يمكنها إخضاع هذه المشاعر الصعبة، وتعبيد الطريق أمامها الى الله، ولا تستطيع أن تصلّي الى الله، في الوقت الذي تشعر أنه ضدها وتعتبره عدواً لها. قال لوثر، "أثناء الرعب والخوف من الموت، يشعر الانسان على انه محروم بشكل كامل من أيّ عون داخلي أو خارجي، فيصرخ من أجل خلاصه".

طلب لوثر من سامعيه أن يتأمّلوا ويتصّوروا موتهم، كيما يستجمعوا مشاعر الخوف من الموت. كتب، "تذوّقوا الموت كما لو كان موجوداً، لتروا كيف ستشعرون في ساعة موتكم". قدّم مثلاً عن تذوّق الخوف من الموت، وتدخّل وحضور الله في تلك الحالة النفسية الصعبة، عند تفسيره لقصة يونان ، الذي توقّع موته الحتمي القادم، كنموذج يظهر كيف ان الله يعمل في حالات مماثلة لينقذ أولاده. عندما غضب الله من يونان لأنه تمرّد عليه ورفض سماع صوته كيما ينادي لأهل نينوى بالتوبة، فإن يونان هرب من وجهه وركب سفينة الى ترشيش. فطلب من الملّاحين أن يرموه من السفينة في البحر، ليهدأ النوء العظيم الذي حدث بسببه. ومن ثم ابتلعه الحوت. وصف لوثر المشهد المخيف قائلاً، "يبدو أن غضب الله لا يهدأ بالموت والعقاب، وكأنه لا يستطيع أن ينتقم بشكل كافٍ من يونان. كم كان المشهد مرعباً ليونان المسكين، لا سيما عندما فتح الحوت فاه الواسع، وشاهد يونان اسنانه الكبيرة الحادة كالأعمدة الحادة، ودخل من بوابة فمّ الحوت الى جوفه". أضاف لوثر، "حتى هذه النقطة، كان لا يزال يونان يتصارع فقط مع أفكار الموت الى أن اتاه فكر تدخّل الله في ذلك الوقت الصعب". تكلّم لوثر بلسان يونان قائلاً، "فقط عندما طرحت في عمق الموت. عندما بدى الأمل في مرحلته النهائية، وبدى أن هناك استحالة كاملة لي أن أعيش، ظهرت يا الله في المشهد. قدرتك ومعجزتك قادت طريقي بعيداً عن الموت". قال لوثر: "فقط في هذه الحالة النفسية الصعبة، يعمل الله كيما يفدينا ويخلّصنا من خوفنا. ينقطع الحبل، عندما يكون في أشدّ حالاته انشداداً". وأضاف، "كان على يونان أن يطرح نفسه بين أحضان رحمة الله، بينما كان مرعوباً يواجه غضبه. علّق على اختبار يونان في انقاذ الله له، بقذفه الى البرّ قائلاً، "يمنح الله الانسان المؤمن، أولاً النعمة والروح لكي ينعش قلبه، ويذكّره بمراحمه ويطرد منه الافكار التي تلامس غضب الله. ومن ثمّ يوجّه قلبه من الله الغاضب الديّان، الى الله الأب الرحوم. إلّا أن كل هذا ليس عمل الانسان، بل عمل الله وحده، لأن يونان قال، "حين أعّيت فيّ نفسي، ذكرت الرب فجاءت اليك صلاتي، الى هيكل قدسك" (يونان٢: ٧). فعند اعياء نفسه، ظهرت قوة الله. علّق لوثر، "فقط الروح القدس، وليس شيئاً آخرا، يجعلنا نذكر الرب ونفكّر فيه".

قال لوثر، "يطل علينا الموت من كل زاوية، وقد قسم بأن ينال منا. وإبليس هو سيّد ومسبّب الموت، الذي يسعى وراءنا لاصطيادنا". اعتقد، أن الموت هو في الوقت نفسه، النصرة النهائية والهزيمة النهائية لإبليس. آمن، أن إبليس لن يستفيد كثيراً من موت الاتقياء، فهو سيكون

وكأنه كسر جوزة فارغة لا ثمرة فيها. نظر الى الموت، نظرة ايجابية على أنه، لا ينهي فقط أوجاع وآلام الانسان، وإنما ينهي أيضا الرذائل والآثام وشرور الحياة التي تحيط بنا من كل صوب وناحية. نظرة لوثر هذه الى الموت، ودعوته للتخلّص من الموت بالايمان وحده، تجلب تعزية كبيرة للضمائر المنكوبة والنفوس المضطربة التي تعيش بخوف ورعب من الموت، ليجدوا سلامهم وعزاءهم في بالمسيح. اعتقد لوثر، أن المسيحي ليس بدون استعداد، لمواجهة الموت الجسدي الحتمي. لهذا، عليه أن يتّجه دائمًا نحو مراحم الله لا سيما وسط بؤسه وآلامه واضطراباته. وعليه أن يتعلّم أن يجد عزاؤه الدائم في ايمانه بالله وغفران الله له".

وجد لوثر في مفهوم سرّالمعمودية، هذا الاستعداد للموت والقيامة. نظر الى كل الحياة المسيحية، على انها امتدادًا لمفهوم المعمودية. قال، "ليست هذه الحياة، سوى معمودية روحية، لا تتوقف الا عند الموت". قال، "في المعمودية يتعلّم الانسان أن يغرق خطاياه في مياه نهر نعمة الله، ليقوم مع المسيح في جدة الحياة، اذ يقول القسيس للمعمّد: إني أغرقك لكي تموت خطاياك، إلاّ أن الخطية لا تتوقف بشكل كامل طالما نحن على قيد الحياة". قال لوثر، "ليس المسيحي انسان دون خطيئة أو لا يشعر بالخطية، لكنه الشخص الذي لا يلصق به الله خطية بسبب ايمانه بالمسيح".

القس سهيل سعود

"المصلحون الانجيليون، ومكافحة فساد شاهدي الزور"

من المواضيع التي اتخذت بعدا ايمانيا وروحيا، في شريعة العهد القديم، موضوع : شهادة الزور. نصّت الوصية التاسعة من الوصايا العشرة على ما يلي: "لا تشهد على قريبك شهادة زور" (خروج٢٠: ١٦)، معتبرة شهادة الزور، خيانة أساسية: أولا، ضد الله. وثانيا، ضد قريبه الذي هو الشخص الآخر، الذي شهد ضده زورا. فشهادة الزور، هي مشكلة أخلاقية بالدرجة الأولى، واساءة علنية ضد الحقيقة. ان خطورة شاهدي الزور، أنهم يسخرون من العدالة، التي هي ركيزة المجتمع الصالح ، ويؤذون الأبرياء الذين هم نواة المجتمع الصالح. فشهادة الزور، هي التصميم الواعي لخداع السامعين، وقيادة الحقيقة الى الضياع. وعليه، فهي تسبّب أذية وضررا كبيرا لفضائل الصدق والعدالة والمحبة. لهذا أوصى كاتب سفر الخروج، كل انسان، قائلاً له: "لا تقبل خبرًا كاذبًا. ولا تضع يدك مع المنافق، لتكون شاهد ظلم" (خروج ٢٣: ١). شبّه كاتب سفر الأمثال، شاهد الزور، الذي يتفوه بالأكاذيب على إنسان ما، أنه يؤذيه كما يؤذي السيف والسهم الحاد الانسان. قال، "مقمعة وسيف وسهم حاد، الرجل المجيب قريبه، بشهادة زور" (أمثال٢٥: ١٨).

نصت شريعة التثنية في العهد القديم، على معاقبة من تثبت ادانته بشهادة زور، بالتنفيذ عليه، ما كان قد نوى أن ينفّذه في حقّ من شهد ضده زورًا. ذكرت الشريعة ما يلي: "لا يقوم شاهد واحد على إنسان في ذنب ما أو خطية ما، من جميع الخطايا التي يخطىء بها. على فم شاهدين أو على فم ثلاثة يقوم الأمر. إذا قام شاهد زور على إنسان ليشهد عليه بزيغ. يقف الرجلان الذين بينهما الخصومة أمام الرب، أمام الكهنة، والقضاة، الذين يكونون في تلك الأيام. فإن فحص القضاة جيدًا، وإذا الشاهد شاهد كاذب، قد شَهِد بالكذب على أخيه، فافعلوا به كما نوى أن يفعل بأخيه" (تثنية١٩: ١٥-١٩).

إعتبر المصلح جان كلفن، أن شهادة الزور، هي نوعً من التلاعب والتدخل في عمل وحكم الله. حين تفسيره الوصايا العشرة، ربط كلفن بين وصية، "لا تشهد بالزور"، ووصية "لا تسرق"، معتبرا ان شهادة الزور، هي سرقة ماكرة لسمعة الآخرين وكرامتهم. قال، "شهادة الزور، هي إشارة لحالة استعداد داخلي من الخيانة والفساد، والسرقة لتشويه الاسم الجيّد لإنسان آخر". لم يميّز كلفن، بين الكذب أثناء شهادة الزور في المحاكم، أو الكذب في الحياة اليومية. اعتبر أنه في كلتا الحالتين، فالكذب قتل وتدمير لسمعة الآخر.اعتقد أن وصية، "لا تشهد بالزور"، تشمل كل أنواع

الكلام المسيء بحقّ الآخرين: من ثرثرة، الى فبركة إشاعات، الى اتهامات كاذبة، التي تؤذي السمعة الجيدة للآخرين. قال، "الهدف من وصية الله بعدم الشهادة بالزور، هي حماية سمعة الآخر". وأضاف، "إذا ما كان الاسم الجيّد أو السمعة الجيدة، هي أغلى وأهم من المال والممتلكات، فإن سلب إنسان إسمه الجيد، هو أكثر ضررا من سلبه ممتلكاته." أما المصلح مارتن لوثر فقد اعتقد، أن الله أعطى وصية عدم الشهادة بالزور لشعبه، كيما يساعد كل انسان جاره في الحفاظ على حقوقه. قال، "إلى جانب كنز جسدنا، لدينا أيضًا كنز آخر، هو كنز: الشرف والكرامة والسمعة الجيدة، التي لا نستطيع أن نتخلّى عنهم، لأننا لا نستطيع أن نتحمّل العيش، بين أُناس يسبّبون العار والاحتقار لنا وللآخرين. فقد رغب الله، أن يحافظ كل إنسان على سمعته واسمه الجيّد، كيما يقف بلا لوم، أمام الله، وأمام زوجته وأولاده وأقرباءه ".قال الكاتب "إدغار آلن بو": "التشهير، أو الإساءة الى سمعة إنسان عظيم، هي الطريقة السهلة التي يستطيع فيها إنسان صغير أن يحقّق العظمة. يعتقد شاهد الزور أنه يملك الحق بالتحكّم في سمعة الآخرين، وتشويهها. فهو بشهادته الكاذبة، يحاول تحسين سمعته على حساب تدمير سمعة الآخرين".

القس سهيل سعود

التفسير المسياني لكلمات داود الأخيرة حول مجيء المسيح

المصلح مارتن لوثر

(الحلقة الأولى)

قلق مارتن لوثر كثيرا، من امكانية نمو ما اعتبره الأشكالية اليهودية في التفاسير الكتابية لنصوص العهد القديم، واعتبرهذه الظاهرة خطرًا كبيرا على الايمان المسيحي بل هجومًا مباشرًا على الايمان المسيحي. حول مسؤولية المفسّر المسيحي لنصوص العهد القديم، قال لوثر: "علينا أن نقرأ نصوص العهد القديم في ضوء العهد الجديد، والمسيح والانجيل". وأضاف، "إذا لم نفحص تلك التفاسير ولا نتوقف عندها بدقة، فإن هذا الامر سوف يشكّل خطرًا على الكنيسة من داخلها. فنصوص العهد القديم، يجب أن تقرأ من وجهة نظر مسيحية. كان اهتمام لوثر الأساسي

ابراز يسوع المسيح بشكل واضح عند تفسير العهد القديم. في هذا السياق، فسرّ لوثر، "كلمات داود الاخيرة" الواردة في سفر صموئيل الثاني (٢٣: ١ –٥)، تفسيرا مسيانيا، والتالي نصّها:

"فهذه هي كلمات داود الآخيرة. وحي داود بن يسّى. ووحي الرجل القائم في العلا، مسيح إله يعقوب ومرنّم اسرائيل الحلو. روح الرب تكلّم بي، وكلمته على لساني. قال إله إسرائيل، اليّ تكلّم صخرة اسرائيل: إذا تسلّط على الناس بار، يتسلّط بخوف الله. وكنور الصباح اذا أشرقت الشمس. كعشب من الارض في صباح صحوْ مضيء غبّ المطر. أليس هكذا بيتي عند الله؟ لأنه وضع لي عهدًا أبديًا متقنا في كل شيء ومحفوظًا. أفلا يثبت كل خلاصي وكل مسرّتي؟" (٢صموئيل٢٣: ١–٥).

ان التعبيريين الأساسيين اللذين شدّد عليهما لوثر في النص المذكور، هما، "بيت داود" و "العهد الأبدي". يسأل لوثر ثلاثة أسئلة حول هذا النص ويجيب عليها. الأول، ما هو بيت داود: هل هو شعب، أمّة، أم إله؟ الثاني، ما المقصود بالعهد الأبدي: هل هو أبدي حتى مجيء المسيح، أم أبدي حتى نهاية الأزمنة؟ الثالث، ما العلاقة بين بيت داود، والعهد الأبدي؟ يقدّم لوثر من تاريخ الشعب الاسرائيلي المشتّت منذ ١٥٠٠ سنة (آنذاك)، دليلا تاريخيا على أن غضب الله وقع على هذا الشعب. وبسبب ذلك، هم يعيشون خارج أورشليم والأرض التي اعتبرت أرض الميعاد. يعيشون، دون مملكتهم، وهيكلهم، وكهنوتهم، وذبائحهم، وكل ما أسسه النبي موسى لأجلهم في الشريعة. يجادل لوثر، بأن وعود الله المجيدة لذرية ونسل هذا الشعب، قد سقطت منذ ١٥٠٠ سنة، عندما دمّر الرومان، أورشليم والهيكل عام ٧٠ ميلادية وأخرجوهم خارجًا. تساءل لوثر: إمّا أن تتحقق وعود الله لبيت داود، الواردة في كلماته الأخيرة، أو أن هناك خطيئة كبيرة حالت دون ذلك وبرّرت تمديد الله لزمن مجيء المسيّا. ثم يجيب: لا يمكن أن يكون صحيحًا تمديد الله لزمن مجيء المسيّا، لأن اليهود لا يمكنهم تقديم دليلا عن تلك الخطيئة العظيمة. لهذا، فان الأمر الصحيح هو أن الله أسقط وعوده المجيدة التي تكلم عنها داود، لنسل وذرية اسرائيل منذ ١٥٠٠ سنة، ذلك لأنها تحققت في مجيء المسيح الى عالمنا. وبالتالي، فلا خيار ثالث: فإما أن يكون قد جاء المسيّا المنتظر منذ ١٥٠٠ سنة، أو أن الله كاذب. لكن حاشا أن يكون الله كاذبًا، وينكر وعوده بالعهد الأبدي، بل هو حقّقها "لبيت داود"، في مجيء ابنه يسوع المسيح منذ ١٥٠٠ سنة. وهكذا، فإن "بيت داود"، قد تمدّد من عائلة داود حتى زمن المسيح. فبيت داود يجب أن يبقى، كما تنبّأ إشعياء، "وللسلام لا نهاية على

كرسي داود وعلى مملكته، ليثبّتها ويعضدها بالحق والبرّ، من الآن الى الابد" (إشعياء٩: ٧). إلّا أن اليهود لم يدركوا أن الله حقق عهده الابدي لبيت داود في المسيح.

ما طبيعة "بيت داود"؟ هل هو حكم، أم نظام، أم مملكة أرضية، أم ماذا؟ يرجع لوثر الى تاريخ الشعب الاسرائيلي، فيقول: "خلال زمن السبي البابلي، استمرّت مملكة اسرائيل، وحتى ازدهرت كنظام في بابل. الاّ أنها توقفت عن الوجود منذ زمن مجيء المسيح". وبالتالي، تشهد الحقيقة التاريخية أن طبيعة بيت داود كنظام أو مملكة قد انتهت منذ مجيء المسيّا. ثم يرجع الى كلمات داود الأخيرة ليقول، أن حكم "بيت داود وعهده الأبدي"، يجب أن يبقى. ثم يعيد لوثر، تعريف معنى "بيت داود"، ليقول: "لقد حفظ الله عهده: من زمن داود الى زمن هيرودس. ومن زمن هيرودس، حتى يومنا هذا، لأن العهد الابدي لبيت داود قد تحقق في مجيء يسوع المسيح الى عالمنا".

دعم لوثر تفسيره الخلّاق هذا، من قول كاتب سفر التكوين: "لا يزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه، حتى يأتي شيلون، وله يكون خضوع شعوب" (تكوين٤٩: ١٠). ورد هذا القول، في سياق نقل الأب يعقوب (الذي تغيّر اسمه الى اسرائيل)، سلطته الى ابنه يهوذا. فيعقوب، جمع أولاده الاثني عشر، في نهاية حياته (الذين تحوّلوا الى الأسباط الاثني عشر). وقد اقتضت العادة من الرجل العجوز رب العائلة، أن ينقل "القضيب"، الذي يرمز الى سلطة ومسؤولية قيادة البيت، الى ابنه البكر. لكن، حيث أنه لم يجد: لا ابنه البكر رأوبين، ولا الابنين الثالث والرابع، مؤهلين لهذه المسؤولية، إرتأى أن ينقل قضيب قيادة البيت، الى ابنه الرابع يهوذا، الذي من سبطه جاء المسيح. اذ بحسب نبوءات العهد القديم، فان المسيح يجب ان يكون من سبط يهوذا، ومن ثم من ذريّة داود، وهو ما حقّقه المسيح. أما عبارة "مشترع من بين رجليه"، يقول المفسرّون، أنها تشير الى، سلطة التشريع الملكية، التي عندما تعطى ليهوذا فانه ستنتقل من جيل الى جيل الى أن يجي شيلون، الذي هو اسم المسيّا الآتي، كما اعتقد المفسّرون. فكلمة شيلون، تعني "حامل الراحة". ومن غير المسيح حمل الراحة الى الشعب.

فهم لوثر، أن "قضيب يعقوب"، الذي يرمز الى سلطة ومسؤولية قيادة البيت، الذي انتقل الى يهوذا، فانه وصل الى بيت داود، ومن ثم وصل الى المسيح. وبانتقاله الى المسيح، فقد انتهى "بيت داود". إلّا أنه بالرغم من انتهاء "بيت داود" بالمفهوم القديم، لكن العهد الأبدي مع بيت

داود لم ينكسر. فلو لم يأتِ المسيح لكان الله قد كسر عهده. فيسوع المسيح، هو بيت داود بالمفهوم الجديد، وهوالتحقيق لعهد الله الابدي. وبالتالي، فبيت داود الذي ابتدأ أولاً بأن يكون مملكة ونظام أرضي، فإنه تحوّل في المسيح الى مملكة روحية تثبت الى الابد. يجد الدارسون أن هذا التفسير المميّز، قدّم عدسات تفسيرية واضحة، لمفهوم عبارة "بيت داود" الذي كنظام انتهى بمجيء المسيح. قال لوثر، "ليست كلمات داود من أجل هذا العالم أو من أجل أية مملكة حاضرة". وأضاف، "سيتعرّض التفسير المسياني لعهد الله الابدي مع بيت داود للخطر، ان لم ندرك أن الروح القدس هو الذي كان يتكلم الى داود عن هذا العهد الابدي الذي تحقق في المسيح. في كتابه "معارك لوثر الاخيرة"، يرى المفسّر ماركادواردس، أن مارتن لوثر فسّر كلمات داود الاخيرة، بطريقة خلّاقة. وفي ترجمته للكتاب المقدس باللغة الالمانية، فسّر لوثر قول سفر التكوين، "لا يزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه، حتى يأتي شيلون، وله يكون خضوع شعوب" (تكوين٤٩: ١٠)، تفسيرا مسيانيا، اذ ترجم عبارة "حتى يأتي شيلون"، بعبارة "حتى يأتي المسيّا".

*ندعوكم الى متابعة الحلقة الثانية، بعنوان: "التفسير الثالوثي لكلمات داود الأخيرة"
لأنها ترتبط بالحلقة الأولى ارتباطا وثيقا
القس سهيل سعود

التفسير الثالوثي لكلمات داود الأخيرة حول مجيء المسيح

المصلح مارتن لوثر

(الحلقة الثانية)

لم تكن عقيدة الثالوث من العقائد التي أثارها المصلحون الإنجيليون في حركتهم الاصلاحية في القرن السادس عشر، ذلك لأنهم يتشاطرون مع الكنيسة الكاثوليكية في نفس عقيدة الثالوث الجوهرية في الايمان المسيحية. لم يجد المصلحون أنفسهم مضطرين للدفاع عن عقيدة

الثالوث، إلّا بعد أن أصدر مايكل سيرفيتوس، عام ١٥٣١، مقالتين ضد عقيدة الثالوث، مما اضطرهم للدفاع عن هذه العقيدة وتفسيرها. كما أنهم تلمّسوا الحاجة الى تفسيرها، لحفظ هذه العقيدة في مقابل اليهود والاتراك الذين انكروا عقيدة الثالوث. كان اهتمام مارتن لوثر منصبّا بشكل أساسي على تفسير عقيدة التبرير بالنعمة وحدها بواسطة الايمان وحده. ابتدأ الاهتمام بتفسير عقيدة الثالوث في العقد الاخير من حياته، بين الاعوام ١٥٣٥-١٥٤٥. فدرس كتابات آباء الكنيسة الذين صاغوا هذه العقيدة وتفسيراتهم الكتابية واللاهوتية. اما شريكه ويده اليمنى في الاصلاح، فيليب ميلنكتون، فانه أعاد مراجعة كتابه الأساسي "الأماكن العامة"، وأدخل فيه بعض الأسس الكتابية واللاهوتية لعقيدة الثالوث.

وردت كتابات لوثر حول عقيدة اللاهوت، في: محاضراته حول سفر التكوين، عظاته حول انجيل يوحنا، وتفسيره لكلمات النبي داود الاخيرة الواردة في سفر صموئيل الثاني (٢٣: ٥-١). طوّر لوثر حجته الكتابية واللاهوتية لعقيدة الثالوث، في اطار تعليم آباء الكنيسة التقليدي السابق لها، وفي قراءات ثالوثية لبعض مقاطع العهد القديم بمقابل القراءة اليهودية غير الثالوثية لها. فمن المعلوم أن اليهود لم ولا يؤمنون أن يسوع المسيح الذي جاء الى العالم في الميلاد، هو المسيّا المنتظر. فسّر لوثر تفسيرا ثالوثيا، "كلمات داود الاخيرة" في سفر صموئيل الثاني (٢٣: ١ -٥)، التالي نصّها:

"فهذه هي كلمات داود الآخيرة. وحي داود بن يسّى. ووحي الرجل القائم في العلا، مسيح إله يعقوب ومرنّم اسرائيل الحلو. روح الرب تكلّم بي، وكلمته على لساني. قال إله إسرائيل، اليّ تكلّم صخرة اسرائيل: إذا تسلّط على الناس بار، يتسلّط بخوف الله. وكنور الصباح اذا أشرقت الشمس. كعشب من الارض في صباح صحوْ مضيء غبّ المطر. أليس هكذا بيتي عند الله؟ لأنه وضع لي عهداً أبديًا متقنا في كل شيء ومحفوظًا. أفلا يثبت كل خلاصي وكل مسرّتي؟" (٢صموئيل٢٣: ١-٥).

أظهر مارتن لوثر في تفسيره لكلمات النبي داود الأخيرة، أن الله، المثلّث الأقانيم، قد تكلّم مع النبي داود. وضع وعود الله المسيانية وعهده الابدي مع بيت داود، في سياق ثالوثي. رأى هذا الأمر في ثلاث عبارات: الأولى، في قوله "روح الرب تكلّم بي" (٢صموئيل٢٣: ٢)، اشارة الى اقنوم الروح القدس. الثانية في قوله، "وكلمته على لساني" (٢صموئيل٢٣: ٢)، اشارة الى اقنوم الابن. والثالثة، في عبارة، "قال اله اسرائيل، اليّ تكلّم صخرة اسرائيل" (٢صموئيل٢٣: ٣)، اشارة

الى اقنوم الآب. فهم لوثر، أن الروح القدس أعلن لداود عن: عقيدة التجسّد، وعقيدة الثالوث. قال لوثر، " لقد تكلّم أقنوم الروح القدس من خلال لسان داود ولمعرفته، وأعلن للإنسانية عن الاقنومين الآخرين من الثالوث". رأى، التمييز بين الاقانيم الثلاثة، في العددين: الثاني والثالث. قال: "هذه الأقانيم الثلاثة هي مميّزة في جوهر الله. لهذا كان على الابن، أن يصبح انساناً، ويمتلك الشرف والسيادة على الجميع، كما أعلن الروح القدس عن ذلك سابقًا، من خلال أفواه الأنبياء". وأضاف، يظهر تجسّد الابن في الاعداد التالية اللاحقة: "إذا تسلّط على الناس بارّ، يتسلّط بخوف الله. وكنور الصباح اذا أشرقت الشمس. كعشب من الارض في صباح صحو مضيء غبّ المطر. أليس هكذا يبتي عند الله؟ لأنه وضع لي عهدًا أبديًا متقناً في كل شيء ومحفوظًا. أفلا يثبت كل خلاصي وكل مسرّتي؟" (٢صموئيل٢٣: ٣-٥). بهذه الطريقة، ربط لوثر، بين القراءة الثالوثية للاعداد ٢ و٣ (أ)، والتفسير المسياني للاعداد ٣ (ب) -٥). (أنظر المقالة السابقة)

قال لوثر، "ليس للجميع الامكانية، للتمييز بين الاقانيم الثلاثة في جوهر الآب. فالذي يقرأ هذا النص، بفكر جسدي غير مدرّب، لا يستطيع لحظ التمييز المناسب بين أقانيم الله الثلاثة، إذ يظن أنها تشير الى شخص واحد. أرجع لوثر السبب الى ما أسماه "العماء اليهودي"، الذي يمنع اليهود وآخرين ممن لديهم هذا العماء من التفسير الصحيح لهذا النص من الكتاب المقدس. قال: " يفترض "العماء اليهودي"، أن داود هو الحاكم المشترع الذي يحكم بخوف الله، فيحوّل المفسّرون اليهود، وعود الله الى وصايا وشرائع، مع أن داود نفسه اعتقد أن تلك الكلمات هي كلمات الوعد، لمسيّا إله يعقوب وليست شرائع لحكّام أرضيين. فالمفسّرون الذين لا يستطيعون تمييز عقيدة الثالوث في كلمات داود الاخيرة، لن يستطيعوا ادراك التفسير المسياني لهذا النص. يوجز لوثر، نظرته الكاملة الى نص كلمات داود الأخيرة بالقول: إن العهد الابدي مع بيت داود يمكن تفسيره من خلال طريقتين: الأولى، تاريخية، بقي فيها العهد مع "بيت داود" قائمًا حتى مجيء المسيح. أما الطريقة الثانية، فهي فقط للذين يستطيعون رؤية وتمييز الاقانيم الثلاثة في كلمات داود الأخيرة. قال لوثر، "الروح القدس هو الذي أعلن للكنيسة، عن عقيدة الثالوث السامية. وهذا الأمر، يجب أن ينقش على قلب الانسان بالايمان".

القس سهيل سعود

"ما بين مجد الله ومجد الإنسان"

المصلح جون كلفن

لخّص اللاهوتي والمفكّر المسيحي بنجامين وارفيلد، حياة المصلح جان كلفن قائلاً: "ليس هناك إنسان على الإطلاق من إمتلك هذا الشعور العميق بمجد الله وحضوره، مثل المصلح جان كلفن". قال كلفن: "ليس لاهوت صحيح أن يحصر الإنسان أفكاره في نفسه، وأن يرى وجوده الهدف الأساسي في الحياة، لكن علينا أن يكون لنا الغيرة الشديدة أن نوضع مجد الله، لأننا مخلوقون أولاً وقبل كل شيء، لله وليس لأنفسنا، لأن كل شيء خلق فيه، ويوجد فيه". رأى كلفن، الكون مسرحًا يبهر العيون من عظمة إشراق مجد الله. قال: "في كل الكون نرى إشعاعات من مجد الله. وبما أن مجد الله هو أكثر إشراقًا في السماء، فقد دعيت السماء أنها عرش مجد الله". فكل مظهر من مظاهر الحياة، من العمل الى العبادة، ومن الفن الى التكنولوجيا، يُعلن مجد الله. في تعليقه على الوصية الأولى من الوصايا العشر، "أنا هو الربّ إلهك لا يكن لك آلهة أخرى أمامي" (خروج٢٠: ٣)، قال، "ان أية سرقة لمجد الله، هو أمرٌ غير مسموح به.

إنتقد كلفن، الفيلسوف فيرجيل، الذي اعتقد أن الكون هو وليدة وحي سريّ، الذي أعطى الحياة له. قال: " يبدو هذا الإدعاء، وكأن هذا الكون العظيم إنما هو خالق نفسه بنفسه". آمن كلفن بأن الكون، ليس وليدة الصدفة العمياء أو وليدة أيّة قوّة خارجة عن الله، لكنه عمل الله الحقيقي المثلّث الأقانيم. عندما انتقد البعض لاهوت كلفن، لتشديده الكبير على مجد الله، قائلين: "إن تشديدا بهذا القدر على مجد الله، يقلّل من شأن الإنسان وكرامته". كان موقف كلفن: "يجب ألاّ تقلقنا هذه الإنتقادات. فالذين يريدون إنكار مجد الله، عليهم أن يدركوا حقيقة أنه لو لم يكن الله هو الخالق العظيم، فإن الكون يصبح صدفة، والحياة لا معنى لها، ومصير الإنسان ينتهي عند القبر".

في مقدّمة كتابه "أسس الدين المسيحي"، صوّر كلفن، حالة الإنسان بأنه: مستعبد، وأعمى، وضعيف، ومجرّد من كل الفضائل. هدف من تصويره الإنسان في حالة الخطيئة والسقوط هذه، الى إزالة كل إمكانية تمجيد الإنسان لذاته وإعطاء كل المجد لله. قال، "يمكننا ان نحصل على إمتياز رؤية

مجد الله، عندما نطرح جانباً مجدنا الشخصي. فلن نستطيع أن نمجّد الله حتى نتخلّى بشكل كامل عن مجدنا. فالمختارون قد برّرهم الله، كيما يقدّموا له وحده كل المجد، وليس لآخر".

رأى كلفن، أن مجد الله يضيء بطريقة مميّزة في الكائن البشري، الذي خلقه الله على صورته ومثاله. اعتقد، نحنا لا نستطيع أن نفهم بشكل كامل مجد الله، دون رؤية مجده في خليقته. الّا انه آمن ان اشراق مجد الله الأسمى، قد شعّ في ابنه يسوع المسيح على الصليب. قال، "إن كان مجد الله يشعّ فينا نحن خليقته، فكم بالأولى يشعّ أكثر جداً في ابنه يسوع المسيح، لا سيّما في عمله الفدائي على الصليب، وفي رجاء خليقته الجديدة". وأضاف: "إن الإقتراب من الله ومعرفته، يتطلّب منا أن نخلي ذواتنا ونتواضع أمام المصلوب، الذي يصالحنا مع الله ويؤهلنا لنصير خليقته الجديدة. وهكذا نصير مشاركين في مجده". آمن كلفن، بأننا لا نستحق هذا المجد الذي يشرقه الله علينا. قال: "مجدنا ينعكس علينا من مجد الله. ان اعتراف الخليقة بمجد الله والسعي لتمجيده وإعلان اسمه في الحياة، يجعل الخليقة تصل الى هدفها الأسمى، فتحصل على الكرامة التي تليق بها".

قال كلفن، "ليس هناك جزءاً من جسد الإنسان، لا يعكس بعض إشعاعات مجد الله. فالمجد الإلهي يظهر أيضا في مظهر الإنسان الخارجي". إعتقد، أن كل عضو من أعضاء جسدنا يجب أن يشترك في تمجيد الله، لأن مجد الله يجب أن يظهر في جميع أجزاء أجسامنا. نظر الى الترنيم، على أنه فعل وقار في عبادة الله، يشترك به اللسان لإعلان مجد الله، لأن الله خلق اللسان كيما يخبر بمجد الله وحمده. وبالتالي، كل كلمة تنطق بها ألسنتنا، يجب أن تؤدي الى بنيان الكنيسة وإعلان مجد الله. وكذلك ايضا ، يجب ان نكرّس الأذنان، للإصغاء لكلمة الله. قال، "عندما نكون في الكنيسة، يجب أن نوجّه آذاننا، ليس الى مجرّد الاستماع الى ألحان الترانيم، وإنما الاصغاء الى كلمة الله".

يذكر إعتراف إيمان الوستمينستر الكلفيني المصلح: "عندما نختبر الإيمان بالمسيح ونقدّس الله في حياتنا، فإن الله يجعلنا بشكل عفوي أدواتاً لتمجيده. ويؤهّلنا لنشعر بالسعادة الكبرى، عندما نقدم له كل المجد. فكرامتنا هي في مجد الله. وفرحنا هو في مجد الله. وتمجيدنا يكمن في إرجاع كل المجد له وحده".

تعيش جماعة الايمان على هذه الأرض، كما اعتقد كلفن، على رجاء ظهور مجد الله العظيم، كما قال الرسول بولس: "منتظرين الرجاء المبارك، وظهور مجد الله العظيم، وخلصنا يسوع المسيح" (تيطس ٢: ١٣). قال اللاهوتي بنجامين وارفيلد: "إن الإنسان الكلفيني، هو الذي رأى الله. وبعد

رؤيته لله في مجده، فإنه: من جهة إمتلأ بوقار العبادة، ومن جهة أخرى أدرك بأن هذا الإله يستقبل الخطاة ليغفر خطاياهم".

القس سهيل سعود

الفكر الانجيلي فكر تواضع

في كتابه "عبودية الإرادة"، يتحدّث مارتن لوثر عن هذا الموضوع عندما تحدّث عن حرية الله الارادية واحتجابه خارج اعلانه عن نفسه في المسيح. قال لوثر "يجب أن نتكلّم بالدرجة الاولى عن سيادة الله وعبودية الارادة الانسانية". وأضاف "لن يتمكّن الانسان أن يتواضع بشكل كامل إن لم يدرك أن خلاصه لا يرجع الى جهوده الانسانية وقوته الخاصة. بل يستند بشكل كامل على عمل نعمة الله في المسيح".

, the sky is c

البروتستانتية أول من أطلقت المفهوم الحديث "للهوية"

(حلقتين: الحلقة الأولى)

في مقالة كتبها، الدكتور جوشوا هولمان، الاستاذ في اللاهوت، بعنوان "الهوية المسيحية في عصر علماني: شارل تايلور ومارتن لوثر، حول أصالة الذات الانسانية في المجتمع"، يذكر أن الفيلسوف الكندي المعاصر، شارل تايلور، أورد في كتابه،"مصادر الذات الانسانية: صناعة الهوية الحديثة، The Sources of the Self: The Making of the Modern Identity، الذي أصدره عام ١٩٨٩ ، "أن زمن الاصلاح الانجيلي في القرن الساس عشر، هو زمن انطلاق المفهوم الحديث للهوية الشخصية، وكان مطلقه بالتحديد المصلح مارتن لوثر. فاصرار لوثر على موقفه الواثق، أن ما يفكّر وما يشعر به في داخله، عندما قال "هنا أقف لن أتراجع ضميري أسير لكلمة الله"، هو الأمر الصحيح وإن رفضه العالم أجمع، أطلق المفهوم الثوري الحديث للهوية. تتشكل الهوية من معرفة الانسان لخياراته وأولوياته والتزاماته في الحياة التي تجعله يحدّد : ما الذي يعطيه معنى لحياته وما الذي لا يعطيه، ما هو الجيد وما السيء، على ماذا يوافق وماذا يرفض، ماذا يعمل وماذا لا يعمل. يقول الفيلسوف تايلور، "تتكوّن الشخصية، عندما يوجه الانسان ذاته في اطار مجموعة من المعاني، فيختار المعنى الذي يريده. الهوية هي هذا البحث الكوني، لإيجاد الذات الداخلية الاصيلة

وايجاد الانسان مكانته في مجتمعه وعالمه". يقول الفيلسوف الفرنسي في القرن العشرين، جاك ماريتان، أن مارتن لوثر هو "مكتشف الهوية الذاتية". تظهر دراسة ماريتان عن لوثر، في كتابه "ثلاثة مصلحين: مارتن لوثر، رينه ديكارت، جان جاك روسو". يذكر ان لوثر هو مصلح الدين، وديكارت مصلح الفلسفة، روسو مصلح الفضيلة. قال ماريتان، "نشأ الاصلاح من صراع شخصي روحي ساهم في النتيجة في كرامة الانسان، وهذا ما ساهم في الحداثة".

تحدّث مارتن لوثر عن الهوية الذاتية، عندما ميّز بين انسان الداخل أو الباطن، والانسان الخارج، محلّلا قول الرسول بولس، "لذلك لا نفشل، بل وإن كان إنساننا الخارج يفنى، فالداخل يتجدّد يومًا فيومًا" (٢كورنثوس٤: ١٦). وقوله، "لكي يعطيكم بحسب مجده، أن تتأيّدوا بالقوة بروحه في الانسان الباطن، ليحل المسيح بالايمان في قلوبكم" (أفسس٣: ١٦-١٧). تحدّث لوثر، عن التحرّر الداخلي من الذنب، عندما يعترف الانسان بخطاياه ويختبر معجزة الغفران الالهي. فانسان الداخل أو الباطن له قيمة كبيرة. فهناك هوية شخصية ذاتية أصيلة خفية وغير معلنة في داخلنا، تختلف عن عالمي الخارجي، وعن الدور المتوقع أن ألعبه في المجتمع. هوية الشخص، هي الامور التي تتعلّق بذاته وليس بغيره. الفكرة الأساسية من الهوية، أن حياتي وتفكيري ومشاعري هي ملك لي، وليست لأحد آخر". قال الفيلسوف تايلور، "قبل مارتن لوثر، كان المسيحي أحد الركّاب المسافرين، في السفينة الكنسية في رحلتها الى الله، لكن بالنسبة للبروتستانتية، لم يعد هناك ركّابًا في السفينة. فكل يجذّف بمجذافيّ قاربه الشخصي".

ربط لوثر بين عقيدة التبرير بالايمان وحده، والهوية الشخصية للانسان المؤمن. قال، "الايمان وحده هو الذي يبرّرنا أمام الله، فيحصل المؤمن على نعمة داخلية تمنحه القوة الهائلة، كيما يعيش حريته المسيحية مهما تعاظمت الضغوطات عليه. وهذه النعمة الداخلية، تعطي الانسان كرامته وحريته ومكانته. فهم مارتن لوثر الحرية، في سياق قبول الله أو رفضه. كان قد تحدّث القديس أوغسطينوس منذ القرن الخامس ،عن هذا "الانسان الباطن"، عندما قال: "لدي فراغ داخلي، ليس لدي استقرار في باطني، ولن يملأ احد هذا الفراغ ولن أعرف الاستقرار الداخلي الاّ بحضور الله في حياتي. كرّر الفيلسوف بلايز باسكال، نفس الفكرة، عندما قال، "للقلب أسباب وتبريرات، لا يعرفها العقل". يقول الفيلسوف تايلور، أن محاولة الانسان أن يجد ذاته الاصيلة وهويته ومكانته في مجتمع اليوم، أصبح لغزا في مجتمع مجزّأ ومشرذم وهشّ، ومتعدّد الانتماءات والمعتقدات والخلفيات.

لهذا، فان مفهوم لوثر عن الهوية، قد يكون له أهمية كبيرة في عصرنا لأنه يساهم، في ايجاد الانسان نفسه ومكانته في مجتمعنا الحديث.

القس سهيل سعود

هوية المسيحي تتحقّق في خدمة الله والآخرين

المصلح مارتن لوثر

(الحلقة الثانية)

قال المصلح مارتن لوثر في كتابه، "حرية المسيحي"، "الانسان المسيحي هو حرّ من الجميع ولا يخضع لأحد. الانسان المسيحي هو عبد للجميع وخادم للكلّ". إن مفارقة مارتن لوثر الشهيرة هذه، بين: "إنسان الداخل، وإنسان الخارج"، أي أن يكون حرّا من الجميع، وبنفس الوقت خادما للجميع، كانت محورية في تشديده على تحقيق المسيحي هويته، في خدمة الله والآخرين. حول كيف يصبح الانسان المسيحي حرّا، كتب لوثر، "يسوع المسيح مملوء بالنعمة والحياة والخلاص، والنفس مملوءة بالخطايا والموت والدينونة. لكن عندما يمنحنا المسيح بنعمته عطية الايمان، يأتي الايمان بيننا وبين خطايانا. وهكذا، فانه ينقل الموت والدينونة الى المسيح، وينقل النعمة والخلاص والحياة الينا". قال لوثر، "الذي يدخل في شركة مع الله بالايمان، فإنه أيضًا يدخل في شركة مع القريب أو الآخر. وكما يتّحد المؤمن بالمسيح، هكذا يتّحد أيضًا بالقريب أو بالآخر". اعتقد لوثر، ان الحرية التي يختبرها المسيحي بالايمان في حياته اليومية، تنسجم مع حرية القريب. قال لوثر، "الأمور الجيدة التي من الله في انساننا الباطن، يجب أن تتدفق الى الانسان الخارج، ليشترك بها الجميع.

أقام مارتن لوثر، ثورة في حياة الانسان في المجال الشخصي والعام. اعتقد، انه ليس من الضروري للانسان أن يكون راهبًا أو كاهنًا، ليكون أكثر قربًا الى الله، لكن يمكنه أن يخدم الله بشكل كامل في حياته العادية اليومية، في بيته وعمله وكنيسته. استخدم لوثر تعبير، "لبس القريب"، كما استخدم الرسول بولس، لبس المسيح، "إلبسوا الرب يسوع المسيح، ولا تصنعوا تدبيرًا للجسد لأجل الشهوات" (رومية١٣: ١٤). في عظة ألقاها عام ١٥٢١، بعنوان "الانواع الثلاثة من الحياة الصالحة"، ذكر لوثر، "أن الحياة الصالحة، تشرق للآخرين من محور عقيدة التبرير بالايمان وحده". قال، "الانسان المسيحي لا يعيش في ذاته، وانما في المسيح وفي الآخر، وإلّا لن يكون مسيحيًا. فعلى المسيحيين أن يعيشوا في حياتهم العادية من أجل القريب، لكن يعيشوا بطريقة

أكثر من عادية". اعتقد لوثر، أن هويتنا المسيحية، تتمحور حول محبة الله المغيّرة، التي قدّمت نفسها في المسيح، الذي يجدنا بروحه القدوس أينما كنّا. فمحبة الله، المعطاءة والمغيّرة، تتجاوز نفسها نحو الآخر". وفي عظته حول "النوعين من البرّ"، التي ألقاها عام ١٥١٩، شدّد لوثر على ضرورة عيش الانسان مسيحيته بنشاط، وهو يقوم بواجباته اليومية. اعتقد أن قيمة الانسان تكمن ، في خدمة الآخرين من خلال محبة الله المعطاءة.

تحدّث المصلح الاجتماعي القس الدكتور مارتن لوثر كينغ، الذي أخذ اسمه من مارتن لوثر، في عظته عام ١٩٦٠، عن ثلاثة أبعاد للحياة المكتملة: الطول، والعرض، والارتفاع. قال كينغ، "ليس المقصود بالطول، عدد السنين التي نعيشها على الأرض، لكن المقصود بها، الاندفاع في الحياة لتحقيق قوتنا الداخلية وطموحنا. والمقصود بالعرض، الخروج من الذات الى الخارج، لبلوغ الآخرين، والاهتمام بحاجاتهم. والمقصود بالارتفاع، السمو عالياً نحو الله". قال مارتن لوثر كينغ، "عندما تكتشف القيمة الحقيقية لحياتك، إسعَ لكي تعيشها بملئها، وبتميّز: مهما كانت نوعية حياتك ونوعية عملك، فلا تعتبرها غير مهمة، لأن غايتها بناء الانسانية. حياتك لها معنى كوني. إذا ما كنت كانس شوارع، فاكنس الشوارع، كما كان ينقّش مايكل انجلو تحفاته الفنيّة، أو كما كان يؤلّف بيتهوفن سيمفونياته، أو كما كان يكتب شكسبير قصائده". رأى مارتن لوثر كينغ، أن الدعوة تتضمّن أن نكافح من أجل إظهار عدالة الله في وجه الظلم الاجتماعي.

وسط غياب الاهداف في هذا العالم، لا تزال تقرأ وتعلّم تعاليم مارتن لوثر التي تحدّثت عن ضرورة وجود معنى في حياتنا الذي يقدّمه الايمان بالمسيح، وأن يكون لنا هدف من وجودنا خدمة الله والآخرين، ولا يزال مارتن لوثر كينغ يوحي حياة الكثيرين للعمل من أجل خير القريب. قال الفيلسوف الكندي شارل تايلور، المشكلة الاساسية في عالم اليوم، هو غياب المعنى. في كتابه "شجاعة أن أكون" The Courage to be ، للّاهوتي الألماني المعاصر بول تيليك، ذكر أن معضلة انسان اليوم، هو غياب المعنى، الأمر الذي يسبّب له القلق الشديد. لهذا يحتاج انسان اليوم، الى الشجّاعة كيما يؤّكد على معنى حياته. انه بحاجة الى شجاعة الرجاء التي تضخّ القوة والحياة في الانسان، وسط عالم، يغيب فيه المعنى والهدف.

القس سهيل سعود

"

وقام كثير من أجساد القدّيسين"

المعلم جان كلفن

.يذكر البشير متى، أنه حين أَسلَم يسوع الروح على الصليب، حدث إنشقاق في حجاب الهيكل من فوق الى أسفل، وزلزال سبّب: تشقّق الصخور، وتفتّح القبور وقيام عدد من أجساد القدّيسين الراقدين فيها، وخروجهم من القبور بعد قيامة يسوع، ودخلولهم الى أورشليم، وظهروهم لكثيرين. يذكر النص: "والأرض تزلزلت. والصخور تشقّقت. والقبور تفتّحت. وقام كثير من أجساد القدّيسين الراقدين،

وخرجوا من القبور بعد قيامته. ودخلوا المدينة المقدسة. وظهروا لكثيرين" (متى٢٧: ٥٢-٥٣).(كلمات محيّرة، حيّرت مفسّري الكتاب المقدس على مدى العصور. ربطوها بنبوءة النبي اشعياء: "تحيا أمواتك تقوم الجثث. إستيقظوا. ترنّموا يا سكان الأرض" (إشعياء٢٦: ١٩). فما المقصود من هاتين الآيتين اللتين، لم يذكرهما سوى إنجيل متى، من بين الأناجيل الأربعة. تفاوتت التفسيرات، لهذا الحدث. وتساءل العديد من المفسّرين، عن هوية اولئك القديسين الراقدين الذين فتحت قبورهم وقاموا في قيامة المسيح، منها:

-اعتقد البعض أن، البعض من جماعة الايمان، الذين كانوا على زمن المسيح. رأوا في استخدام الكاتب، كلمة "القدّيسين"، اشارة الى ذلك، كونها لم تُستخدم أبداً في العهد القديم، بل إبتدأ إستخدامها في العهد الجديد. ربط مؤيدي هذا الرأي، بين ما حدث وقول يسوع: "الحق الحق أقول لكم، أنه تأتي ساعة وهي الآن، حين يسمع الأموات صوت ابن الله، والسامعون يحيون... لا تتعجبوا من هذا، فإنه تأتي ساعة، فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته. فيخرج الذين فعلوا الصالحات الى قيامة الحياة، والذين فعلوا السيئات الى قيامة الدينونة" (يوحنا٥: ٢٥، ٢٨-٢٩). وأيضا، قول الرسول بولس، لأعضاء كنيسة تسالونيكي: "ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الإخوة، من جهة الراقدين. لكي لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم" (١تسالونيكي٤: ١٣ .(وبالتالي، عندا قام أولئك القديسين الذين كانوا راقدين، فقد ظهروا لطمأنة أحبّائهم، أنهم لم يموتوا، ولكنهم إستعادوا الحياة بقيامة المسيح. ظنّ البعض، أن أولئك القديسن، رافقوا المسيح في صعوده إلى السماء.

-البعض الآخر إعتقد، أنهم آباء وأنبياء العهد القديم، مثل: إبراهيم وإسحق ويعقوب. تحدّث القدماء، أن النبي أيوب، كان واحداً منهم.

-البعض إعتقد، أن قيامة أولئك القديسين، كانت مؤقتة، شبيهة بإقامة يسوع: للعازر وابنة يايرس، وآخرين، الذين بعد أن أمضوا بعض السنين على قيد الحياة، فإنهم عادوا وماتوا ووضعوا في القبور.

-البعض تحدّث أن هذا المشهد هو مشهد رؤية، شبيه بالمشهد الذي رآه التلاميذ: بطرس ويعقوب ويوحنا على جبل التجلي، اذ رأوا :النبي موسى، والنبي إيليا، عندما كانوا في رفقة المسيح في وقت تجلّيه.

يذكر المصلم جان كلفن، في تعليقه على هاتين الآيتين (متى٢٧: ٥٢-٥٣)،قائلاً: "كانت معجزة مؤثّرة، أعلن من خلالها الله، أن ابنه يسوع دخل سجن الموت، ليس ليكمّل مسجوناً فيه، لكن ليحرّر المسجونين. لأنه في الوقت نفسه، الذي ظهر فيه الضعف الإنساني الشديد في جسد المسيح، فان قوته الإلهية إخترقت الهاوية. فانه في حين كان على وشك، أن يغلق عليه القبر، فتح القبور الأخرى. لا ندري تماماً، إن كان فتح القبور، قد حدث قبل قيامته. لكن (يقول كلفن): "أعتقد أن قيامة القدّيسين الراقدين قد حدثت بعد قيامته. اذ تذكر الآية التي تلت: "وخرجوا من القبور، بعد قيامته" (متى٢٧: ٥٣). ويتابع قائلا، "مع أن بعض المفسّرين، يعتقدون أن ما حدث، قد حدث مباشرة بعد موته، لكن التساؤل يبقى: هل من الممكن، أنه بعد أن أرجع المسيح الحياة للراقدين، وقدرتهم على التنفس، أن يبقوا ثلاثة أيام مخبّأين في قبورهم؟ يجيب كلفن: "أعتقد أن الاحتمال الأكبر، هو أنه عند موت المسيح واسلامه الروح للآب، فتحت القبور مباشرة. وبعد قيامته من الموت في اليوم الثالث، أقامهم، فخرجوا من القبور. وهذا ينسجم مع قول الرسول بولس، أن المسيح: بكر من الأموات ، "هو البداءة، بكر من الأموات، لكي يكون هو متقدّماً في كل شيء" (كولوسي١: ١٨). وباكورة الراقدين، "ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات، وصار باكورة الراقدين" (١كورنثوس١٥: ٢٠). فالمسيح بموته، إبتدأ الحياة الجديدة. وبقيامته أكملها .

يتابع كلفن،" لكن يبرز سؤالا أساسيا؟ : لماذا قرّر الله أن يقيم، فقط عدداً محدوداً من أجساد القدّيسين الراقدين، لأن المشاركة في قيامة المسيح، هي بالتساوي لكل جماعة الإيمان، وليس لعدد محدود؟" ثم يجيب: "بما أن الوقت لم يحن بعد، لأن يتّحد كل جسد الكنيسة في الرأس، الذي

هو المسيح. فإن ما قام به، كان مجرّد نموذج، لقوة الحياة الجديدة التي سيمنحها المسيح لجميع محبّيه، في القيامة في اليوم الأخير. فالمسيح صعد الى السماء، على أساس أن تكون حياة أولاده، مستترة ومخبّأة فيه، الى أن يُظهرها في المجد، كما قال الرسول بولس، لأعضاء كنيسة كولوسي: "إهتمّوا بما فوق، لا بما على الأرض، لأنكم قد متّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله. متى أُظهر المسيح حياتنا، فحينئذ تظهرون أنتم أيضًا معه في المجد" (كولوسي٣: ٣-٤). وبالتالي، فان ما قام به المسيح، بإقامة عدد محدود، هو كيما يبقي أذهان وقلوب جماعة الايمان، مفعمة بالرجاء، كون القيامة تنتظر الجميع. لكنه منحها للبعض، في هذا الوقت، ليس لأنهم أفضل من الآخرين، لكن لتكون مثالاً حيًّا، عن قوة قيامته التي تقيم أجساد الراقدين القديسين."

في نهاية، تعليقه، يقول كلفن: "لكن برز أيضًا سؤال أصعب، ماذا حدث لأولئك القدّيسين بعد ذلك؟ لأنه قد يكون غير منطقي، أن نفترض أنه، بعد أن منحهم المسيح فرصة، المشاركة في قوة الحياة، أن يرجعوا ثانية الى التراب، والقبور بهذه السهولة. وهذا لن يكون دليلا عن القيامة الكاملة ". وهنا يقول، "لا يمكننا الإجابة على هذا السؤال الصعب، فالبشير متى يذكر، أنه ظهروا لكثيرين، لكن لا بد أن هذا الظهور، كان لفترة وجيزة، غايته التأكيد لأولاده الآخرين، عن يقينية الحياة السماوية. لأنه في اليوم الأخير، سيقيم الأشرار للدينونة، والأبرار للحياة الأبدية.

القس سهيل سعود

هل تظن أنك سيّد نفسك؟

آراء مصلحة

يسدّد عالم النفس التحليلي الشهير سيغموند فرويد، ضربة الى النرجسية الانسانية، بقوله، "أن مسار العمليات الفكرية في الدماغ، تحدث في اللاوعي الانساني وتصل الى الذات من خلال أحاسيس لا يوثق بها". هذا الاكتشاف، يشير أن الذات البشرية ليست سيدة في بيتها". ان قول فرويد هذا، يعاكس قناعة الفيلسوف إيمانويل كانت، الذي قال "هناك أمرًا مطلوبًا للحرية الداخلية للانسان، هي أن يكون سيد نفسه، ويحكم ذاته باخضاعه انفعالاته وعواطفه". إن ما اكتشفه فرويد، يكشف ان الحرية الداخلية التي تغنّى بها الفيلسوف كانت، ليست، إلاّ وهم. لم يكن فرويد أول من اكتشف حقيقة ان الانسان ليس سيّد ذاته. فقد اكتشفها النبي داود، الف سنة قبل المسيح. صلّى الى الله قائلاً، "السهوات من يشعر بها؟ من الخطايا المستترة أبرئني" (مزمور١٩: ١٢). واكتشفها النبي موسى قبله. صلّى الى الرب قائلاً، "قد جعلت آثامنا أمامك، خفيّاتنا في ضوء وجهك" (مزمور٩٠: ٨). تحدّث النبي داود، عن خطايا مسسترة ومخبأة عن ادراكنا، والنبي موسى، عن آثام خفية عن عيون أذهاننا، لكن ضوء وجه الله يكشفها ويعرفها. هذه الخفيات والمستورات، هي بلغة فرويد، هي الأحاسيس التي تحدث في اللاوعي، والتي لا يوثق فيها والتي تحدث في مسار العمليات الفكرية في الدماغ. في مقالة بعنوان "الحرية: المفاهيم الانتربولوجية بمقارنتها بين لوثر وميلنكتون" لكاتبها أزولد باير، ذكر الكاتب، أنه في البند الحادي عشر من "اعتراف ايمان اوغسبرغ" اللوثري، ذكر المصلح فيليب ميلنكتون، تبريره لعدم تعداد وذكر كل الخطايا التي يقترفها الانسان الخاطىء عندما يعترف للرب. السبب هو لأنه هناك آثاما وخطايا، خفية عن الانسان نفسه ومستترة عن عيون ذهنه، مستشهدا بتلك الآيات، التي تؤكّد اننا لا نعرف حقيقة انفسنا.

هذا النقص في معرفة االذات ينحدر من عجز أساسي في الارادة الانسانية، بسبب الدمار الذي سببته الخطية لقوى الانسان. يقول النبي ارميا، "القلب أخدع من كل شيء. وهو نجيس، مَنْ يعرفه؟ أنا الرب فاحص القلب ومختبر القلوب، لأعطي كل واحد حسب طرقه حسب ثمر اعماله"

(ارميا١٧: ٩-١٠). وجد ميلنكتون، أن قول النبي إرميا يفتح الباب لفهم حقيقة الطبيعة البشرية. القلب خادع ونجس، فمن يستطيع أن يعرفه؟ يخدع القلب صاحبه لأنه يخبىء حقيقة نفسه عنه. سأل ميلنكتون، من يستطيع أن يجد طريقة وسط، وسط طرق القلب المتشعبة الاتجاهات؟ قال لوثر "نحن لسنا اسياداً على ضمائرنا ولا على روآنا واحلامنا التي بعض منها يدهشنا والبعض الآخر يخيفنا. فمن يستطيع سبر غور قلبه، الذي هو أعمق من أي شيء؟ فالذي يحاول الوصول الى قعر قلبه، يسقط في هوّة عميقة".

ذكر لوثر في مناظرته في هايدلبرغ عام ١٥١٨، أنه بعد السقوط، فإن الارادة الانسانية الحرّة لم تعد موجودة سوى بالأسم. إذا ما كانت قادرة على القيام بشيء، فان كل ما تستطيع ان تقوم به هو اقتراف خطية مميتة. اعتقد الفيلسوف الانسنيوي ديزدريوس إيراسموس، الذي دخل لوثر معه في جدال حاد حول حالة الارادة البشرية، بأن الانسان يقسّم الى ثلاثة اقسام، هي: روح ونفس وجسد. تفتح الروح الباب للبشر ليصيروا آلهة. ويفتح الجسد من خلال شهواته وغرائزه الدنيا، الباب لإمكانية ان يصبح البشر حيوانات. وأما النفس، المتموضعة بين الروح والجسد، فانه يمكنها: اما الاتجاه نحو الاسفل الى مصاف الحيوانات، أو الى العلاء نحو الله". اعتقد ايراسموس ان الانسان يمتلك الحرية لأن يكون سيداً على نفسه. لهذا عليه ان يصارع شهوات الجسد، من اجل الروح. ذكر ميلنكتون في "اعتراف ايمان أوغسبرغ"، البند الثامن عشر، حول موضوع حرية الارادة، قائلا، "نعلم أن الانسان يمتلك قدراً بسيطاً من حرية الارادة، التي تخوّله ان يعيش حياة خارجية كريمة ويصنع الخيارات حول الامور التي يفهمها العقل. إلّا انه بدون نعمة الله وعمل الروح القدس، لن يكون الانسان قادراً ان يرضي الله وتتشكّل فيه مخافة الله ". وفي كتابه "الاماكن العامة: الامكانات الانتربولوجية للطبيعة البشرية" ، ذكر المصلح ميلنكثون، "أن الانسان ليس سيّد نفسه". وأضاف، " طبعاً، لا يمكننا أن ننكر ان لدينا نوعاً من الحرية، لكن ليس الامر كذلك بالنسبة لمشاعرنا الداخلية التي لا نتحكّم بها. يقول الرسول بولس، "فإني أعلم انه ليس ساكن فيّ، أي في جسدي شيء صالح. لأن الارادة حاضرة عندي، وأما ان أفعل الحسنى فلست اجد. لأني لست افعل الصالح الذي اريده، بل الشر الذي لست اريده فإيّاه افعل. فإن كنت ما لست اريده إياه افعل، فلست بعد افعله أنا، بل الخطية الساكنة فيّ" (روميه٧: ١٨-٢٠).

اعتقد لوثر، انه لا قدرة للارادة البشرية ان تتجّه نحو الله بسبب الخطية. وبالتالي، فإن خلاص الانسان وتبريره أمام الله، ليس عملا بشريا، وانما عمل نعمة الله بشكل كلي. قال، " النعمة الالهية، هي التي تخلق فينا الايمان، ولا احد يستطيع ان يعيق عمل النعمة من تحقيق هدفها". آمن أن الحرية التي نحصل عليها في الايمان بالمسيح، توجّه صفعة الى محبة الذات، لأنها تميت الانسان القديم ليحيا الجديد. في مطالعته الانتربولوجية "العاطفة وليس العقل هي التي تدير الارادة"، قال المصلح ميلنكثون، " تظهرالاختبارات الشخصية أن أقل امر يستطيع ان يتحكّم فيه الانسان هو قلبه، بالرغم من كل التعاليم الفلسفية اليونانية والرومانية التي تحاول اثبات العكس. تفيد الخبرة البشرية، ان الارادة لا تستطيع بقوتها الذاتية، ان تتحكم بالمحبة او الكراهية. فالذي يفترض ان الارادة بطبيعتها قادرة ان تجعل مشاعر تتغلب على اخرى يكون واهماً. فالانسان في طبيعته ليس سيداً على نفسه. ليس سيدا، في عمق كيانه وقلبه وفي مركز ارادته التي تنبع منها المشاعر والعاطفة فيه. الاّ أنه، فقط عندما يتجدّد القلب والذهن ويتحوّلان من خلال عمل الروح القدس الى المسيح، يصبح القلب حراً، والذهن يفكّر ويعمل ما هو صالح.
وبالتالي، فالناس ليس أسياداً على انفسهم ولا على ادراكهم. فقط كلمة الله، تستطيع ان تسلّط الضوء على ما يحدث في اللاوعي الذي تحدّث عنه فرويد وتكشف حقيقة ما يجري. فقط بالنعمة وحدها، بواسطة الايمان نفسه، يمكن للانسان ان يصير ثانية سيداً على نفسه.

القس سهيل سعود

يقينية الخلاص تستند على نعمة الله وحدها

المصلح مارتن لوثر

اعتقد لاهوتيو الكنيسة في القرون الوسطى، أن خلاص الانسان يتحقّق بشكل تدريجي، بمعنى أن الله يزرع نعمته في الطفل عند المعمودية. فتنمو نعمته تربيجيا في حياته، بينما يكبر ويشترك في اسرار الكنيسة السبعة ويقوم باعمال الرحمة والصلاح الى جانب ايمانه. وإذا لم يكفِ كل هذا لإدخاله الفردوس، فإنه يدخل الى المطهر كيما ينقّى ويطهّر من باقي خطاياه، الى ان يخرج من المطهر الى الفردوس. الاّ أن المصلح مارتن لوثر، رفض هذا المفهوم التدريجي للخلاص. آمن لوثر أنه في اللحظة التي يتبرّر فيها الانسان أمام الله، بالنعمة وحدها بواسطة الايمان وحده، فإنه يحصل على يقين الخلاص، لأن الخلاص ليس أمرا مجزّأ أو تدريجياً، لكن الانسان المبرّر يستلمه دفعة واحدة من الله، الذي يمنحه بركته الابدية بشكل فوري. لكن عملية التبرير، يجب أن تتبعها عملية التقديس اليومي، اذ من خلال التقديس يعود الانسان دائمًا الى الله عندما يخطىء، ويطلب منه غفرانه لخطاياه ومنحه قوته مدى الحياة.

ان اختبار مارتن لوثر، كراهب سابق في الدير لمدة عشرين سنة. وفشل جهوده الرهبانية التقيّة في تبريره امام الله. وادراكه ان الانسان لا يمتلك في طبيعته صلاحًا جوهريًا يمكنّه من المثول امام الله، ولا معرفة صحيحة عن الله أو محبة حقيقية له، كانت الأسس التي اعتمدها في ايمانه، أن يقينية خلاص الانسان تؤسس على عمل الله وحده. فالله مصدر الايمان، هو نفس الخالق الذي يعيد خلق الخاطىء من العدم، رغما عن معارضة طبيعته البشرية الخاطئة، وعجزه عن المساهمة في خلاصه. أيضًا رفض لوثر مفهوما سكولاستيا، يفيد أن الايمان يشكّل بالمحبة وأن المحبة هي التي تأتي اولاً بالايمان، وتعطي الايمان مشروعيته. فصل لوثر بين الايمان والمحبة، بين استلام الايمان وثمار المحبة التي تنتج حياة اخلاقية.

اعتقد لوثر، أن يقينية الخلاص هي محورية في الايمان المسيحي والحرية المسيحية. فالخلاص، لا يستند على نشاطاتنا الكنسية، أو أعمالنا الصالحة او نوعية اخلاقنا، لكنه يستند بشكل كامل على وعد الله الذي لا يخزي. قال لوثر، "لا يمكننا ان نستند في خلاصنا، على الاعمال

والاستحقاقات البشرية التي لا استقرار لها، ولا ضمانة فيها، وتتعرض لاهتزازات وهجومات الشيطان، لكننا نستند فقط على وعود الله الصادقة بغفران خطايانا". اعتقد ، ان استلام الايمان من الله هو بحد ذاته استلام وقبول فاعل. فسّر كيف يكون استلام الايمان فاعلاً، بقوله "الذي يبرّر الانسان ويخلّص الخاطىء، ليس نشاطات الايمان بحد ذاتها. انه ليس القدرة على استلامه، ولا الايمان بما استلمه. إنه ليس احساس المؤمن بحرارة الايمان، وإنما هو هبة الله التي هي الاحتماء في برّ المسيح الذي ينسب الينا. إنه غفران خطاياه وقبوله في الخلاص لأجل المسيح. إنه قوة الروح القدس المنيرة للنفس، التي تجعل الانسان مؤهلاً لاستلام الخلاص واعلان الانجيل. فصل لوثر، الخلاص الشخصي، عن أية نشاطات وأعمال انسانية". وأضاف قائلا، "يحيا الايمان عند استلام الانسان لهبة يسوع المسيح المخلّصة. يحدث هذا الاستلام، بشكل منفصل عن كل نشاطات الايمان الداخلية والخارجية التي لا صفة خلاصية لها، وانما تأتي في سياق ثمار الروح القدس. فالمؤمن يستلم ايمانه، دون ان يكون له اي فضل فيه. قال، "يعطي الله الايمان ليدفىء قلب مستلمه بنعمة الروح القدس، فيخلق فيه محبة واثقة في الله تتوقع كل شيء وتقبل كل شيء من الله. ومن علاقة محبة الله الفاعلة، تفيض من مستلم الايمان المحبة للقريب والرغبة في مساعدته واظهار ثمار الروح في تصرفاته معه.

خاطب لوثر السامعين لمحاضرته حول الرسالة الى أهل روميه، قائلاً لهم: "أنتم تصبحون أبراراً مخلّصين من أجل المسيح. ليس اليوم أبرار ويوم آخر مخلّصين، ولكن عندما يبرّركم الله بالايمان، تصبحون أبراراً ومخلّصين، قبل أن يكون عليكم ان تفعلوا أي عمل صالح، وبغض النظر عن قدرتكم في تقديم شيء يرضي الله". أضاف لوثر، "ليس الايمان عملاً يحضّر الانسان نفسه له، لكنه قدرة الهية تحريرية مفرحة، يجريها الله فينا من خلال الروح القدس. فالايمان ثقة كاملة. انه تجاوب مع كلمة الله في الانجيل، حيث وعد الله بغفران لكل ذنوبنا ولعقاب الخطية. وكأولاد لله، ودون أن نساهم في شيء، نقبل في الخلاص، ونصبح ورثة للحياة الابدية".

ظلم إفقار الناس

نظر لاهوت القرون الوسطى الى الفقر، على انه حالة مفضّلة لدى المسيحيين لأنه يجعل الانسان غير متمسّك بشيء في هذه الحياة ويشجّعه ليضع رجاؤه في الله وحده بانتظار المكافأة. فدخول جمل من ثقب إبره، أيسر من دخول غني الى ملكوت السموات. انتشر في ذلك الزمان رهبنات متنوعة، شدّدت بشكل مبالغ على الفقر. نظر الى التصدّق على الفقراء، على انه من الأعمال الصالحة التي تساهم في خلاص الانسان. وتمّ التركيز على فاعل الصدقة، ربما أكثر من المستلم وحاجات الفقراء، للقوة الروحية التي تحملها الصدقة امام الله.

وعندما حلّ زمن الاصلاح الانجيلي في القرن السادس عشر، وكانت كنيسة القرون الوسطى قد قامت بتقديس الفقر للفقراء وتقديس الصدقة للأغنياء، فقد عمل المصلحون على تغيير هذه الذهنية. وجد المصلحون أن تلك الايديولوجية، منعت الناس من رؤية الحاجة الى تغيير البنية الاجتماعية، التي تسبّب الفقر. وجد لوثر، أن هناك خللاً بنيوياً في المجتمع، وقوانين اقتصادية واجتماعية تظلم الفقراء وتدمّرهم. رأى ان هناك مجموعة قليلة من الاغنياء، تتحكّم بمعيشة الأكثرية الفقراء.

ان عقيدة "التبرير أمام الله، بالايمان وحده" التي أطلقها المصلح مارتن لوثر قطعت شريان لاهوت الفقر، لأنه آمن أن خلاص الانسان هو عطية مجانية من الله، بغض النظر عن الاعمال الصالحة التي يقوم بها، والتي أصبحت تأتي في المرتبة الثانية، كثمار للايمان. إن نتيجة هذه العقيدة، أنها أفقدت القوة الخلاصية للصدقة. وهكذا ابتدأ ينظر المصلحون الى الفقر كظلم وشرّ وآفة اجتماعية يجب محاربتها وعلاجها، بالاضافة الى باقي الشرور الاخرى. يأتي القديس فرنسيس الأسيزي، مثالاً في القرن الثاني عشر لتقديس الفقر، لأنه رفض الغنى والمال ودعا الى عدم الاكتراث به والقلق بشأنه". لكن تعليق لوثر، على موقف الأسيزي ظهر بقوله: "لقد استبدل الأسيزي غفران الخطايا بقانون جديد هو التخلي عن كل شيء". قال لوثر، "ليس الفقر أمرًا يجب ان نختاره او نسعى وراءه. فهناك أصلاً عدداً كافياً من الفقراء في العالم، كما قال المسيح "الفقراء معكم في كل حين" (يوحنا١٢: ٨). هذا اللاهوت الجديد، لم يعد ينظر الى الفقراء اهدافًا للصدقة،

كيما نربح من خلالهم استحقاقا عند الله. بل أصبح ينظر الى الفقراء، أقرباء نخدمهم ونعمل من اجل عدالتهم وانصافهم، من خلال الانظمة والقوانين المدنية والكنسية". عمل المصلحون مع الحكومات القائمة على وضع تشريعات جديدة تأخذ بعين الاعتبار، انصاف الفقراء وحفظ حقوقهم. صدرت قرارات حكومية لتنفيذ هذا التوجّه الجديد، فأصدر مجلس مدينة ويتنبرغ قراراً بمنع التسوّل. الجهد الاول الذي أقامه لوثر، تأسيس صندوق للعمل الاجتماعي في مدينة ويتنبرغ عام ١٥٣٣ ولاحقًا في المدن التي دخل اليها الاصلاح. تمّ تمويله أولاً من خلال التبرعات ولاحقًا من خلال الضرائب. كان هذا الصندوق اختلاقًا جديدًا قدّم خدمات اجتماعية.

بفضل تمويل هذا الصندوق: تمّت مساعدة الفقراء والأرامل والأيتام، والفتيات الفقراء بمدّهم ببعض المال لزواجهم. منحت قروض بلا فائدة لمساعدة الفقراء في مشاريع صغيرة أسّسوها، وعندما لم يتمكنوا من تسديد ديونهم، سامحوهم فيها. دعم الصندوق، التدريب المهني والتربوي للفقراء. عندما ارتفعت الفائدة الى ٤٠٪ على المستدينين، دعا لوثر الى تخفيضها الى حوالي ٤ او ٥٪. قال "حاجات الفقراء هي اهم من الربح الشخصي". توقف لوثر عند قول المسيح للذين عن يساره "لأني كنت جائعا فلم تطعموني، عريانًا فلم تكسوني، مريضًا ومحبوسًا فلم تزوروني" (متى٢٥: ٤٣). قال لوثر "ألا يُسمّى الذين يفعلون مثل هذه الأمور انهم قتلة؟ مع أنهم لم يقترفوا جرائهم حقيقية، إلّا أنهم سمحوا بهلاك الفقراء". عندما تضاعفت اسعار المواد الغذائية وبقيت الرواتب كما هي ، لم يتردّد في القول ان ما يحدث هو سرقة وقتل مقنّع. أعلن قائلا: "الله يعارض الطمع والاستغلال. ألا يدرك الطمّاعون ان ما يحدث هو ببساطة سرقة للناس. ألا يعلمون أولئك انهم يجّوعون الناس ويقتلوهم، عندما لا يبقى لديهم ما يعتاشون منه". دعا الى المسائلة العلنية لظالمي الفقراء، كما دعا كل المسؤولين الكنسيين والحكوميين الى حماية الفقراء. في كتابه "الكاتخيسم الكبير"، قال لوثر: "يسلب الفقراء يومياً. يرهقون بأحمال غلاء الاسعار.و يستغل الطمّاعون الاسواق بطرقهم الخبيثة، وكأنها ملكهم فيبيعون البضاعة بأغلى الاسعار. إنهم يأكلون خبزنا ويشربون ماءنا ويعيشون على أجساد الفقراء"..

في مقالته "مارتن لوثر حول الفقر" لكاتبها، كارتر ليتنبرك، قال الكاتب، "لم يتحدث لوثر عن الفقرن كسياسي او اقتصادي أو عالم اجتماع، وإنما كلاهوتي يعلن رسالة الانجيل. لم يكن التزامه بالقضايا الاجتماعية على الطريق الارسطوطالسية بالتحوّل من الرذيلة الى الفضيلة،

وإنما تحدث كلاهوتي في خدمة الانسان. تحدث عن الايمان العامل بالمحبة، الذي يختبره الانسان فيفيض منه نحو الآخر المعوز ". اطلق لوثر على الخدمات الاجتماعية تسمية، "الليتورجيا الاجتماعية التي تلي الليتورجيا الروحية". قال، "سيكون العالم مليئًا بالعبادة، اذا ما ساعدنا الفقراء والمحتاجين. عاش لوثر في زمن، تم فيه الاشادة، بالذين ابتعدوا عن المال والذهب والفضة، لكن موقفه كان: "المال والفضة والذهب هي خليقة جيدة نستطيع ان نستخدمها لمساعدة الفقراء وسدّ حاجاتهم لمجد الله. نظر الى المال، ليس كسيد للحياة، وإنما، كخادم للناس، لا سيما الفقراء والمحتاجين. قال، "ليست المشكلة في المال بحد ذاته، وإنما بطريقة استخدامه. فإذا ما أعطاك الله غنى، إشكر الله عليه واحرص على استخدامه بشكل جيد لمساعدة الفقراء والمحتاجين لمجد الله".

كم أن لبناننا، في هذه الظروف الصعبة التي نعيشها بحاجة لأمثال أولئك العظماء. الذين شعروا مع الفقراء وخدموهم، وعاملوهم بكرامة، وأعدوا مجتمعا كريما رفض التسوّل وقدّم المساعدة لكل فقير ومحتاج. للأسف، ان معظم القيمين على وطننا قد ظلموا وأفقروهم وأساءوا بحقهم بقراراتهم وممارساتهم الفاسدة، التي تفتقر الى المهنية. بكلمات لوثر، "ما يحدث في لبنان هو ظلم وسرقة وقتل. يا رب أعن شعبنا المجروح، ووطننا الجريح لبنان.

القس سهيل سعود

الطمع المقنّع في غلاء الأسعار

المصلح مارتن لوثر

في مقالته "لوثر حول الطمع"، أجرى الكاتب ريتشارد ريتش، بحثًا في كتابات مارتن لوثر ليرى رأيه في الطمع، فوجد أن موضوع الطمع، يشغل مساحة هامة في فكر لوثر. شهد زمن الاصلاح في القرن السادس عشر، العديد من الازمات الاقتصادية والمالية والاجتماعية، فكرّس لوثر الكثير من وقته لتحسين الحياة العامة. طوّر لوثر مفهومه عن الطمع، بعد دراسة نصوص كتابية، منها، (١تيموثاوس٦: ١٠؛ أفسس٥: ٣؛ كولوسي٣: ٥؛ ونصوص اخرى). وجد أن الطمع، يهدم المبدأ الرئيسي، الذي يجب ان يحدّد موقفنا من الله والقريب، ويدمّر ثمار الروح القدس. وضع لوثر الطمع، في سياق الصراع بين ملكوت الله ومملكة الشيطان.

تعني كلمة "طمع" باللغة اليونانية : تكديس المال، والاحتفاظ لنفسه به، والتوقّع الدائم للحصول على المزيد منه. رأى لوثرن أن الرسول بولس، لا يطلق على أية خطية تسمية "عبادة الاوثان"، ما عدا خطية الطمع. اقتبس الوصية الثانية من الوصايا العشر، "لا تصنع لك تمثالاً منحوتًا، ولا صورة ما: مما في السماء من فوق، وما في الارض من تحت، وما في الماء من تحت الارض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني انا الرب الهك" (تكوين٢٠: ٤-٥). قال لوثر، "كشف الرسول بولس القناع الحقيقي عن وجه الطمع، عندما أسماه عبادة أوثان، أو عبادة الثروة والممتلكات. لا ينسجم الطمع، الذي هو عبادة الاوثان، مع الايمان الذي هو عبادة الله الحقيقية". اعلن قائلا، "الطمع هو الوثن الاكثر شيوعًا في الارض. هذا الجنوح الى جمع المال، ملاصق لطبيعتنا البشرية حتى القبر". اقتبس قول الرسول بولس للأفسسيين: "فإنكم تعلمون هذا: أن كل زان، أو نجس، أو طمّاع الذي هو عابد للاوثان، ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله" (أفسس٥: ٥). اعتقد أن الذي لا يضع ثقته بالله ويثّبت ايمانه بتصرفاته، فإنه لا يفرق عن الوثني أمام الله. اعتقد لوثر، أن الطمع يعيق العلاقة بين الانسان والله. قال، "الطامع هو الذي لا يثق أن الله سيهتم به، لكن يثق ان امواله وممتلكاته ستهتم به. على الجميع ان يدركوا ان الطمع هو عدم ايمان، بينما الكرم هو ايمان. فنحن: اما نكرم الله بثقتنا الكاملة فيه، أو نسيء اليه بثقتنا باموالنا".

ربط لوثر الطمع، بشهوة الجسد وشهوة العيون التي تحدث عنها الرسول يوحنا قائلا، "لأن كل ما في العالم: شهوة الجسد، وشهوة العيون، وتعظّم المعيشة، ليس من الآب بل من العالم" (١يوحنا٢: ١٦) اعتقد أن هذه الشهوة هي قوة كبيرة داخل الانسان، تجبره على اقتراف الشر. اعتقد أن المقصود بعبارة "فاعلي الشرّ، في قول المرنّم، "ألم يعلم كل فاعلي الإثم الذين يأكلون شعبي، كما يأكلون الخبز" (مزمور١٤: ٤)، هم الطمّاعون الذين يتمسّكون بأموالهم وأملاكهم الى حد العبادة. توقّف عند قول المسيح في عظته على الجبل ،"لا تقدرون أن تخدموا الله والمال" (متى٦: ٢٤). وجد ان "الكلمة" المستخدمة للمال، في اللغة الاصلية، هي "مامون". تعني الكلمة، "المال أو أي كيان يعد الانسان بالغنى، فيلهث وراءه للربح والكسب". شخّص "الطمع" في الميثولوجيا القديمة والآداب. اعتبر في القرون الوسطى على أنه أحد أمراء الجحيم الستة. رأى البعض، انه تسمية ثانية، "لبعلزبول رئيس الشياطين. وصفه الكاتب جون ميلتون، في قصيدته "الفردوس المفقود"، على أنه ملاكًا ساقطًا، اعطى الأهمية الكبرى للكنوز الارضية على كل شيء آخر.

وصف لوثر ثقة الطمّاعين بأموالهم، قائلا: "يعتقد الطمّاعون، الذين يضعون ثقتهم بأموالهم وممتلكاتهم، أنهم يمتلكون الله وكل شيء يحتاجون اليه. يظنون انهم لا يحتاجون الى أمر آخر وحتى الله. يشعرون بسعادة كبيرة، وكأنهم يجلسون في الفردوس نفسه". وأضاف، " يستمتع الطمّاعون بجمع المال ولا يستخدمونه. يحتفظون به لأنفسهم، ويحصرون هدفهم في الحياة بجمع المال، ويعيشون من أجل تحقيقه، بدلا من أن يضعوا اموالهم في خدمة الكنائس والمدارس". خاطب أعضاء كنيسته قائلاً، " لا تخدع نفسك معتقدا، أنه مجرّد حفظك وترادك لآيات من الكتاب المقدس، يجعلك مسيحيًا حقيقيًا. ان كنت معمّدًا أم لا، لا يستطيع طمّاعًا ان يكون مسيحيًا. من المؤكد انه خسر المسيح واصبح وثنيًا. فلا يمكن أن تتعايش الصفتان في الانسان. امّا أن تكون طمّاعًا او أن تكون مسيحيًا. على أحدهما أن يزيل الآخر". رفض لوثر، السماح للطمّاعين المعروفين، بالاشتراك في الافخارستية في الكنيسة.

اعتقد لوثر، ان الطمع هو نوع من الخطايا التي تخفي ظلمًا وتخبىء استغلالاً، تحت قناع النوايا الحسنة والعمل الصالح. آمن أنه يتجذّر ويتأصّل في طبيعة الانسان الأنانية الساقطة ويتمدّد في العديد من الحقول والنشاطات التجارية والاقتصادية والزراعية. قال، " الطمع يفسد كل القيم الانسانية، لا سيما قيمة العدالة التي لا تثمّن". وأضاف، "يقنّع الطمع نفسه بمظاهر جميلة وربما

مقنعة موهما أنه فضيلة، بحيث يتعذّر في بعض الاوقات تحديده وتمييزه في سلوك البعض. وهكذا يمتنع الطمّاعون من مساعدة الآخرين بتبريرات عديدة، كالاهتمام بالعائلة والأهل او تأمين المستقبل وغيره. وهكذا، يكدّس الطمّاعون المال، تحت مسميّات عدة".

رأى لوثر، أن الفقراء يتألّمون بسبب طمع الطمّاعين الذي يستغلّون الفقراء بطريقة جرائمية. قال، "تسلّل الطمع الى من سميّوا "طبقة النبلاء"، فاذ بهم يتحكّمون بأسعار المواد الغذائية والضرورية في الاسواق. انهم لا يبالون بدمار العالم، فان طمعهم وشهوتهم للربح تعلو فوق اي اعتبار آخر، حتى وان كان على حساب تجويع الناس. انهم يريدون أن يتحكّموا بالفقراء، كيما يعتمدون عليهم وكأنهم آلهة". انفجر غضباً قائلاً، "لقد تحوّل العالم الى مخازن لتخزين البضاعة، مدفوعاً بطمعه. فاللصوص الكبار يشنقون اللصوص الصغار، والسمكة الكبيرة تلتهم السمكة الصغيرة". دعا المسؤولين الى التحقيق في طمع التجّار والاقتصاديين.

آمن لوثر أن كلمة الله وحدها، قادرة على كشف حقيقة الطمع في حياتنا.اعتقد، انه يمكن التغلّب على الطمع وعبادة المال، بواسطة الايمان الحي والمحبة الاخوية". قال، "اذا ما وضع الانسان قلبه وثقته في نعمة الله بالايمان، فانه لا يمكن أن يصبح طمّاعاً، لأن نعمة الله تشكّل حياته، وتمنحه اليقين الكامل انه مقبول لدى الله. فلا يعود يتعلّق بماله بل يستخدمه بفرح من اجل خدمة الناس وخير القريب. فالمؤمن بنعمة الله يثق، انه سيكون لديه ما يكفي ليعيل نفسه وعائلته، مهما ساعد المحتاجين من أمواله".

القس سهيل سعود

المصلح مارتن لوثر

اعتقد لوثر، أن الهدية العظمى التي يستلمها الانسان المبرّر والمقدّس من الله، هي برّ المسيح. يقول الرسول بولس "متبرّرين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح ،الذي قدّمه الله كفّارة بالايمان بدمه لإظهار برّه من اجل الصفح عن الخطايا السالفة بامهال الله لإظهار برّه في الزمان الحاضر، ليكون باراً ويبرّرن من هو من الايمان بيسوع" (روميه٣: ٢٤-٢٦). قال لوثر، "يمنح الله برّ المسيح للخطاة، عندما يعترفون له بخطاياهم وآثامهم، فلا تعود تحسب عليهم، لأنها قد غفرت". وأضاف، "هذا البرّ هو غريب عن الانسان. إنه ليس من سماته الداخلية ولا من صفاته، بل من خارجه. ياتي برّ المسيح كحقيقة مضافة عليه". آمن لوثر، بفعّالية بر المسيح، فقال: "يعطى برّ المسيح فقط للذين يؤمنون به، فتكون له نتائج فعّالة في حياته. فبعد ان يكون محطّمًا بسبب خطاياه ، فانه يصبح محرّرا من خطاياه ومقبولاً لدى الله". أكمل لوثر، "أيضا يختبر المبرّر تحرّرًا من الناموس، ولكن ليس من مشروعية الوصايا العشر، المفيدة لسلوك وتصرفات الانسان المسيحي، وانما تحرّرا من الاجبار والفرض وما يرافق ذلك من قلق وضغوطات يمليها الناموس على الضمير، بسبب عجزه عن تطبيقه، ليجد نفسه في حماية برّ المسيح. أحبّ لوثر، استخدام صورة الدجاجة التي تحمي فراخها الضعفاء تحت جناحيها، وتقيهم من هجوم طير الصقر (تشبيه للشيطان) عليهم، كما يذكر المسيح، "كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها" (متى ٢٣: ٣٧)، ليتحدث من خلال هذه الصورة، عن حماية برّ المسيح لأولاده المبرّرين. قال، "عندما تغطي وتخبّىء الدجاجة فراخها من هجمات الصقور، تتوفّر الحماية لهم، ليس بفضل ثقة الفراخ بأمهم، وإنما بفضل جناحيها الحاميتين لهم. هكذا هو برّ المسيح، انه يغطي ويحمي اولاده المبرّرين ببره. فالمؤمنون يحفظون ويخلّصون، ليس بسبب الايمان بحد ذاته، وانما بسبب برّ المسيح".

كتب لوثر عام ١٥١٦، رسالة الى الراهب جورج سبانل، الذي كان منشغفا في برّه واعماله. كان سبانل زميله في الدير في ويتنبرغ، ومن ثم نقل الى دير آخر. قال له في الرسالة: "أحب ان اعرف كيف تسير الأمور معك، واذا ما كنت قد تعبت من برّك". وأضاف، "انت لم تتعلّم بعد أن تتنفّس بحرّية في برّ المسيح وتثق به. في هذه الايام، هناك الكثيرون ممن يريدون ان يكونوا ابرارًا وصالحين بجهودهم الشخصية، وهم يعتقدون بأن الانسان يستطيع بفضل امكانيات القوة الاخلاقية الكامنة فيه، ان يحقّق خلاصه. وعليه، يسعون ليصيروا صالحين لتتكّون لديهم الثقة

انهم قادرون ان يقفوا امام الله بفضائلهم واستحقاقاتهم". تابع لوثر، "إنهم لا يعرفون ان برّ الله قد أعطي الينا مجاناً بغنى في المسيح. إنهم يجهلون انه ليس هناك اساساً آخرا للخلاص، إلاّ برّ الله الذي هو برّ المسيح، الذي يمنحه مجاناً لكل من يؤمن به دون مشاركة منه". دعا لوثر الراهب، الى تغيير نهجه قائلا له: " أخي العزيز جورج، تعلّم المسيح وإياه مصلوباً، كما قال الرسول بولس "لأني لم أعزم أن اعرف شيئًا بينكم إلاّ يسوع المسيح وإيّاه مصلوباً" (٢كور٢: ٢). تعلّم أن تحمده. أن تقول له: يا سيدي يسوع. أنت هو برّي، لكني أنا خطيتك لقد أخذت على نفسك ما كان لي، واعطيتني ما كان لك اخذت على نفسك ما لم يكن لك، وأعطيتني ما لم يكن لي". حذّر لوثر سبانل من عدم اعتبار نفسه خاطئا، فقال له، "إحذر يا جورج ألاّ تعتبر نفسك خاطئًا، لأن يسوع المسيح لا يسكن إلاّ بين الخطاة. لهذا، نزل الينا من السماء، من حيث كان مع الابرار، ليسكن بين الخطاة ويخلّصهم. تعلّم منه فقط فإذا ما كان أخذ عنك خطاياك وجعلها خاصته، فاجعل برّه خاصتك".

القس سهيل سعود

هدية الايمان التي لا هدية مقابلة لها

المصلح مارتن لوثر

من المفاهيم اللاهوتية الراديكالية الجديدة، التي أتى بها المصلح مارتن لوثر، بعد اختباره الروحي لتبرير الله له بالايمان وحده، مفهوم الايمان كهدية الله بشكل كامل للانسان، التي لا هدية مقابلة لها. ساد في القرنين: الرابع والخامس عشر، منطق لاهوتي استند الى مبدأ التبادل. راج مفهوم، بأن العلاقة بين الله والانسان، تحكمها سياسة بارتر الاقتصادية، التي تفيد ان هناك، مقابلا للبضاعة والخدمات التي تقدم لأحد. كان المبدأ هو: "إني أعطيك كيما أنت تعطيني". ان علاقة التبادل، فرضت التزاما متبادلا. فلا يقدّم شيئا بشكل غير مشروط، بل أن الله يقدّم شيئًا والانسان يقدّم شيئًا بالمقابل. فليس هناك تصرّف خاطىء دون عقاب، ولا غفران دون فداء. انتشر منطق التعاقد من طرفين: بين الله والانسان، وانتظر الناس مقابلاً من الله لمحبته له ولاعماله الصالحة للقريب. ردّد القول، أنه "عندما أقوم بشيء صالح، فإن هذا يجعل الله مديونا لي بل

ملزما، ليقدّم لي بركة روحية بالمقابل تساهم في نيل خلاصي". تمّ تأسيس مؤسسات خيرية لضمان الخلاص والحياة الابدية. استخدمت تعابير اقتصادية لمعانٍ روحية، مثل تعابير: الشراء والكسب والاستثمار، وغيرها. شدّد رجال الدين كثيرا، على كرم الله الكبير الذي يكافىء به، الذين يقومون بأعمال صالحة الى جانب ايمانهم. اعتبر أن العمل الصالح، هو استثمار قليل لربح كبير يعود عليهم من الله. نظر الى الله، وكأنه شريك اقتصادي يفتح للانسانية امكانية كبرى للربح، اذا ما استثمر جيداً باعماله الصالحة. تمّ تصوير الله وكأنه مدير بنك، يصرف وقته باحتساب أعمال الانسان الصالحة، ليقدّم مقابلاً لها. عندما قدّم رئيس كنيسة القديس لورانس في نورمبرغ، الدكتور سكيتس ترتيز، عام ١٥٠١، تعزيته الى الراهبة كاريتاس بيركهايمر، بوفاة والدها، فانه قارن حياة وموت المسيحي، بتجارة مربحة. قال لها: "ليس علينا ان نحزن عندما استحق الانسان الرجوع من ارض غريبة الى موطنه. الرجوع مما هو مؤقت الى ما هو ابدي؛ لا سيما عندما يكون قد حقّق العديد من الاعمال الصالحة من خلال تجارة مباركة. لقد أتينا جميعًا كتجّار في سياحة الى هذا العالم، حتى ببضاعتنا المؤقتة نحصل على فائدة ابدية".

شدّد لاهوت القرون الوسطى، أن ليس هناك خلاص الهي غير مشروط أو نعمة غير مشروطة، بل يجب أن يكون هناك دائماً، الهدية والهدية المقابلة. لهذا، فان فكرة مارتن لوثر، أن عطية الخلاص هي هدية الهية، محض مجانية دون توقّع هدية مقابلة من الانسان، كانت أساسية في سبب وجود حركة الاصلاح الانجيلي. انتقد المصلحون تلك التعابير السائدة في التفكير الديني الشعبي، التي صوّرت العلاقة مع الله بعلاقة اقتصادية، واعتبروها مسيئة لنعمة الله، المختلفة تماماً عن تفكيرهم. رفض لوثر، منطق بارتر الاقتصادي اللاهوتي السائد، في القرن السادس عشر، وقدّم لاهوتا راديكالياً، لوصف نوعية العلاقة بين الله والانسان: الله المنعم والبشرية الخاطئة. ومن خلال هذا اللاهوت الجديد رفض منطق: الهدية والهدية المقابلة، معلنا ان هدية الخلاص الالهي هي هدية محضّ مجانية، لا تنتظر أية هدية مقابلة من الانسان سوى استلامها. وعليه، رفض كل اشكال الاعالات والوساطات الشائعة في كنيسة القرون الوسطى، ان كان عبر: القديسين أو الطقوس أو صكوك الغفران أو رجال الدين، أو أي شيء مثل ذلك القبيل، لأنه رأى فيها تناقضا مع منطق هدية الخلاص المجانية التي يهديها الله لكل من يومن به. أيضا، رفض منطق، أن أعمال الانسان الصالحة لها قوة الاستحقاق امام الله، وقوة شراء الخلاص والحياة الابدية، اضافة الى ايمانه. رأى لوثر، أن

تلك الطقوس والممارسات السائدة تؤثر سلبا، على مفهوم سيادة الله المطلقة ونقاء هدية الخلاص الالهية. أدرك مع باقي المصلحين، انهم خطاة في حاجة ماسة الى نعمة الله لتخلّصهم من خطاياهم، وآمنوا ان خلاص الله، مقدّم لهم بالايمان وحده، وبشكل مستقل عن كل النشاطات والاعمال الانسانية الصالحة.

آمن لوثر، أن هدية تبرير الانسان بالنعمة وحدها بواسطة الايمان بيسوع المسيح وحده، هي هدية الله للانسان. اعتقد، أن لا قدرة للانسان على الاطلاق ان يهدي الله بالمقابل، لأن خطية السقوط قد دمّرت قدرته على الاهداء. وهكذا، فلم يعد لديه شيئًا صالحا. يقول الرسول بولس، "فإنه ليس من يعمل صلاحا، ليس ولا واحد. الجمع أخطأوا وأعوزهم مجد الله". آمن لوثر أن الله، هو إلهًا محبًا لطيف، منعمًا، يخلّص ويبارك، يغيّر ويقبل، ليس فقط الذين لا يقومون باعمال صالحة، وإنما أيضًا يقبل المتصلّبي الرقاب والمعاندين والمتمرّدين على وصاياه وأحكامه. هذه هي قوة النعمة المبرّرة والمخلّصة التي تبرّر وتخلّص الانسان ليصبح "خاطئًا مبرّرًا" كل حياته.

سحب لوثر البساط من تحت كل مفاهيم :الاستحقاق والارضاء والعلاقة الالزامية والتجارية والهدايا التبادلية بين الله والانسان. آمن أن المنطق الالهي هو مغاير للمنطق البشري، الذي يتوقع أخذ هدية مقابلة حتى وان كانت قيمتها بسيطة لا تقارن بالهدية المقدمة. عندما تحدّث لوثر عن نعمة الله المذهلة، تحدّث عن التزام الله الاحادي نحو الانسان المؤمن، من خلال وعد الغفران وعمل الروح القدس من خلال الوعظ بكلمة الله وسريّ الكنيسة. فالتزام الله أحادي مع نفسه لهذا لا يشاركه احد في النعمة. هجر لوثر، تقليد التعاقد من جانبين. في لاهوت النعمة الثوروي الجديد، حرّر لوثر اعمال الانسان الصالحة، من اية ارتباطات خلاصية ووضعها في سياق اسكتولوجي، ليقول انه في يوم الدينونة، اليوم الاخير، سيجازى الله الانسان على ما فعل ان كان خيرًا ام شرًا.
وبالتالي، فانه بعد ان نزع من الاعمال الصالحة قوتها الخلاصية، فانه عاد وأعطاها قيمتها في سياق ثمار الروح القدس التي الذي يثمر اعمالا صالحة، ترضي الله وتقدم يد المساعدة للقريب.
القس سهيل سعود

مقدمة: اصلام مارتن لوثر في أدبيات "فن الموت"

(الحلقة الأولى)

انتشرت أدبيات زمن الاصلام الانجيلي في القرن السادس عشر، وسط انتشار وباء الطاعون وموت أعداد هائلة من الناس، تحت مصنّفات "فن الموت". لم يكن هناك وقتًا في التاريخ، شعر فيه الناس بقرب موتهم، مثل زمن القرون الوسطى. شهدت أوروبا منذ القرن الرابع عشر و في القرن السادس عشر، موجات متتالية من وباء الطاعون الفتّاك. لم يكن هناك علاجًا موثوقا به. كان هناك نقصًا كبيرًا في النظافة. وساهمت ظروق العيش القاسية في موت الكثيرين في عمر مبكر. إن غموض ما بعد هذه الحياة أدى الى انتشار الرعب والخوف الشديد في حياة الناس. كان التفكير السائد أن الطاعون هو علامة غضب الله على الانسان. لقد وجدت حقيقة الموت المؤلمة طريقها الى فنون تلك الفترة. ما عرف "رقصة الموت" كان مشهداً فنيا شائعًا، في الرسومات والمنحوتات والنقش على الخشب. من تلك الصور، هيكلاً عظمياً يجرّ انساناً الى القبر. كان القصد منها، تذكير الانسان بمدى هشاشة الحياة الأرضية، للزهد بها والنظر اليها بمنظار ابدي.

تداول الناس آنذاك بالكثير من الخرافات والعادات الاجتماعية، والممارسات الكنسية الشائعة، لاعداد الانسان نفسه للموت. انتشرت مئات من أدبيات متنوعة موضوعها "فن الموت". وزّع كهنة الكنيسة، كتيّبات حول ما سميّ "الموت الجيّد"، لاعداد النفس روحيا جيدا للموت. دعا الكهنة الناس، الى تجنّب قدر الامكان ميتات مفاجئة، مثل: حوادث، أزمات قلبية وغيرها، لأن هذه الانواع من الميتات لا تسمح للكاهن بالتواجد للقيام بواجباته الكنسية، ومسحهم بسرّ المسحة الأخيرة التي هي الفرصة الاخيرة، كيما يحلّ الكاهن خطايا المرضى، ويطلقهم بسلام الى السماء، بحسب اعتقاد الكنيسة. انتشرت معتقدات وممارسات. تفيد أنه ان لم يحضّر المصابون بالطاعون انفسهم جيدا للموت، واستسلموا لليأس والقنوط، ستنهض مخلوقات الشيطان السوداء التي تنتظر تحت سريرهم، لتنقضّ على نفوسهم وتمضي بها الى الهلاك الابدي. أما اذا ما كانوا مستعدين بالتوبة والايمان، ستأتي الملائكة وتحملهم لتطير بهم عالياً الى السماء. وهكذا، تحبط خطة الشياطين. كما انتشرت ممارسات، مثل، تكرار آيات محدّدة من الكتاب المقدس بينما يلفظ

المريض انفاسه الاخيرة، وغيرها من الأمور. طلب من المرضى، الاعتراف للكهنة باعترافات صادقة كيما يحلوّهم من خطاياهم ، لكي لا يعيق شعورهم بالذنب واليأس، والحزن المفرط، وجهة انطلاقهم نحو السماء كان الاسقف ثيودولفوس، قد وضع في القرن الثامن، تعليمات لتحضير الانسان روحيا للموت. تضمنت تعليماته: تلاوة الصلاة الربانية، وقانون الايمان، ورسم اشارة الصليب، ومسحه بسرّ المسحة الأخيرة، وذلك بهدف طرد النشاطات الشيطانية من حوله. فكانت تلك التعليمات الاكثر استخداما زمن انتشار وباء الطاعون في نهاية القرون الوسطى. تجذّرت تلك الادبيات، في الاعتقاد بأن الانسان يكسب خلاصه من خلال أعماله وجهوده الشخصية.

في سياق أدبيات "التحضير للموت الجيّد"، كتب المصلح الانجيلي مارتن لوثر (الذي عايش الطاعون ثلاث مرات خلال حياته)، عام ١٥١٩، كتيبا من ثماني صفحات حول الاستعداد الجيد للموت، بعنوان "فنّ الموت"، انطلاقا من عقيدة التبرير أمام الله بالنعمة وحدها بواسطة الايمان وحده، اذ وضع ايمان الانسان وحده، الضمانة في تحديد مستقبله الابدي. فأسرع الناس لشراءه وقراته. وقد أصدر منه ست وعشرين طبعة في ست سنوات. أيضا كتب، أربع عشرة وتعزية روحية وتشجيع، مستندة الى الكتناب المقدس، كما أرسل العديد من الرسائل الرعوية الى الحزانى، داعيا اياهم للتعلق بالمسيح المعزّي والتمسك بالايمان، وقراءة الكتاب المقدس. يذكر المؤرخ مارتن برخت، "كان على لاهوت مارتن لوثر الاصلاحي أن ينجم أمام امتحان تهدئة مخاوف الناس من الموت في اللحظات الاخيرة من حياتهم ، من خلال اعدادهم روحياً وتوجيههم نحو الله".

القس سهيل سعود

عظة "فن الموت": المصلح مارتن لوثر

(الحلقة الثانية)

عندما ضرب الطاعون مدينة ويتنبرغ، ملأ الخوف والرعب قلوب سكانها. فطلب اللوثريون من مصلحهم لوثر، ابداء رأيه حول ان كان يجب أن يهربوا أم لا، لا سيما أن الطاعون مرض معد. فكتب كتيباً من أربع عشرة صفحة بعنوان: "أنهرب أم لا من طاعون مميت"؟ ذكر في تعليماته، أن على المعنيين بحياة الناس الصحية والروحية، مسؤولية وواجب اخلاقي بالبقاء في المدينة للمساعدة. في ذلك الوقت العصيب أمر الحاكم جان الساكسوني، لوثر وزوجته بترك المدينة والذهاب الى مدينة جينا، وأعدّ لنقل الجامعة اليها. إلّا أن لوثر، وراعي مدينة ويتنبرغ يوهانس بورغنهاغن، رفضا ترك المرضى والمصابين بالطاعون، وأصرّا على البقاء لمساعدة المتألمين، لا سيما الذين كانوا على فراش الموت لتشجيعهم بكلمة الله والصلاة معهم في لحظاتهم الأخيرة. استمر يعظ على منبر الكنيسة، طالباً من مستمعيه أن يساعدوا المحتاجين ويظهروا المحبة والرعاية لجيرانهم المرضى. وبّخ الرجال الذين تركوا نساءهم وفرّوا حفاظاً على صحتهم. كما استمر بتقديم المحاضرات لمجموعة صغيرة من التلاميذ التي بقيت في المدينة، حول رسالتي: يوحنا الاولى تيطس.

طلب حاكم منطقة سكسوني من لوثر، ارسال بعض كلمات التشجيع الى أحد مستشاريه، ماركشان، الذي كان مريضا ومضطرباً جدا بأفكار الموت، فكتب عظة طويلة بعنوان "فن الموت"، وجّهها الى كل انسان مضطرب بأفكار الموت ليعدّ نفسه روحياً جيدا للموت. اعتبرت عظة لوثر هذه، إحدى مساهماته في ادبيات المرحلة التي تشهد انتشار وباء الطاعون لتكون تعليمات روحية حول، التحضير الجيّد للموت.

دعا لوثر، مستشار الحاكم الى تعديل اسلوب تفكيره واعداد نفسه لملاقاة الله. أقرّ، أن أفكار الموت والخطية والدينونة والجحيم، هي مرعبة جداً. لهذا، طلب منه، ومن كل مضطرب، ان يحوّل انظاره وافكاره، من واقعية الحاضر الأليم المليء بالموت، ليشخص الى يسوع السماوي. دعاه للتخلّص من التقاليد والممارسات الكنسية والخرافات غير الكتابية التي انتشرت آنذاك، منها:

ممارسة التماس مساعدة أربعة عشرة قديساً؛ داعيا اياه أن يفكر في مفهوم شركة القديسين الأوسع التي تؤمن به الكنيسة، كيما يتّحد معهم بالايمان. قال لوثر، "يجاهد إبليس وملائكته بشدة، كيما يبعدوا المريض الذي في طريقه الى الموت، عن اليقين الالهي. لكن، إذا لم يسمح المريض لمشاعر الذنب والكآبة والحزن الشديد أن تتحكّم به، فإنه وبمعونة يسوع المصلوب وشركة القديسين، فإن خلاصه سيكون مؤكّداً. أطلق لوثر، على مشاعر اليأس والاحباط والخوف الشديد، اسم "أسلحة الموت". قال "أسلحة الموت هذه، تجعلنا فريسة القلق والاضطراب، اكثر من أي عدو شخصي ". دعا المضطربين بأفكار الموت، الى الايمان بوعود المسيح التي اعلنها في الكتاب المقدس، وأن يحتضنوا الفوائد الروحية التي تحملها، والى التذكّر أن المسيح يسوع لم يواجه فقط الموت، لكنه أيضا انتصر عليه وأعطانا الحياة والخلود، حتى بمثاله نتعلم كيفية مواجهة الآلام والموت. ذكّره بكلمات المسيح "لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب. آمنوا بالله وآمنوا بي" (يوحنا١٤).

مع تشديد لوثر الكبير على أهمية، الايمان الشخصي بالمسيح. فانه أيضا ذكّر المستشار بأهمية تناول العشاء الرباني عند دنو الموت، (بخلاف جان كلفن، الذي لم يعتقد انه علينا ان نحمل عنصري الخبز والخمر ونذهب الى بيوت المرضى ونناولهم، بل اعتبر ان العشاء الرباني، هو خدمة تجري في الكنيسة فقط ويشارك فيها جماعة الايمان)، وذلك لا لمعنى السرّ بحدّ ذاته أو فعاليته، وانما للوعود المرافقة التي وعدها المسيح، عن تذكّر موته والمشاركة في موته وقيامته، وللتعزية الكبيرة التي تقدمها. اعتقد لوثر، أن عنصري الخبز والخمر، هما علامة مرئية تستمد قوتها من وعود المسيح، التي تهدىء من اضطراب ضمائرنا وقلوبنا. أيضا دعاه لكي يطلب من خادم الكنيسة أن يمسحه بسرّ مسحة المرضى التي أطلق عليها سرالمسحة الأخيرة. (في ذلك الوقت الباكر من الاصلاح، كان لا يزال لوثر يؤمن بسر مسحة المرضى، التي تغفر الخطايا بحسب معتقد الكنيسة. الاّ أنه بعد حوالي السنة أقلع عن هذا الايمان، وآمن ليس بأسرار الكنيسة السبعة، وانما فقط بسري: المعمودية، والعشاء الرباني).

ختم لوثر عظته بالقول: "يجدر بنا أن نشكر الله بقلوب فرحة، لإظهار رحمته ونعمته المذهلة، التي بها انتصر على الجحيم والموت". ودعا كل المضطربين الى تمجيد نعمة الله التي ظهرت في المسيح والتمسك بها لمواجهة الموت بطمأنينة.

القس سهيل سعود

مناظرة هايدلبرغ حول لاهوت الصليب

في العام ١٥١٨، وبعد اطلاق لوثر لبنوده الاصلاحية الخمسة والتسعين، التي أثارت جدلاً واسعًا في أوساط مسؤولي الكنيسة. وتميّز أن أب اعتراف الراهب مارتن لوثر ورئيس ديره، أراد منه أن يعرض تطوّلا لاهوته دون أن يذكر المواضيع التي صنعت جدالاً واشكاليات كثيرة، مثل مواضيع بيع صكوك الغفران والمطهر وغيرها. فقد أخبر رئيس الدير ستوبيز أن اجتماعًا عامًا سيعقد للرهبان الاوغسطينية في ألمانيا وذلك في شهر من العالم ١٥١٨. فطلب من لوثر أن يعدّ بنودًا لعرضها ومناقشتها مع زملاءه الرهبان دون ذكر تلك المواضيع الحساسة التي صنعت صدمة في الكنيسة. عندها، أعدّ لوثر أربعين بندًا انقسمت الى قسمين، إنثا شعر بندًا تتعلق بآراءه الفلسفية وثمانية وعشرين بندًا يشرح فيها تطوّر لاهوته الذي تمحور حول الصليب. وهكذا، انضم لوثر الى الاجتماع وقدّم لوثر المناظرة التي تغير تعريفًا لاهوتيًا كلاسيكيًا والتي ستتوقف فقط عند الجزء اللاهوتي منها، أي الثمانية وعشرين بندًا.

إنقسمت بنود لوثر اللاهوتية الى خمسة أجزاء رئيسية:

- الجزء الأول: (١٢-١) بندًا أعمال الانسان المبرّر بالمسيح والانسان غير المبرّر
- الجزء الثاني: (١٣-١٨) الارادة الحرّة وتحضير الانسان نفسه للنعمة
- الجزء الثالث: (٢٤-١٩) الفرق بين لاهوتيي المجد ولاهوتيي الصليب
- الجزء الرابع: اعادة الاعتبار لأعمال الانسان الصالحة وانما فقط بعد التبرير بالايمان وحده
- الجزء الخامس: البند ٣٨، الفرق بين محبة الله والمسيحي وبين محبة الانسان الطبيعي

كانت المناظرة وصف لعملية تبرير الله للإنسان بالنعمة وحدها من خلال الايمان وحده ودعوة لايجاد نعمة الله المبرّرة في صليب المسيح. صرّح لوثر "ليس الصليب مفهومًا متناغمًا مع الحكمة الانسانية التي تجده جهالة وعارًا. فالصليب بحسب الحكمة والفلسفة البشرية هو عارًا. لهذا، فاللاهوتي الحقيقي هو الذي لا يجادل في الايمان المسيحي من منطلق الامور المرئية والظاهرة والتي تبدو مؤكّدة له. لكن اللاهوتي الحقيقي هو الذي يتعلّم من الصليب أن طرق الله مخبّأة حتى في اعلان يسوع المسيح ولن يكتشف ويختبر طرق الله إلاّ في صليب المسيح". بالرغم من الاهمية اللاهوتية الكبيرة لهذه المناظرة، إلاّ أنها لم تعرّف كثيرًا ولم يسلّط عليها الضوء كثيرًا. إذ حجبت في ضوء بنود لوثر الاصلاحية الخمسة والتسعين التي علّقها على باب كنيسة جامعة ويتنبرغ في ٣١ تشرين الاول عام ١٥١٧.

عرّف البنود الواحدة تلو الأخرى. فكانت بمثابة قنبلة انفجرت في وجه السامعين. نرى في هذه البنود لاهوت لوثر الراديكالي المتمحور حول النعمة الالهية المغيّرة للفكر وقلبياً من كل الانجازات البشرية. تعني كلمة مفارقة باللغة العربية "الأمور التي نبدو متناقضة ظاهرياً لكنها في العمق منسجمة مع بعضها".

يقول لوثر "على الانسان أن ييأس من قدراته البشرية بشكل كامل قبل أن يصبح مستعداً لأن يقبل نعمة المسيح. فعندما يصل الى نهاية محاولاته البشرية، عندها يصبح مستعداً لأن ينظر الى المسيح بالايمان". وأضاف "ليس باراً من يعمل الكثير، لكن البار هو الذي بدون عمل يؤمن كثيراً بالمسيح. فالمسألة ليست مسألة عمل وانما مسألة ايمان. ليست المسألة ان تستحق طريقك الى نعمة لكن المسألة هي ان تؤمن بما فعله المسيح لأجلك على الصليب.

في البند ٣٨، يقول لوثر "محبة الله لا تجد، لكنها تخلق من يسرّها" يفسّر القول بأن محبة الله تحب الخطاة والاشرار والمتسكعين كيما تجعل منهم أبراراً صالحين حكماء واقوياء.

قال لوثر "شريعة الله هي الأكثر فائدة للكيان لكنها تعيقنا من الشر. فأعمال الصلاح هي تصبح خطايا مميتة إن لم تصبح بارّة في عيون الله. فالانسان الذي لا يدرس الامور غير المرئية من خلال عمل الله لا يستحق ان يدعى لاهوتياً.

أوضح لوثر بعض الأسس التي بنى عليها طريقته الجديدة في التفكير بأنها تدعو الناس الى قراءة الكتاب المقدس بأسلوب جديد.

إبتدأ لوثر مناظرته بالقول "مع أن شريعة الله هي ، إلا أنها غير قادرة أن تقدمنا بانتباه للصلاة وحياة بر. لكن هذا لا يعني بأن شريعة الله لا قيمة لها في نعمة الله ، وعلى التفكير بأن دورها الهام في اظهار عجزنا وخطايانا. فإن لم تكشف الشريعة عجزنا فإننا لن نطرح انفسنا بشكل كامل على المسيح لنيل الخلاص.

في الجزء الثالث، يشير الى المتخصص في صنع اللاهوت وتعليم اللاهوت. وإنما يقصد به المؤمنين الذي يفكرون في الله. قال لوثر "بطبيعتنا البشرية نحن جميعاً لاهوتيي المجد. نحن نتصارع مع لاهوتيي المجد الذين فينا. فالطريق الوحيدة التي نصبح فيها لاهوتيي الصليب، عندما نقبل باعلان الله في الانجيل. قال "من يستحق ان يرى لاهوتيي الصليب فإنه الذي يفهم امور الله الظاهرة من خلال آلام المسيح على الصليب. لاهوتي المجد هو الذي يدعو الشر خير والخير شر. لكن لاهوتي الصليب هو الذي يدعو الاشياء باسماءها وعلى حقيقتها كما هي". كانت هذه الافكار في صميم احتجاج لوثر ضد روما. إن مشكلة لاهوتي المجد انه يعتقد بأنه يستطيع أن يفهم كيف خلق

الله العالم وبدون الاعلان الالهي في الكتاب المقدس. يعتقد أنه يستطيع أن يعتمد على فكره ليفهم الله وهو لا يدرك ان ذهنه مظلم وأعمى. لاهوتي المجد يستبدل حق الله بالكذب. كما يقول الرسول بولس "لأنهم استبدلوا حق الله بالكذب واتّقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق الذي هو مبارك الى الابد" (رومية١: ٢٥)

لاهوتيي المجد أعادوا كتابة توصيف وظيفي لله. إذ أدخلوا في عمل الله أداء الانسان فجعلوا من الله شخصًا يمكن التحكّم فيه. يعتقد لاهوتيي المجد بأن الله يعمل بنفس الطريقة التي يعمل فيها العالم. يعتقد أن التبادل الروحي يحكم علاقتنا مع الله طالما انه يحكم هذا القدر من حياة هذا العالم. نحن نعتقد بطبيعتنا ان الذين يقومون بأعمال صالحة هم الذين سيكافأون والذين يصنعون الشر سيعاقبون. ونحن نريد أن نطبّق هذا المبدأ على طريقة الخلاص. بينما يعتقد لاهوتي الصليب أن ليس احد يمكنه ان يكون صالحًا بشكل كامل. لكن نعمة الله هي التي تصنع في الذين يعملونه. كتب أحدهم ان لاهوتي المجد يعتبر النعمة وكأنها امرًا اضافيًا على ما بقي من الارادة والقوة الانسانية. لاهوتي المجد يعاني من تفاؤل مزيّف، معتقدًا أنه بعض الافتخار بنعمة الله ممزوجة بجهودنا تؤهلنا لإنجاز امور عظيمة. يتوقع لاهوتي المجد ان يظهر عمل الله في الامور الفنية الجذابة الناجحة بحسب تقدير العالم. هذه هي نظرية لاهوتي المجد الى الله والانسان.

لكن يختلف لاهوتي الصليب عن لاهوتي المجد في نظرته الى ما اعلنه الله في كلمته. كيف أنه يخلق هدفه المخلّص في حياة مختاريه يفهم لاهوتي الصليب انه في عملية الخلاص، فإن المظاهر الخارجية تناقض الحقائق الروحية الحقيقية. فبدلاً من ان يفهم الله بطريقة تتطابق مع المواقف والفهم البشيري السائد حول ما هو الصالح والقوي والحكيم الذين يؤمن به لاهوتي المجد. فإن لاهوتي الصليب يؤمن أن رسالة الصليب الحقيقية وجهالة الصليب هي قوة الله للخلاص للذين يؤمنون. لاهوتي الصليب يفسّر العالم من خلال ما يقول هلله وليس من خلال ما يراه الناس. وهذا ما يخوّله لفهم ان نعمة الله لا تصف كاستجابة لطاعتنا بل تصف لكل من يضع ثقته في يسوع المسيح المعلن في الانجيل. يفهم لاهوتي الصليب على ان السبيل الوحيد الى ملكوت الله هو بالولادة الثانية والتي تتضمن الموت والقيامة مع المسيح المصلوب الذي يعلنه الانجيل. هذه الامور هي التي يراها لاهوتي الصليب.

في البند ٢٨ الاخير، يظهر لوثر كيف أن الفرق بين هذين النوعين من اللاهوتيين في تمييزهما بين المحبة البشرية والمحبة الالهية، يقول، أن المحبة البشرية تنحدر من الامور التي يعتقد الانسان انها مميتة وجذابة فإن المحبة الالهية تنحدر بشكل كامل من داخل قلب الله. قال

لوثر "محبة الله لا تجد، بل تخلق ما يسرّها". يفسّر اللاهوتي كارل ترومان ما قصده لوثر بقوله هذا، "لا يجد الله ما هو محبّب يتوجه باتجاهه ليحبه لكن يصبح الشيء محبّباً عندما يوجّه الله محبته تجاهه. لا ينظر الله الى البشر الخطاة ليجد إن كان بعضهم محبباً وأكثر قداسة من البعض لينجذب. لكن الله يختار غير المحبين، غير الابرار الذين ليس لديهم نوعية جيدة تشفع لخلاصهم ويطلق بسخاء عليهم محبته المخلّصة". يفسر لاهوتي آخر قول لوثر "أن محبة الله في المسيح هو عمل خلّاق بمعنى أنه يخلق الايمان في المؤمنين عندما تستنزف كل الامكانيات البشرية. ونحن قد صرنا لا شيء. فإن الذي خلق العالم من العدن هو الذي يعقوم بهذا العمل. المحبة البشرية هي محبة تستند على ردات الفعل لأننا عندما نرى أمرًا محببًا في البعض تكون ردة فعلنا الانجذاب نحوهم. لكن الله لا يحب مختاريه لانهم محبوبون ولأن فيهم امرًا جذاباً. لكن يجعل منهم محببين عندما يسلّط محبته عليهم بالرغم من انهم لا يستحقون سوى الدينونة.

حول عقدة التبرير بالايمان، قال لوثر، الله يقبل كأبرار فقط الذين تحولوا اليه. برّ المسيح بالايمان وحده.

قال في البند ٣٥ "ليس البار الذي يعمل كثيرًا ولكن الذي دون عمل يؤمن كثيرًا في المسيح". يقول لوثر، نحن نميل للتركيز على القيام بأعمال يقدرها من يعجب بها العالم لأننا نرى رسالة المسيح سلبية وتدب فينا اليأس. لكن، يقول لوثر، هذه هي بالتحديد النقطة الهامة في رسالة الصليب، أنها لن تجعلنا نفس نتائج الخطية في اظهار عجزنا وعدم قدرتنا على القيام بأي شيء صالح كيما نتجنب غضب الله ونهرب من مصيرنا المخيف وكلفته الباهظة التي كان على المسيح أن يدفعها بديلاً عنا كيما يضمن لنا خلاصنا من خطايانا ويمنحنا الحياة الابدية. لخّصها المسيح قب يومين من موته. نحن مسؤولون وهذه الحقيقة. فهذه العبارة ليست عبارة انتصار ولكنها تعبّر عن حقيقتنا. وهذه هي النظرة التي يجب أن نملكها عن انفسنا اذا ما اردنا ان نرى ان رسالة الصليب هو قوة الله للخلاص لكل من يؤمن.

كان لاهوت المجد سمة الكثير من اللاهوتيين السكولاستيين في القرون الوسطى. في هذه المناظرة، قدّم لوثر اقتراحه المميّز من اجل اصلاح لاهوت الكنيسة الذي تمحور حول لاهوت الصليب. قال، لا نحصل على برّ الله من خلال الاعمال الصالحة التي غالبًا ما نكرّرها كما قال الفيلسوف أرسطو، وإنما ننال برّ الله بالايمان وحده. فالانسان الذي يؤمن من كل قلبه هو الذي يبرّر. فبرّ الانسان يخلق اعمالاً. لكن ننال النعمة والايمان دون أعمال. وبعد اختبارنا النعمة بالاميان وحده تتبعها الاعمال الصالحة. فيدرك الانسان حينها أن الاعمال الصالحة التي يعملها هي ليست اعماله وغنما

نتيجة عمل الله فيه. فلا يتفاخر فيها ويستغلها من اجل تمجيد نفسه. تقول الشريعة للانسان، إفعل كذا وكذا. فلا يفعل شيئًا. وتقول النعمة، آمن بهذا، كل شيء قد عمل سابقًا. الشريعة تنتج غضبًا وتضع الناس تحت اللعنة. لكن الايمان يبرّر الانسان. قال القديس أوغسطينوس، ما توصي به الشريعة تحصل بالايمان عليه لأنه بالايمان يصبح المسيح فنيا، بل واحدًا منا. فالمسيح البار قد حقق كل متطلبات شريعة الله ونحن نحقق كل شيء من خلال المسيح الذي يسكن فينا بالايمان.

في البند ٣٧، قال لوثر "يجب أن نسمّي عمل المسيح، عمل فاعل. وعملنا نحن عمل محقّق يسرّ الله بنعمة العمل الفاعلة ذلك لأن المسيح يحيا فينا بالايمان ويحثنا على القيام باعمال صالحة من خلال الايمان الحي بعمله. لأن ما قام به المسيح هو التحقيق لوصايا الله التي اعطيت لنا وهكذا فإننا نشعر باندفاع كيما نقلّد المسيح ونتمثّل به. كما يقول بولس "فكونوا متمثّلين بالله كأولاد أحباء" (أفسس٥: ١). يقول القديس غريغوار "كل عمل من أعمال المسيح هو تعليمات لنا، بل حقيقة دافع لعمل المسيح فينا الذي يحيا بالايمان. حول المحبة البشرية والمحبة الالهية. محبة البشر توجد لما يسرّها لكن محبة الله تخلق. المحبة البشرية مقبولة من كل الفلسفات والحضارات لأن هدف المحبة هو سببها، كما قال أرسطو، لكن محبة الله لا تبقى من اجل نفسها لكنها تفيض صلاحًا. لهذا ينجذب اليها الخطاة لأنه يشعرون انهم محبوبين. المحبة البشرية تتجنب الخطاة والاشرار. لكن يقول المسيح "لم آت لأدعو أبرارًا بل خطاة الى التوبة" (متى٩: ١٣). لكن محبة الله تولد من الصليب وتعيش في كل لتقدم محبة الله لكل الذين يحتاجها وإن كانوا اشرار وسيئيين. لكن المحبة البشرية تحكم فيه كما تراه فتقترب من المحبين وتبتعد عن غير المحبين

اعتقد لوثر أن المشكلة الاساسية مع اللاهوت السكولاستي هو التزامه بالعقلنة الفلسفية. اعتقد اللاهوتيون السكولاستيون انهم يستطيعون اثبات وجود الله بدلائل فلسفية. لكن لوثر اعتقد ان العقل لا يستطيع ان يفسّر الامور الروحية المخلّصة. الكثير من اللاهوتيين السكولاستيين صرف الكثير من الوقت في الامور الفلسفية. لهذا، اعتقد لوثر ان هذا اللاهوت أظلم على ما علّمه الرسول بولس حول الصليب. قال "صليب المسيح لا يتناغم مع الفلسفة. فالصليب بالنسبة للفلسفة، جهالة، عار وخزي. فلا يمكن تفسير صليب المسيح بهذا الشكل دون أن نتظلم على معانيه بالنسبة للايمان الكتابي. قال لوثر، اللاهوتي الحقيقي لا يبني نظامًا عقلانيًا

بالاستناد الى الامور المرئية. كما اعتقد أرسطو، لكن المفارقة التي يقدمها الصليب انه يعلّم ان طرق الله مخبّأة حتى في اعلان يسوع المسيح.

عندما يعرض لوثر البنود الثمانية والعشرون، فإنه يوضّح كل بند بمراجع من الكتاب المقدس وبأقوال من لاهوتيين مختلفين من آباء الكنيسة. يستشهد لوثر بالقديس أوغسطينوس في صراعه مع بيلاقيوس الذي شدّد على الجهود البشرية ذلك الصوت القوي الذي اعتقد لوثر انه خفت وصمت حتى في الرهبنة التي دعيت على اسمه.

ربط لوثر بين لاهوت الصليب وعقيدة التبرير بالنعمة وحدها بواسطة الايمان وحده. قال لوثر، يجد الفلاسفة أن مبدأ التبرير بالايمان وحده يسيىء الى العقل الانساني الذي يريد ان يؤكد على حكمته وقوته بدلا من ان يستند بشكل كامل على مراحم نعمة الله الذي يسود على الحياة. لهذا، قبل ان نستطيع ان نفهم مبدأ التبرير بالنعمة وحدها بواسطة الايمان وحده، يجب أن تغلب حكمتنا وقوتنا لنؤهل للخضوع لضعف الانجيل. وهذا هو الفرق بين لاهوتي الصليب ولاهوتي المجد. فلاهوتي المجد يفترض ان البشر يستطيعون الوصول الى الله من خلال خطتهم البشرية وقدرتهم الانسانية. لاهوتي الصليب يستند في ايمانه على قاعدة كلمة الله ورسالة الانجيل التي كل حكمة وقوة بشرية بجهالة وضعف الله. حيث نعرف الله حقيقة يجب أن نصبح جهلاً في مقياس الفلسفة والحكمة البشرية كيما نعرف الله حقيقة يجب ألا نكوّن اي فكر او مفهوم أن الحكمة البشرية فقط تكمّل بالاعن. كما قال القديس توما الاكويني، بل يجب ان نحطم الحكم البشرية ويعاد تكوينها من جديد وعلى أساس جديد بشكل كامل.

بالايجاز، يعلّم لاهوت الصليب، أنه، كيما نعرف الله، يجب أن نصلب مع المسيح لنقوم معه في اسلوب تفكير جديد. إن خلاصة البنود الـ ٢٨، بأن علينا أن نثق بالمسيح وليس بأنفسنا. يجب أن نيأس بشكل كامل من قدراتنا قبل أن نصبح على استعداد لنقبل نعمة المسيح. هذا التصريح هو المفتاح الاساس لفهم كل منا مناظرة هايدلبرغ.

ليس هناك أي شيء صالح فينا بسبب تدير الخطية لكل قواتنا. فأي ثقة بقوانا واعمالنا امر مدان. فيجب أن ننخفض كيما نرتفع. يجب أن نموت قبل أن يجعل الله منا أحياء. في بداية المناظرة، يحضر لوثر الاجواء وباليأس من حكمته كانسان ثم يصف أن ما سيقوم به هو امر جدلي ومفارقة. قال، إن الحقيقة تضعنا أمام صراع يبدو بالنسبة لعقولنا أمرًا مخالفًا. قال "لم يعد لدينا الارادة الحرة بعد السقوط إلاّ للقيام بما هو سلبي وشر" ومن تقنية تلك المفارقة التي قدّمها أن يوصل الانسان الى حالة من اليأس من نفسه ومن ثقته من اعماله مهما كانت عظيمة وأن يدرك

عظمة خطاياه ويخاف منها فيعترف بخطاياه ويلتصق بالمسيح فيجد فرصة فيه ويرى أن خطاياه تلك لم تعد مخيفة ولم تعد خطايا مميتة بل خطايا عرضية لا تستوجب الدينونة الالهية. في ذلك الوقت كان لوثر لا يزال يتبع التفريق الكاثوليكي بين الخطايا السبعة المميتة والخطايا العرضية. لكنه بتقدّم السنين تخلّى عن هذا التمييز بين النوعين. قال لوثر، فقط الذي يتواضع تغفر خطاياه لأنه يكتشف عدم استحقاق أي من اعماله لتبريره امام الله. قال "حتى افضل اعمالنا ليست كافية لتبريرنا". لم يكن قصد لوثر ان يتركنا في يأسنا وإنما ارادنا أن نرتمي في احضان المسيح ونمجده ونكرز بالانجيل. فلاهوتي الصليب يرى اعماله في السياق المناسب ومن خلال اللاهوت المناسب فييأس منها ويتعلّم من نعمة الله ومن مفارقة الصليب. لاهوتي الصليب يقول الصليب جيد والاعمال شريرة. من خلال الصليب ندمّر آدم القديم فينا ونصلبه مع اعماله.

من غير الممكن أن يتفاخر الانسان باعماله الصالحة. لكن عندما يكتشف من خلال الصليب أن لا قيمته له وأن اعماله الصالحة هي نتيجة عمل الله فينا، قال "الذي لا يعرف المسيح لا يعرف الله المخبّأ في آلام الصليب". لهذا، يفضّل لاهوتي المجد الاعمال على الآلام، المجد على الصليب، القوة على الضعف والمحبة على الجهالة. الاستنتاج القيقي الذي نأخذه أن الله نفسه قد مات بمفاربقة الأكثر جدلية في التاريخ البشري ومنحنا الحياة والخلاص بموت ابنه يسوع المسيح الدموي والمخزي. فكل مفارقة اخرى في الايمان الامسيحي تنحدر من مفارقة الصليب، أننا نفهم امور الله ليس في المجد بل في الألم، ألم الصليب.